سورة الجن

[٩٧٣] ك.. أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله [ﷺ] على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله [ﷺ] وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾[1] وإنما أوحى إليه قول الجن.

[٩٧٤] وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة تأويه الجن فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت وإن هذه الجبة عليّ منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام فآمنت بهما فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[2].

[٩٧٥] وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن كرزم بن أبي السائب الأنصاري قال خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله [ﷺ] فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال عامر: الوادي جارك جارك فنادى

---

[٩٧٣] (١) سورة الجن: الآية (١).

[٩٧٤] (٢) سورة الجن: الآية (١).

منادٍ لا نراه يا سرحان، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾(١) الآية.

[٩٧٦] وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بُعث رسول الله [ﷺ] وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم فلما بعث النبي [ﷺ] خرجنا هراباً فأتينا على فلاة من الأرض وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة فقلنا ذاك فقيل لنا إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من أقربها أمن على دمه وماله فرجعنا فدخلنا في الإسلام قال أبو رجاء: أني لأرى هذه الآية نزلت فيّ وفي أصحابي: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾(٢).

[٩٧٧] وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجان حدثنا عبدالله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبدالله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير أن رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عمير حدث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً فقلت: هذا حلم ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ثم التفت إلي الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين قلت: فأن مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرآني رسول الله [ﷺ] فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئاً ودعاني إلى الإسلام فأسلمت قال

---

[٩٧٥] (١) سورة الجن: الآية (٦).

[٩٧٦] (٢) سورة الجن: الآية (٦).

سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴿٦﴾﴾[1] الآية.

[٩٧٨] وأخرج عن مقاتل في قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴿١٦﴾﴾[2] الآية قال نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين.

[٩٧٩] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال: قالت الجن يا رسول الله إئذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴿١٨﴾﴾[3] الآية.

[٩٨٠] وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت الجن للنبي [ﷺ]: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤن عنك أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤن عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[4] الآية.

[٩٨١] وأخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾[5] الآية.

* * *

---

[٩٧٧] (١) سورة الجن: الآية (٦).
[٩٧٨] (٢) سورة الجن: الآية (١٦).
[٩٧٩] (٣) سورة الجن: الآية (١٨).
[٩٨٠] (٤) سورة الجن: الآية (١٨).
[٩٨١] (٥) سورة الجن: الآية (٢٢).

(٧٢) سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون

● **سورة** الجن مكية وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية «الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء» ومحور السورة يدور حول الجنّ ، وما يتعلق بهم من أمور خاصة ، بدءاً من استماعهم للقرآن ، إلى دخولهم في الإيمان ، وقد تناولت السورة بعض الأنباء العجيبة الخاصة بهم ، كاستراقهم للسمع ، ورميهم بالشهب المحرقة ، واطلاعهم على بعض الأسرار الغيبية ، إلى غير ذلك من الأخبار المثيرة .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالإخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن ، وتأثرهم بما فيه من روعة البيان ، حتى آمنوا به فور استماعه ودعوا قومهم إلى الإيمان ﴿ قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً .. ﴾

● **ثم انتقلت** للحديث عن تمجيدهم وتنزيههم لله جل وعلا ، وإفرادهم له بالعبادة ، وتسفيههم لمن جعل لله ولداً ﴿ وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً . وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً .. ﴾ الآيات .

● **ثم تحدثت** السورة عن استراق الجن للسمع ، وإحاطة السماء بالحرس من الملائكة ، وإرسال الشهب على الجن بعد بعثة رسول الله ﷺ ، وتعجبهم من هذا الحدث الغريب ﴿ وأنّا لمسنا السماء فوجدناها

ملئت حَرَساً شديداً وشُهُباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدْله شهاباً رصداً ..﴾ الآات .

● **ثم تحدثت** السورة عن انقسام الجن إلى فريقين : مؤمنين ، وكافرين ومآل كلٍ من الفريقين ﴿ وأنَّا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تَحَرَّوْا رَشَداً . وأَمَّا القَاسِطُونَ فكانوا لجهنم حطباً﴾

● **ثم انتقلت** للحديث عن دعوة رسول الله ﷺ ، وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلو القرآن ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَداً . قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ .

● **ثم أمرت** الرسول عليه السلام بأن يعلن استسلامه وخضوعه لله ، ويفرده جلَّ وعلا بإخلاص العمل ، وأن يتبرأ من الحول والطول ﴿ قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً . قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحدٌ ، ولن أحد من دونه ملتحداً﴾

● **وختمت السورة** ببيان اختصاص الله جل وعلا بمعرفة الغيب ، وإحاطته بعلم جميع ما في الكائنات ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خَلفه رَصداً ..﴾ الآيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرآنًا عَجَبًا﴾[١]

قوله عز وجل: **قل أُوحِيَ إليَّ أنه استمع نفر من الجن**، اختلف في السبب الذي كان به مجيء الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمنهم من ذكر أن إبليس صعد إلى السماء فوجدها قد[2] ملئت حَرَسا شديدا وشُهُبا، فتيقن[3] أن قد حدث في الأرض حادث؛ ففرق جنوده ليعلم علم ذلك. ومنهم من يقول بأن الأصنام [قد][4] خَرَّت لوجوهها[5] حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلم إبليس أنه حدث في الأرض[6] حادث حتى خرت له الأصنام، ففرق جنوده ليصل إلى علم ذلك. ثم من الناس من يزعم أن قصة هذه السورة وقصة قوله عز وجل:[7] وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ،[8] واحدة. وقال بعضهم بأن هؤلاء النفر الذين ذكروا في هذه السورة كانوا من مشركي الجن، والذين ذكروا في سورة الأحقاف[9] كانوا من يهود الجن،

---

[1] ر – سورة الجن؛ ث + وهي ثمان وعشرون آيات مكية.

[2] م – قد.

[3] م: فتبقن.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.

[5] ث: لوجهها.

[6] ر م + خير؛ ن ث + خبر. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ن م – عز وجل.

[8] سورة الأحقاف، ٢٩/٤٦.

[9] ر + الأحقاف.

دليله أنه قال في هذه السورة فيما حكى عن الجن: وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا،[1] واليهود يقرّون بالبعث ولا ينكرونه،[2] فثبت أنهم كانوا من جنس المشركين. وقال في سورة الأحقاف: قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ،[3] فثبت أنه قد كان عندهم علم بالكتاب المنزل على رسول الله موسى[4] صلى الله عليه وسلم وكانوا به مقرين، واليهود هم[5] الذين يؤمنون بكتاب موسى لا غير.

ثم فيما حكى الله تعالى عن الجن من تصديقهم هذا الكتاب واستماعهم[6] ما جرى من المخاطبات فيما بينهم فوائد. أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والإنس حتى صَرف الجن إلى الاستماع إليه. وفيه أنهم لما أخذوا القرآن من لسانه قاموا[7] فيما بين القوم بإنذارهم وأعانوه في التبليغ على ما أخبر عز وجل: فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ.[8] وفيه أن أولئك النفر تسارعوا[9] إلى الإجابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون فيه تسفيهُ قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نشأ بين أظهرهم، لأنهم عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم بالصيانة والعدالة و لم يقفوا منه على كذب قط. وحق من يُعرف بالصدق إن لم يصدَّق أن لا يُتَسارع إلى تكذيبه فيما يأتي من الأنباء، بل يوقَف في حاله[10] إلى أن يتبين[11] منه ما يُظهر كذبه. وقومه استقبلوه بالتكذيب و لم يعاملوا معه[12] معاملة من كان معروفا بالصدق والصيانة. والجن الذين صدَّقوه لم يكونوا عارفين بأحواله فيما قبلُ أنه صدوق أو ممن يُرتاب في خبره، ثم تسارعوا إلى تصديقه بما لاحت لهم الحجة[13] وثبت[14] عندهم آية الرسالة،

---

[1] الآية ٧ من هذه السورة.
[2] ر م: ولا ينكرون.
[3] سورة الأحقاف، ٣٠/٤٦.
[4] ر م – موسى.
[5] ر م: وهم.
[6] ن: وأسماعهم.
[7] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[8] سورة الأحقاف، ٢٩/٤٦.
[9] ن: يتسارعوا.
[10] ر: من الأنبياء بل يوقف في حاله؛ ث – في حاله.
[11] ر ث م: إلى أن تبين؛ ن: إلى أن يبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.
[12] ر م – معه.
[13] ث: الجنة.
[14] ر ن م: و يثبت.

وعاملوا معه معاملة من قد عُرف بالصدق، فدل أنهم كانوا في غاية من السفه. وفيه أيضا دلالة رسالته[١] صلى الله عليه وسلم، لأن قوله تعالى: **فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا** يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ،[٢] إلى آخر ما يحاورون[٣] فيما بينهم إخبار عن علم الغيب وهذا لا يعرف إلا بمن عنده علم الغيب،[٤] فثبت أنه بالله تعالى عَلِمَ.

ثم يجوز أن يكون الذي حملهم على الإيمان به ما عرفوا أنه أتى بالمعجز الذي يُعجز الخلق عن إتيان مثله، وبما وقفوا على[٥] إحكام معانيه وحسن تأليفه ونظمه. وفيه[٦] أن رسول الله صلى الله لم يَشعر بمجيئهم حتى أوحي إليه أنه قد أتاه نفر من الجن واستمعوا إلى ما أوحي إليه، فيكون فيه دلالةٌ على فساد قول الباطنية حيث يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قَبِلَ الوحي بالجسد الروحاني، لأنه لو كان كما وصفوا لرأى[٧] الجن عند ما حضروا إليه، إذ[٨] الجسد الروحاني مما يُبصر الجنَّ[٩] ولم يكن يوحى إليه فيعرف أن قد حضره نفر من الجن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام أن يراه على صورته، فقال له جبريل: إنك لا تطيقه، لأن الأرض لا يسعني ولكن انظر إلى أفق السماء.[١٠] ولو كان يأخذ الوحي بالجسد الروحاني لكان قد رأى جبريل عليه السلام على صورته، فيبطل فائدة هذا[١١] السؤال.

---

[١] م: رسالة رسول الله.

[٢] الآية التالية.

[٣] جميع النسخ: إلى آخر القصة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.

[٤] ر م - وهذا لا يعرف إلا بمن عنده علم الغيب.

[٥] ر: فساد.

[٦] ر ث م - وفيه.

[٧] ر: الرأي.

[٨] م - إذ.

[٩] ر ث: الحق.

[١٠] وحكى الثعلبيّ عن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: «إني أحبُّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء» قال: لن تقدر على ذلك. قال: «بلى» قال: فأين تشاء أن أتخيّل لك؟ قال: «بالأبطح». قال: لا يسعُني. قال: «فبِمِنًى؟» قال: لا يسعني. قال: «فبعرفات؟» قال: ذلك بالحريّ أن يسعني. فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت، فإذا هو قد أقبل بخَشْخَشةٍ وكَلْكلةٍ من جبال عَرَفات، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب؛ ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض. فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خرّ مغشيًا عليه، فتحول جبريل في صورته، وضمه إلى صدره. وقال: يا محمد! لا تخف؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تُخوم الأرض السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانًا من خشية الله، حتى يصير مثل الوَصَع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٤١؛ وانظر أيضا: *معالم التنزيل* للبغوي، ٨/٣٥٠).

[١١] ر: هذه؛ م - هذا.

فثبت أن الأمر ليس كما زعموا، بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وأنه كما وصفه الله تعالى بقوله: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ،[1] الآية. قال القُتَبِي: النفر ما بين الثلاثة إلى التسع.[2]

وقوله عز وجل: **إنا سمعنا قرآنا عجبا**. قال بعضهم: العجب الغريب، وإنما استغربوا ذلك منه لأنهم سمعوا من أمي لا يعرف الكتابة ولا يقرأ الكتب. ومنهم من قال بأن حسن[3] تأليفه ونظمه ورَصْفه[4] هو الذي حملهم على التعجب. ومنهم من قال: إنما تعجبوا من آياته

[٨٥١و] وحججه، / لأنه جاء في تثبيت التوحيد وإثبات الرسالة وإثبات البعث، ولم يكن لهم معرفة بالوحدانية بل كانوا أهل شرك، ولم يكونوا أهل معرفة بالبعث ولا بالرسالة[5] فكانت الآيات عجيبة حيث قررت عندهم هذه الأوجه. *والله أعلم*.

ثم في هذه السورة[6] وفي قوله تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ،[7] إخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يَشْعُر بمجيئهم. وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما تلا على[8] أصحابه سورة الرحمن قال لأصحابه: «إن الجن كانوا أحسن إجابةً منكم، إني تلوت عليهم[9] هذه السورة فكانوا يقولون: ما بشيء[10] من آلائك[11] نكذّب رَبَّنا فلك الحمد».[12] ففي هذه الخبر دلالة أنه قد رآهم وشعر بمجيئهم، فيكون فيه[13] إثبات الوجهين جميعا أن قد شعر مرة ولم يشعر أخرى. ثم يجوز أن يكون رآهم بما قوّى الله عز وجل بصره

---

[1] سورة الكهف، ١٨/١١٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٦.

[2] ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ يقال: "النفر" ما بين الثلاثة إلى العشرة (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٨٩).

[3] ث: بأحسن.

[4] ر م: ووصفه.

[5] ر م: والرسالة.

[6] ر ث م – السورة.

[7] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٩.

[8] ن – على.

[9] ر: عليكم.

[10] ر ث م: ما شيء.

[11] ن: من الآلائك.

[12] عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذّبان﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد» (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٥٥).

[13] م – فيه.

حتى احتمل إدراك الجن وضعفت أبصار غيره عن رؤيتهم،[1] ألا ترى أن أهل الجنة يرون الملائكة عند ما يأتيهم بالتُّحف من ربهم فيقوّي[2] الله عز وجل بصرهم حتى يعاينوا الملائكة بجوهرهم وإن ضعفت أبصارهم عن الرؤية في الدنيا، فعلى ذلك[3] يجوز أن يكون الله قوّى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى رأى الجن على صورتهم. وجائز أن يكون الله تعالى[4] صوّر الجن على صورة[5] الإنس حتى رآهم وشعر بمجيئهم. *والله أعلم*.

ثم ما ذكرنا من السببين[6] في أمر مجيء الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول السورة من قول أهل التأويل لا يُقطَع القول بذلك وإن كان في حد الإمكان والجواز، لأنهم تكلفوا استخراج ذلك بالتدبّر[7] والاجتهاد، وما كان سبيل معرفته الاجتهادَ لم يجز أن يقطع القول فيه بالشهادة. وقد يجوز أن يكون الذي حملهم على المجيء غيرَ ذَيْنك الوجهين. وهو أن يكون النفر من منذري الجن، لأنه ذُكر أن من الجن نُذُرًا[8] وأن الرسل من الإنس دون الجن. فتفرقوا[9] على[10] رجاء أن يظفروا برسول فيتلقّفوا منه ما يقومون[11] به بالنذارة فيما بين قومهم. أو[12] كانوا يصعدون إلى السماء فيسمعون الأخبار وينذرون[13] قومهم بها. ثم انقطع علم[14] ذلك عنهم حيث لم يجدوا مسلكا إلى الصعود، لأنها قد مُلئت حرسا[15] وعلموا أن الله عز وجل لا يبقيهم[16] حَيَارى،[17]

---

[1] ن: عن رؤسهم.
[2] ر: فيقري.
[3] جميع النسخ: ففي ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.
[4] ن – قوى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى رأى الجن على صورتهم وجائز أن يكون الله تعالى.
[5] ث + الإنس.
[6] جميع النسخ: من السندين. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ن م: بالتدبير.
[8] جميع النسخ: نذيرا. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: فيفرقوا.
[10] ث – على.
[11] جميع النسخ: ما يقوموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: إذا؛ ن ث: إذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ن م: وتنذروا؛ ث: وينذروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر: على.
[15] انظر: تفسير الآية ٨ من هذه السورة.
[16] ر: لا يبقهم؛ ن – لا يبقيهم.
[17] م: حبارى.

ويقطع عنهم وجه المعرفة.[١] فتفرقوا في الأرض رَجاءَ أن يظفروا بمن يزيل عنهم الشُّبه ويُوضِح لهم الحجج والبراهين، فوصلوا إلى مقصودهم من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أو يجوز[٢] أن يكون عندهم أن لا أحدَ في الأرض من جني أو إنسي يكذب على الله كما حكى الله عنهم بقوله: وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا،[٣] فلما تحقق عندهم الكذب خافوا على أنفسهم أن يُبتلوا بها وأن يشتبه عليهم الصراط السويّ، فتفرقوا في الأرض على رجاء أن يظفروا بمن يدلهم على الطريقة المُثْلى حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يكونوا لما صعدوا إلى السماء فرأوها مملوءة من الحرس والشهب أيقنوا أن ذلك لحادث[٤] خَبَرٍ[٥] أو خافوا حلول نقمة بأهل الأرض، فتفرقوا في البلاد لعلهم يصلون إلى علم ذلك.

ثم الذي يُحَقق[٦] كون هذا الخبر وهو أن السماء قَدْ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا[٧] في حق الكفرة انقطاعُ الكهنة بعد ذلك، ولو كان[٨] الأمر على خلاف هذا لكانوا لا ينقطعون. لأن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيأتون الكهنة بما يسمعون من الأخبار ويُلْقُونها إليهم فيضلوا بها الخلق، فلو لم يُمنعوا عن السماء لكانوا لا ينقطعون، ومن ادعى الكهانة اليوم فلا يجد عنده خبرا حادثا سوى ما تلقفوه من ألسن الرسل عليهم السلام، وكان أمر الشهاب أمرا ظاهرا عرفتْه الكفرة فيما بينهم. فكانت هذه حجة سماوية برسول الله صلى الله عليه وسلم مقررِة عند الكفرة رسالته، إذ لم يدع أحد منهم بكون[٩] الشهاب قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فصار انقطاع الكهنة دليلا على صدقه في مقالته.[١٠] *والله المستعان*.[١١]

---

[١] ن: المعروفة.

[٢] ر م: ويجوز.

[٣] الآية ٥ من هذه السورة.

[٤] ر م: الحادث.

[٥] ن: خبرا.

[٦] ر ث م: تحقق.

[٧] من الآية ٨ من هذه السورة.

[٨] ن – ولو كان.

[٩] ن: يكون.

[١٠] ر: ومقالته.

[١١] ن: والمستعان.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **يهدي إلى الرشد فآمنا به**، أي إلى الحق على ما ذكرنا بيانه في سورة الأحقاف في قوله تعالى: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ.[١] وقوله عز وجل: **ولن نشرك بربنا أحدا**، قال أبو بكر الأصم: إنهم كانوا من[٢] مشركي العرب فتبرءوا من الشرك بما استمعوا وسمعوا[٣] القرآن بقولهم: **ولن نشرك بربنا أحدا**، وقد يحتمل هذا الذي قاله.[٤] ويحتمل أنه لم يسبق منهم الإشراك بل كانوا من جملة الموحدين ولكنهم أحدثوا إيمانا بما سمعوا من القرآن وأحدثوا تبريا من الشرك. وقد يتبرأ المرء من الشرك عند ما يحدث له زيادة إيقان،[٥] وإن لم يسبق منه الإشراك، كما قال موسى عليه السلام: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.[٦]

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**. اختلف في تأويل الجد، فمنهم من يقول بأن هذه الكلمة يُتكلم[٧] بها فيمن يظفر بكل ما يريده،[٨] فيوصف بأنه ذو جد. فجائز أن يكونوا أرادوا بهذا أن ربنا هو الظافر بكل ما يريده / لا يستقبله خلاف[٩] ولا تمسه[١٠] [٨٥١ظ] حاجة. وعلى هذا التأويل قوله [عليه الصلاة والسلام]: «ولا يَنفَع ذا الجد منك الجد»،[١١] أي من كان له الجد في الدنيا، فإذا كان في تقدير الله تعالى خلاف ذلك لم يغنه ذلك من عذاب الله شيئا. وإن كان هذا هو المراد، فمعناه أن من هذا وصفه يتعالى عن أن يكون له شريك

---

[١] سورة الأحقاف، ٣٠/٤٦.

[٢] ر م – من.

[٣] ث: واستمعوا.

[٤] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩ظ.

[٥] م: الإيقان.

[٦] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.

[٧] ن: تتكلم.

[٨] ن: ما يزيد.

[٩] ر م: خلافه.

[١٠] جميع النسخ: ولا يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م + الجد. إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطيَ لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». (صحيح *البخاري*، الأذان ١٥٥؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ١٩٤).

أو يحتاج إلى صاحبة أو إلى اتخاذ ولد، لأن هذه الأشياء كلها أمارات[1] الحاجة،[2] ومن ظفر[3] بكل ما يريده لم يقع له[4] حاجة. وجائز أن يكون الجد صلة ومعناه: تَعَالَى رَبُّنَا. وجائز أن يكون الجد عبارة عن العظمة والرفعة، يقال: فلان جَدّ في قومه، إذا عظُم وشرُف فيهم. وقال الحسن: **تعالى جدُّ ربنا**، أي غِنَى رَبِّنا.[5] ألا ترى كيف ذكر الله تعالى عند ما نزه نفسه عن اتخاذ الأولاد بقوله: قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ.[6] وقد ذكر اتخاذ الولد هاهنا على إثر قوله عز وجل: **جَدُّ ربنا**. ومنهم من يقول: تأويله مُلْكُ ربّنا، وجائز أن يكون أريد به قوة ربنا. فتعالى ربنا عن كل ما لو[7] نسب إليه كان فيه نسبته[8] إلى فعل الرذالة والتسفل. ثم الحق أن لا يتكلم [في][9] تفسير قوله: **جد ربنا**، هاهنا، لأنه حكاية عن مقالة الجن فمراد هذه الكلمة إنما يعرف بإخبار الجن.

ثم الشرك فيما جرى به الكتاب على أوجه أربعة. مرة على العبادة، بقوله عز وجل: وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا،[10] وشرك في الخلق، بقوله عز وجل: أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[11] وشرك في الحكم،[12] بقوله تعالى: وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا،[13] وشرك في الملك، بقوله: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ.[14] فثبت أن الشرك يقع مرة في العبادة،[15] ومرة في الخلق،[16] ومرة في الملك، ومرة في الحكم؛ فهم بقولهم: وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا،[17] تبرءوا عن الشرك من هذه الأوجه الأربعة.

---

[1] ن: كلها مارات.
[2] ر: لحاجة.
[3] ث: ومن يظفر.
[4] ر ث م – له.
[5] *تفسير الحسن البصري*، ٣٦٧/٢؛ و*تفسير عبد الرزاق*، ٣٥١/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٣٠/٢٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٨/٨.
[6] سورة يونس، ٦٨/١٠.
[7] ر ث م – لو.
[8] جميع النسخ – نسبته. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٩ظ.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] سورة الكهف، ١١٠/١٨.
[11] سورة الرعد، ١٦/١٣.
[12] ن: في الحكمة.
[13] سورة الكهف، ٢٦/١٨.
[14] ث – بقوله ولم يكن له شريك في الملك. سورة الإسراء، ١١١/١٧؛ وسورة الفرقان، ٢/٢٥.
[15] ث: على العبادة.
[16] ر م: في العباد.
[17] الآية السابقة.

ثم إذا كان الجد عبارة عن الذي يَظْفَر بكل ما يريده، ففيه ما ينقض على المعتزلة قولهم، لأنهم يزعمون أن الله تعالى أراد من كل كافر الإيمان، فإذا لم يؤمنوا فهو غير ظافر بما يريد على قولهم. ويدخل عليهم النقض[١] من وجه آخر، وهو أنا قد بينا أن الشرك قد يقع مرة في الخلق، وهم ينفون خلق الأفعال عن الله تعالى، وإذا نفَوا ذلك فقد جعلوا له في الخلق شِرْكا.[٢] وقد أخبر عز وجل أنه هو المتفرد[٣] بخلق الخلائق، فثبت أن الأفعال من حيث الخلق والإنشاءُ من الله تعالى، ومن جهة الكسب والفعل للخلق. فمن الوجه الذي يضاف إلى الله تعالى لا يجوز[٤] أن يضاف من ذلك الوجه إلى الخلق عندنا، فلا يقع في الخلق تشابه، لأنه لا يتحقق[٥] من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق[٦] من الله تعالى. ألا ترى أنه يضاف الملك إلى الله تعالى وإلى الخلق. ثم لا يقع في ذلك[٧] إشراك لأنه من الوجه الذي يضاف إلى الله تعالى لا يتحقق[٨] ذلك الوجه في الخلق، لأن الإضافة إلى الخلق على جهة المجاز والإضافة إلى الله تعالى[٩] على جهة التحقيق. فكذلك إضافة الأفعال إلى الله تعالى وإلى الخلق لا توجب[١٠] الشرك لاختلاف الجهتين. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**، لأن اتخاذ الصاحبة من الخلق لغلبة الشهوة وهو منشئ[١١] الشهوات، فلا يجوز أن يغلبه ما هو خَلْقه، فيبعثَه ذلك على اتخاذ الصاحبة. وبهذا نرد[١٢] على من زعم أن الملائكة بنات الله، والبنات يحدثن من الصاحبة، وهو تعالى لم يتخذ صاحبة فأنى تكون[١٣] له بنات. وقوله عز وجل: **ولا ولدا**، فالأصل أن الأولاد يرغب فيهم المرء لإحدى خصال: إما لما يناله من الوحشة فيطلب الولد ليستأنس بهم،

---

[١] ر م: انتقض.

[٢] ر ث م: شركاء.

[٣] ن: المنفرد.

[٤] ر ن م: ولا يجوز.

[٥] جميع النسخ: لا يحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠و.

[٦] جميع النسخ: يحقق.

[٧] ن – في ذلك.

[٨] جميع النسخ: لا يحقق. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر م – لا يحقق ذلك الوجه في الخلق لأن الإضافة إلى الخلق على جهة المجاز والإضافة إلى الله تعالى.

[١٠] ر م: لا يجب؛ ن ث: لا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر: منسئ.

[١٢] ر: ترد؛ ن: يرد.

[١٣] ر ث م: تحدث من الصحابة وهو متعال لم يتخد صاحبة فأنى يكون.

أو يرغب فيهم لما حل به[١] من الضعف فيريد أن يستنصر بهم،[٢] أو لما يخاف[٣] زوال ملكه فيطلب الولد ليأمن من زواله. وجل الله سبحانه[٤] وتعالى عن أن يلحقه وحشة أو يصيبه ضعف أو يخاف زوال الملك. فإذا كانت الطرق التي بها يُرغب في اكتساب الأولاد منقطعةً في حقه لزم تنزيهه عن اتخاذ الأولاد. ولهذا ما ذكر عند ما ينسبه[٥] الملحدة إلى اتخاذ الأولاد [من] غناه بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[٦] أي غني عن كل الوجوه التي تتوجه[٧] إلى اتخاذ الأولاد. ***وبالله التوفيق.***

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا**، فمنهم من ذكر أن سفيههم إبليس، وليس هذا براجع[٨] إلى الواحد على الإشارة إليه بل هو براجع[٩] إلى كل من يوجد منه فعل السفه. ألا ترى أنه إذا قيل: كان يقول مُسِيئُنا[١٠] كذا، أو كان يقول فاسقنا كذا لم يُعْنَ به مسيء ولا فاسق[١١] واحد على الإشارة،[١٢] بل يراد به كل معروف بالإساءة والفسق، فعلى ذلك قوله: **وأنه كان يقول سفيهنا**، ليس بمقتصَر على الواحد بل هو راجع إلى كل من يوجد منه ذلك.

ثم في هذه الآية دلالة أن النَّفَر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا من أهل الكفر، لأنهم لو كانوا أهل شرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه إلى غيرهم ويخرجون أنفسهم منه وقد وُجد منهم فعل السفه، ولو كانوا مشركين أيضا لكانوا يقولون مكان هذه الكلمة: وإنا كنا نقول على الله شططا، ليكون ذلك منهم توبة ورجوعا عما كانوا فيه من الشرك والكفر،

---

[١] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠و.
[٢] ر م: أن يستنصرهم.
[٣] ن + من.
[٤] ن – سبحانه.
[٥] جميع النسخ: عند ما يشتبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إنْ عِنْدَكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٨).
[٧] جميع النسخ: يتوجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: يرجع؛ ن: يراجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م – إلى الواحد على الإشارة إليه بل هو راجع.
[١٠] م: مسيئا.
[١١] جميع النسخ: لم يعن به فاسق ولا مسيء. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م: على الإساءة.

وشكرا بما أنعم الله عليهم من عظيم النعم[١] بأنْ هداهم[٢] للإيمان لا أن يضيفوا ذلك / إلى سفهائهم، [٨٥٢و]
فثبت أنهم كانوا مؤمنين. والشطط الجور،[٣] وقال بعضهم: الكذب، وقال بعضهم: الظلم. والشطط هاهنا الجَور، والجور ما أتوا به من القول الفاحش وهو الشرك بالله تعالى. وهذا يبين[٤] أن الجور قبيح في كل الألسن وفيما بين أهل الأديان. ألا ترى كيف سفَّهوا من يقول على الله تعالى بالجور.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا.** ذكر أبو بكر الأصم أنهم كانوا اعتقدوا أن لله[٥] تعالى صاحبة وولدا،[٦] بما سمعوا الجن والإنس يقولون ذلك، وكان عندهم أنهم في ذلك صادقون، فذلك المعنى هو الذي حملهم على القول بأن لله تعالى ولدا وصاحبة، فلما ظهر عندهم كَذِب من يدعى اتخاذ الولد والصاحبة تبرءوا عمن يقول ذلك، فثبت بهذا أنهم كانوا أهل شرك إلى ذلك الوقت. فلما استمعوا إلى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ولَاحَتْ لهم الحجج وارتفعت عنهم الشبه[٧] آمنوا به وتبرءوا من مقالتهم[٨] المتقدمة.[٩] وقد يحتمل غير ما ذكره أبو بكر من التأويل، وهو أن القوم[١٠] كانوا أُنشِئوا على الهدى والإيمان، فكانوا يظنون أن الجن والإنس على الهدى وأنهم لا يَكذبون على الله تعالى حتى ظهر عندهم كَذب الإنس والجن[١١] بقولهم: إن لله[١٢] ولدا وصاحبة. وجائز أن يكون معناه أنا كنا نظن أن لا تسخو[١٣] نفس أحد من الممتحنين بالكذب على الله تعالى بما أراهم الله قبح الكذب وقرر عندهم بالحجج والأدلة تنزيهه عن اتخاذ الأولاد والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك بما أظهروه بألسنتهم.

---

[١] ر ث م: النعمة.
[٢] ر: بأن عداهم.
[٣] ث: لا يجوز.
[٤] ر م: تبين.
[٥] م: أن الله.
[٦] ر م: ولا ولدا.
[٧] ر م: الشبهة.
[٨] م: عن مقالتهم.
[٩] ر م: المقدمة.
[١٠] ر م: أن القول.
[١١] ن: بكذب الجن والإنس.
[١٢] ر: إن الله.
[١٣] ر ن م: أن لا يسخوا؛ ث: أن لا يسخو.

ثم الذي يدل على أن التأويل الذي ذكره أبو بكر ليس بمحكم أنه قد كان في الجن والإنس مصدّق يصف الله تعالى[1] بالتنزيه، وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة، ألا ترى إلى قوله حكاية عنهم: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[2] وإلى قوله: وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ،[3] ولا يحتمل أن يقع عندهم أن الفريقين جميعا على الصواب، ولكن كان في ظنونهم أن القوم[4] جميعا على الهدى على ما هم عليه، فلما تبين[5] عندهم الكذب من أولئك قالوا هذا القول. *والله أعلم.*

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا،** ذكر[6] أن الإنس، وهم قوم من العرب، كانت إذا نزلت بواد[7] استجارت بسيد الوادي، وقالت: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. ثم اختلف بعد هذا، فمنهم من ذكر أنهم كانوا يجيرونهم،[8] ومنهم من زعم أنهم كانوا لا يجيرونهم[9] وكان ذلك يزيد[10] في رهق الإنس والجن. وقالوا: الرهق الخوف والفَرَق،[11] كذلك روي عن أبي رَوْق.[12] ومنهم من يقول: هو الذلة والضعف، فكانوا يزدادون الضعف والذلة والخوف والفرق[13] بامتناعهم عن الإعاذة.[14]

---

[1] ث: له تعالى.
[2] الآية ١٤ من هذه السورة.
[3] الآية ١١ من هذه السورة.
[4] ر م: بأن القوم.
[5] ر ن ث: فلا تبين.
[6] ر م: وذكر.
[7] ر ن م: بوادي.
[8] ر ث م: يخبرونهم.
[9] ر م: لا يخبرونهم.
[10] ر: تريد.
[11] ث: والغرق.
[12] ر ث م: أبي رؤف. أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهزاني. حدث هو وأبوه من قبله. وهو من أهل البصرة. يروي عن ميمون بن مهران الكاتب، وعبد الله بن شبيب المكي. روى عنه جماعة كثيرة منهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الجندي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ وغيرهما. ومات بعد سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة (*الأنساب* للسمعاني، ٣٢٩/١٢).
[13] ر ث: الغرق.
[14] ر ث م: عن الإعادة.

ومنهم من يقول بأنهم كانوا يجيرون[١] من استجارهم،[٢] ولكن مع هذا كانوا يفرقون منهم ومن كيدهم في الأماكن التي لم يستجيروا فيها إليهم وفي غير الأوقات التي وقعت فيها الإجارة. وعلى اختلافهم اتفقوا أن الجن هي التي كانت تزيد[٣] الإنسَ رهقا. وقيل: إن هذا[٤] الفعل من الإنس وهو الاستجارة[٥] بهم شرك، لأن الله تعالى هو[٦] المجير، فكان الحق عليهم أن يستجيروا بالله تعالى ليدفع عنهم مكايد الجن وأن لا يروا لأنفسهم ناصرا غير الله جل جلاله، فإذا فزعوا في الاستجارة إلى الجن فقد رأوا غير الله تعالى يقوم[٧] عنهم بالذب والنصر، فكان ذلك منهم إشراكا. ولأن الجن أضعف من الإنس، ألا ترى أنها تختفي من الإنس[٨] وتتصور[٩] بغير صورتها فَرَقًا لئلا يَشعُر بها الإنس،[١٠] وبلغ في ضعفها أنها لا تقدر على إتلاف أحد من البشر، ولا تقدر[١١] على سلب أموالهم ولا إفساد طعامهم وشرابهم. واستنصار[١٢] القويّ بالضعيف إراءة الذِلة؛ فيخرج[١٣] تأويل من قال بأن الرَّهَق هو الذلة[١٤] والضعف على هذا.

ومنهم من يقول بأن الإنس هي التي كانت تزيد[١٥] الجن رهقا. وقالوا: الرهق التجبر والتكبر، وقيل: هو السفه والجهل، وقيل:[١٦] هو[١٧] المأثم. وقال القُتَبِي: هو العيث[١٨] والظلم،[١٩]

---

[١] ر م: يخبرون.
[٢] ن: من استخارهم.
[٣] ن: تريد.
[٤] ر ن ث: بأن هذا.
[٥] ن: الاستخارة.
[٦] ر م – هو.
[٧] ر م: لقوم.
[٨] ر م: يختفي من الأصل.
[٩] جميع النسخ: ويتصور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠ظ.
[١٠] ر م – الإنس؛ ن: الإنسي.
[١١] ر ث م: ولا يقدر.
[١٢] ن: واستبصار.
[١٣] ر ن ث: الزلة فيخرج؛ م: الذلة فتخرج.
[١٤] ر ث م: هو الزلة.
[١٥] ن: يزيد؛ م: يريد.
[١٦] ر م – وقيل.
[١٧] ر ث م: هي.
[١٨] ر ث م: هو العبث. العيث: الإسراع في الفساد والأخذ بغير رفق (*لسان العرب*، «عيث»).
[١٩] ر م: في الظلم.

يقال: فلان مرهق في دينه إذا كان مفسدا. ووجه زيادة الرهق هو أن الرؤساء من الجن كانوا[١] يرون لأنفسهم الفضل على أتباعهم من الجن وعلى الإنس جميعا بما رأوا من افتقار الإنس إليهم حتى احتاجوا إلى الاستعاذة بهم، فكان يتداخلهم الكبر من ذلك ويزدادون به تجبرا وتعظما،[٢] فكان ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل. وكذلك أكابر الكفرة من الإنس كانوا يمتنعون عن الإجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون لأنفسهم من الفضل على من سواهم. ألا ترى[٣] إلى قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا[٤] الآية. فمن زعم أن الرهَق هو[٥] الإثم أو السفه أو الجور أو الظلم أو العيث[٦] يرجع كله إلى هذا المعنى الذي ذكرنا، لأن سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر والتكبر، لأنه كان لا يستعيذ بهم إلا الجاهل السفيه، وليس في إعاذة الجاهل السفيه[٧] مَنقَبَة[٨] مما يُتكبرَّ لأجلها وهم بتكبرهم [٨٥٢ظ] ازدادوا مأثما[٩] وبُعدا من رحمة / الله تعالى. *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [٧]

وقوله عز وجل: **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا**، فجائز أن يكونوا نفوا القدرة عن الله تعالى بالبعث لما لم يشاهدوا البعث ورأوه أمرا خارجا عن طوقهم وقواهم، فظنوا أن القدرة لا تنتهي إلى هذا، لا أن يكونوا نفوا خروج البعث عن حد الحكمة، لأنهم لو أرادوا به نفي البعث لكانوا يقتصرون على قولهم: **لن يبعث الله**، فلما وصلوا به الكلام الذي يتكلم به للتأكيد وهو قوله: **أحدا**، دل أنهم نفوا القدرة. وجائز أن يكونوا ظنوا أن لن يبعث[١٠] الله لأنه أمر خارج عن[١١] الحكمة، إذ[١٢] ليس من الحكمة أن يُهلَك

---

[١] ر م – كانوا.
[٢] ن: وتعاظما.
[٣] ر م: ألا يرى.
[٤] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.
[٥] ر – هو.
[٦] ر ث م: أو العبث.
[٧] ر ث م – السفيه.
[٨] ر: منفية؛ م: منفبة.
[٩] ر ث م: إثما.
[١٠] ر: أن لا نبعث؛ ن ث: أن لا بعث.
[١١] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠ظ.
[١٢] ر: أنه.

ثم يُعاد بل إذا أريد[١] الإبقاء لم يُفْنَ[٢] حتى لا يُحْوجَ إلى الإعادة. ثم هذا الكلام ليس بحكاية عن الجن بل الله تعالى أخبر[٣] أن الجن ظنت أن لا بعث كما ظننتم أنتم. وقوله عز وجل: **ظننتم**، في الظاهر إشارة إلى الإنس جملةً مسلمهم وكافرِهم، ومعلوم بأن المسلمين لم يكونوا يظنون ذلك، بل قد أيقنوا بالبعث، ولكن معناه أن الكفرة من الجن ظنت أن لا بعث كما ظنت الكفرة منكم أيها الإنس.

ثم[٤] في هذه الآية إبانة أنهم كانوا يقولون: لا بعث، بالظن ليس بالعلم. والذي حملهم على الظن إعراضهم عن السبب الذي يوجب القول بالبعث، وكل يأنف بطبعه[٥] أن يَلزم الظنونَ، وفيه[٦] دعاء وترغيب إلى النظر في حجج[٧] البعث وترك الاعتماد على الظنون. ثم ذكر النحويون أن ما كان[٨] ابتداؤه بالكسر في هذه السورة أعني حرف "إنّ" فهو حكاية عن الجن، نحو قوله تعالى: فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا،[٩] وما كان فيه من الحكاية لا عن الجن فحقه أن يقرأ بالنصب، فاختاروا النصب في قوله عز وجل: **وأنهم ظنوا كما ظننتم**، لما ليس هو بحكاية عن قول الجن. ***والله أعلم.***

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**، فجائز أن يكون لمسهم السماء ليجدوا أبوابها فيدخلوا فيها للاستماع،[١٠] إذ أخبارها ليست في جملة آفاق السماء ولا أبوابُها محيطة بجملة السماء، فكانوا يلمسونها ليظفَروا بأبوابها فيدخلوا فيها. وجائز أن يكون أريد من لمس السماء لمسَ أبوابها، فكانوا يلمسون أبوابها[١١] ليفتحوها فيدخلوا فيها فيستمعوا[١٢] إلى الأخبار.

---

[١] ر م: إذا زيد؛ ث: ثم يعابل إذا أريد.
[٢] ر: لي يغني؛ ن: لمن يفن؛ م: لن يفني.
[٣] ر م – أخبر.
[٤] ر م – ثم.
[٥] ر ث م: بالطبعه.
[٦] جميع النسخ: ففيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[٧] ر ن م: في الحجج.
[٨] ر م: أن كان.
[٩] الآية ١ من هذه السورة.
[١٠] م: للاستمتاع.
[١١] ر م ليظفروا بأبوابها وجائز أن يكون أريد لمن أبوابها.
[١٢] ر ث م: فيستمعون.

وقوله عز وجل: **فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**، فجائز أن يكون بعض الأبواب ملئت من الحَرَس وبعضها من الشُّهب، فإن أتوا إلى الأبواب التي ملئت من الحَرَس دفعتهم الحرس وطردتهم، وإن أتوا إلى الأبواب التي فيها الشهب تبعتهم الشهب، كما قال عز وجل: وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.[1] وجائز أن يكون الأبواب كلها مملوءة من الحرس والشهب جميعا، لأن الحَرَس لم يمتحنوا بالحراسة خاصة بل امتُحِنوا بها وبغيرها[2] من الأعمال، فجائز أن يكون اشتغالهم بذلك الأعمال يمنعهم عن الحَرَس، فإذا رأوا استراق السمع في وقت شغلهم تبعهم[3] الشهاب الثاقب وقذفهم عن مرادهم. وجائز أن يصعد الجن إلى المكان الذي لا يراهم الملائكة ويسمع الجن كلامهم، لأن المرء قد يتكلم بكلام فينتهي صوته إلى حيث لا يراه البصر، فيكون الشهب تحت الحرَس فيُقذَفون عنها بالشهب. *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**،[4] قيل: الشهاب من الكواكب والرصد من الملائكة. الأصل في ذلك أن الجن قد حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبر السماء وكانوا يسترقون السمع قبل ذلك حتى انقطع أمر الكهنة،[5] إذ لا يجوز أن يأتوا بخبر السماء وقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان [لا][6] يختلط أمر الكهنة بأمره صلى الله عليه وسلم، فحُبسوا عن الصعود إلى السماء وإتيان الخبر عنها[7] حتى انقطع أمر الكهنة، فجاءهم الرسول بعد ذلك ليعلموا أن ذلك ليس بكهانة وإنما هو وحي يأتيه[8] من السماء، إذ لو كانت كهانة كان غيره لا يمنع عن مثله كما في سالف الزمان. فهذه الآية كأنها[9] حكاية عن قول الجن[10] لَمّا رجعوا إلى قومهم منذرين قالوا هذا كلّه لقومهم.

---

[1] سورة الصافات، ٨/٣٧.
[2] جميع النسخ: به وبغيره.
[3] جميع النسخ: تبعتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[4] ن + قيل حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[5] ر م: أنفع من الكهنة؛ ث: انقطع من الكهنة.
[6] جميع النسخ: كان يختلط. والزيادة من المرجع السابق.
[7] ث – عنها.
[8] جميع النسخ: ثابتة. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: كأنه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن – الجن.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم[1] رشدا**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما لا ندري[2] بما قُطعت بالحَرَس والشُّهُب أخبارُ السماء عن أهل الأرض وحُبِس الذين يصعدون السماء عن أخبار السماء، ويُقْذفون من كل جانب[3] أريد[4] بأهل الأرض الشر، وهو إنزال العذاب عليهم، أم أريد[5] بهم أن يُرسَل إليهم[6] رسول يُرشدهم. وجائز أن يكونوا أيقنوا أن أخبار السماء إنما انقطعت عن أهل الأرض بما يرسل إليهم من الرسول، فيكون الرسول هو الذي يخبرهم بما لهم إليه من حاجة، ولكنهم لم يدروا أنه أريد بهم الرَّشَدُ بإرسال الرسول أو الشر، لأنهم كانوا علموا أن من آمن بالرسول المبعوث ونظر إليه بعين الاستهداء والإرشاد[7] فقد رشد، ومن نظر إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء أُسْتُؤْصل[8] فلم يدروا أيكذّبون الرسول فيحِلَّ بهم الهلاك في العاقبة، أو يصدقونه فيَرْشَدوا به. وهذا يبين[9] أن العواقب في الأشياء هي المقصودة، وأن الحكيم[10] ما يفعل من الأمر يفعله[11] للعواقب. وفي هذا / إبانة أن الجن من المسلمين لم يكونوا معتزلة، إذ من قول المعتزلة أن الله تعالى [٨٥٣و] لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم[12] في الدين والدنيا في حقهم، والجن قد أيقنوا أن الله تعالى قد يريد الشر بمن يعلم أنه يؤثر فعل الشر على فعل الخير، ويريد الخير بمن يعلم أنه يؤثر[13] [فعل الخير][14] على فعل الشر.

---

[1] ن – ربهم.
[2] ن: لا يدرى.
[3] جميع النسخ + دحورا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[4] ر ث م – أريد.
[5] ر ن: أو أريد.
[6] ر م – إليهم.
[7] م: والاسترشاد.
[8] ر ث م: استوصلوا.
[9] ر م: تبين.
[10] ن: وأن الحكم.
[11] ن م: بفعله.
[12] ن – لهم.
[13] جميع النسخ: يؤثره. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] الزيادة من المرجع السابق.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك**، قال بعضهم: الصالحون هم المؤمنون، ودون ذلك هم[١] الكافرون. ويشبه أن يكون الصالحون، ودون[٢] ذلك ليس على الإيمان والكفر، لأن هذا قد ذكر فيما تقدم من الآيات بقوله: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[٣] ولو كان التأويل على ما ذكروا لكان يقع موقع التكرار، ولكن تأويله عندنا **وأنا منا الصالحون**، أي منا مَن عُرف بالصلاح والسِّتْرِ[٤] ومنا دون ذلك وهم الفسقة، فيكون فيه إبانة أن كل أهل دين فيهم الصالح المرضيُّ وفيهم الفاسق المفسد في دينه؛ قال الله تعالى: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ،[٥] ولو لم يكن منا غير صالح لم يكن لاشتراط[٦] الصالحين معنًى، وكقوله تعالى: وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ،[٧] فلو لم يكن منا أهل فسق لم يقل هذا.

وقوله عز وجل: **كنا طرائق قِدَدا**، أي أهواء متفرقة، ولم يذكروا في الأهواء المتفرقة[٨] الأصلح والأدون وذكروا[٩] ذلك عند ذكر الفاسق والصالح، لأن أهل الأهواء كلٌّ [منهم] في نفسه أنه هو المحق وغيره على الباطل، وأما الفاسق فهو يَعرف أنه يتعاطى بفسقه ما لا يحل له ويرتكب ما نهي عنه، وكذلك كل من شاهد فسقه يعرف أنه على الباطل. وإذا كان[١٠] كذلك ظهر الدُّون فيه وظهر الصالح ولم يظهر ذلك في اعتقاد المذاهب فلم يتكلم فيه بالدون والصالح. ثم الطرائق[١١] هي المذاهب والأهواء، والقِدد القِطَعُ، يقال: قدَّه[١٢] أي قطعه، فمعناه أنا كنا على مذاهب متفرقة وأهواء متشتة.[١٣] ففي الآية أن في الجن أهواء متفرقة كما أن[١٤] ذلك في الإنس.

---

[١] ن: هو.
[٢] ر م: دون.
[٣] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٤] السِّتْر: الحياء والحِجْر والعقل (*لسان العرب*، «ستر»).
[٥] سورة النور، ٢٤/٣٢.
[٦] ر م: الاشتراط.
[٧] سورة الطلاق، ٦٥/٢.
[٨] ر ث م + في.
[٩] ر ث م: ذكروا.
[١٠] ر م: إذا كان.
[١١] ر ن: ثم الطريق.
[١٢] ر ن م: قد.
[١٣] ر ث: متسننة.
[١٤] ن ث – أن.

والأصل فيه أن طريق معرفة المذهب والدين الفكرُ والاجتهاد ليوصَل به[١] إلى الحق، والمجتهد قد يصيب الطريق مرة ويَزيغ عنه أخرى، فلهذا ما أصاب البعض من الخلائق الطريق المستقيمَ ومنهم من زاغ عنه. ويعلم بهذا أن سبيل الجن في التوحيد وسبيل الإنس واحد وهو الفكر والاجتهاد،[٢] وأن فيهم آيات متشابهةً كما في الإنس إذ عن المتشابه يتولد الزيغ، لذلك تفرقوا على أهواء متفرقة[٣] مختلفة. وأما أسباب الفسق مجتمعة، فيعرف بالمعاينة فيظهر الأدون والأرفع في الدين.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا.** ذكر أبو بكر الأصم أنهم[٤] على كفرهم ظنوا أن لا يعجزون الله تعالى، ولكن أكثر أهل التأويل ذكروا[٥] أن الظن هاهنا في موضع العلم. ويؤيد تأويلهم قراءة حفصة رضي الله عنها فإنها كانت تقرأ "وأنا[٦] علمنا أن لن نعجز الله في الأرض فَرَرَةً[٧] ولن نَسبقه هَرَبا".[٨] فقوله: **لن نعجز الله في الأرض،** أي لن نفوته[٩] ولا يتهيأ لنا أن نعجز الله بأهل الأرض عن إيصال[١٠] نقمته وعذابه إلينا. ويخرج قوله: **هربا،**[١١] على ذلك أي لو فررنا[١٢] من عذابه لن نعجزه أن لا يعذبنا؛ والفرار قد يكون بدون الطلب، قال الله عز وجل: فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ[١٣] ولم يرد به الفرار من الطلب، وأما الهرب فإنه لا يكون إلا عن طلب، فكأنهم قالوا: لا يتهيأ لنا الفرار عن عذاب الله تعالى لكثرة الأعوان والأنصار ولا يعجزه[١٤] هربنا عن طلب.

---

[١] ر: للتوصل؛ ث: التوصل؛ م: المتوصل.
[٢] ر ث م: وله اجتهاد.
[٣] ن – متفرقة.
[٤] جميع النسخ: أنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[٥] ر م: ذكر.
[٦] ر ث م: أنا.
[٧] ر ن ث: قرره.
[٨] قارن بما ورد في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠٦/٣.
[٩] جميع النسخ: لن يفوته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[١٠] ر: شر إيصال.
[١١] ن م: فرره.
[١٢] ر م: لو قررنا.
[١٣] سورة الذاريات، ٥٠/٥١.
[١٤] ن: ولا نعجزه.

أو أن يكون قوله عز وجل: لن نعجز الله في الأرض وإن دخلنا[1] تحت تُخوم الأرضين ولن نعجزه بالهرب على وجه الأرض، فيكون فيه إقرار بأنا لا نقدر[2] بالحيل والأسباب أن نحترز[3] من عذاب الله[4] تعالى، كما يتهيأ الاحتراز عن ملوك الأرض بالحيل والأسباب.

ثم مثل هذا الكلام يصدر عن أهل الإسلام، لأن مثل هذا الكلام إنما يتكلم به من يخاف حلول نقمة الله تعالى عليه والذي أيقن[5] بالبعث ويذكر مُقامه بين يدي ربه. وأما أهل الكفر فلم يؤمنوا بالبعث حتى يحملهم خوف العاقبة على النظر في مثل هذا، فثبت أن هذه المقالة صدرت عن أهل الإسلام ليس عن أهل الكفر كما[6] ذكره أبو بكر الأصم.[7] *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به**، فالهدى هو الدعاء إلى الحق، فيحتمل أن يكون لما دُعينا[8] إلى الحق وهو القرآن آمنا به، ألا ترى إلى قوله تعالى: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ،[9] أي يدعو إليه، وقال الله في أول السورة:[10] يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ.[11] ويجوز أن يكون الهدى هو الاهتداء، أي لمّا سمعنا ما به [الهدى][12] اهتدينا. وظن أبو بكر الأصم أنهم كانوا كفرة إلى أن سمعوا الهدى فآمنوا به، لأنه لو كانوا على الهدى من قبل لكان الإيمان منهم سابقا فلا يكون بقوله: **آمنا به** -وقد آمنوا من قبل- معنى. وليس يثبت كفرهم بما ذكر، لأنه قد يجوز أن يكونوا على الإيمان فلما سمعوا[13] الهدى أحدثوا إيمانا بهذا الهدى على ما سبق منهم من الإيمان بالجملة،

---

[1] ث: وإن دخلنا.

[2] م: لا يقدر.

[3] ن: أن يحترز.

[4] ن: من الله.

[5] ر ث م: أتقن.

[6] ر م - كما.

[7] ر ث م + أن هذه المقالة صدرت.

[8] م: فأدعينا.

[9] ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (سورة الأحقاف، ٣٠/٤٦).

[10] ن: قال في أول السورة.

[11] الآية ٢ من هذه السورة.

[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.

[13] ر م: فلا سمعوا.

ألا ترى إلى قوله عز وجل: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[١] وقال: لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ،[٢] أي زادوا إيمانا بالتفسير[٣] على ما سبق منهم من الإيمان بالجملة، لا[٤] أنهم لم يكونوا من قبل مؤمنين فأحدثوه للحال. وكذلك / قال: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٥] وقد هُدوا الصراط المستقيم ولكنهم [٨٥٣ظ] يريدون بهذا الدعاء أن اهدنا بالإشارة إليه والتعيين الصراط المستقيمَ على ما هديتنا في الجملة. فكذلك إحداثهم الإيمان بما سمعوا من الهدى لا ينفي عنهم الإيمان فيما سبق من الأوقات، بل يجوز أن يكونوا مؤمنين من قبل، ثم يحدثون الإيمان[٦] بكل أمر يجيئهم من عند الله عز وجل، ولا يدل إيمانهم به على أنهم لم يكونوا من قبل مسلمين. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **فمن يؤمن بربه فلا يَخاف بَخْسا ولا رَهَقًا**، {قال رحمه الله:} إنه لا أحد من أهل الإيمان من جني ولا إنسي يخاف البخس والرهق من الله تعالى إلا المعتزلة، فإنهم يخافون ذلك لأنهم ليسوا يُخرجون مرتكبي الكبائر من الإيمان،[٧] ثم يطلقون القول فيهم أنهم يخلَّدون في النار، وفي التخليد خوف البخس والرهق، بل فيه ما يزيد على البخس؛ لأن البخس[٨] هو النقصان، وفي التخليد ذهاب منفعة الإيمان ومنفعة الخيرات التي سبقت[٩] منهم. وقال تعالى: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا،[١٠] والمعتزلة يزعم أنه لو أخذهم بالخطأ[١١] والنسيان كان جائرا.[١٢] وقال: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا،[١٣] وهم يزعمون أنه لو أزاغ قلوبهم بعد الهدى كان ذلك منه جورا وظلما، فهم أبدا على خوف من جور ربهم.

---

[١] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).

[٢] ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ (سورة الفتح، ٤/٤٨).

[٣] ر م: لتفسير.

[٤] ر م - لا.

[٥] سورة الفاتحة، ٦/١.

[٦] ث - الإيمان.

[٧] ر م - من الإيمان.

[٨] ر م - لأن البخس.

[٩] م + سبقت.

[١٠] سورة البقرة، ٢٨٦/٢.

[١١] ن: بالخطيا.

[١٢] ر م: جائزا.

[١٣] سورة آل عمران، ٨/٣.

ونحن نقول بأنه لو أخذهم به كان يكون ذلك منه عدلا، وإذا عفا عنهم كان ذلك منه إنعاما وإفضالا؛ فنحن ندعو الله تعالى ونتضرع إليه أن لا يعاملنا بعدله فنَهْلِكَ بل يعاملنا بالإفضال والإنعام. وعلى قول المعتزلة من[1] ارتكب كبيرة رُدَّت عليه حسناته وصار عدوًّا لله تعالى وخلد[2] في النار أبدا الآبدين. والله يقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا [وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا].[3] وأولى[4] الحسنات التي تُستوجَب[5] عليها المضاعفة هو الإيمان بالله تعالى، فلا يجوز أن يُخلّد في النار ويُذهب عنه منفعة الإيمان. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثم قوله: **بخسا ولا رهقا**، يحتمل وجهين. أحدهما[6] البخس النقصان أي لا يُنْقص من حسناته، والرهَق الظلم -كقوله تعالى: فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا-[7] بأن[8] يُحمَل عليه من سيئات ارتكبها غيره. والثاني **فلا يَخاف بخسا**، أي لا يقبَل حسناتِه[9] إذا تاب، **ولا رهقا**، أي يظلم فلا يحسِب له من حسناته[10] شيئا.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون**، فالقاسط الجائر والمقسط[11] العادل. ثم في العدل ثلاث لغات، يقال: عدل عنه إذا مال وجار، وعدل به إذا جعل شريكا وعديلا، وعدل فيه إذا حكم بالعدل. وقوله عز وجل: **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا**، التحري والتوخي[12] هو القصد، فكأنه يقول: [فقد][13] قَصَدَ قصْد[14] الرشد بالإسلام.

[1] ر ث م – من.
[2] ر م – وخلد.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٢و. سورة النساء، ٤/٤٠.
[4] ث م: والو.
[5] جميع النسخ: يستوجب.
[6] م: أحدها.
[7] ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾ (سورة طه، ٢٠/١١٢).
[8] ن ث: فإن يحمل.
[9] ر م: حسنا.
[10] ر م: أي فظلم فلا يحسب له حسناته.
[11] ر م – والمقسط.
[12] ث: والترحي.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] ر ث م – قصد.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**، قال أبو بكر الأصم: دلت الآية على أن للجن[١] لحما ودما كما للإنس، لأنه قال في الإنس: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[٢] فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا.[٣] ولكن هذا لا يدل [على ذلك]، لأن اللحم من شأنه أن يحترق وينضج[٤] ولا يصلح أن يكون[٥] وقودا، ولكن الله تعالى باللطف صير لُحْمان الإنس وَقودا ليس أن صار حطبا بما كان لحما. فليس في الآية دلالة[٦] ما ذكر، بل فيه أن الجن قد امتحنوا بالعبادة كما امتُحن بها[٧] الإنس، وأنهم[٨] إذا عصوا ربهم استوجبوا العقاب مثل ما يستوجبه الإنس.

ثم ذكر عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: ليس للجن ثواب وعليهم العقاب إذا عصوا. ومعنى قوله: ليس لهم ثواب عندنا ليس يريد به أن الله تعالى لا يرضى عنهم إذا عبدوه ولا يَعظُم منزلتهم عنده، ولكنه يريد به أن الذي وعد للإنس من المآكل والمشارب والأزواج الحسان والحور في الجنة على الخلود ليس لهم، لأن الوعد من الله تعالى بها جرى للإنس ولم يَجرْ الوعد للجن ولا ذُكر ذلك في شيء من القرآن. والذي وعد به الإنس طريقه[٩] الإفضالُ والإنعام لا أن يكون ذلك حقا للإنس قِبلَه، فإذا لم يَجْرِ[١٠] لهم الوعد بذلك لم يجب القول لهم بالموعود. وأما العقاب فإن الحكمة توجب[١١] التعذيب لمن كفر به، فلا يجوز أن يكون الحكمة توجب[١٢] تعذيب الكفرة ثم لا يعذب الجن إذا كفروا، ولذلك وجب القول بعقابهم ولم يجب القول بالثواب. ***والله الموفق***.

---

[١] ر ن م: أن الجن.

[٢] سورة التحريم، ٦٦/٦.

[٣] ن – قال أبو بكر الأصم دلت الآية على أن الجن لحما ودما كما للإنس لأنه قال في الإنس وقودها الناس والحجارة فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا.

[٤] ر م: وينتضج.

[٥] ر ث م: أن يكونوا.

[٦] أي في قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطَبا﴾.

[٧] م: بالعبادة.

[٨] ن: فإنهم.

[٩] ر ن م: طريقة.

[١٠] ن: فإذا لم يجز.

[١١] ن: يوجب.

[١٢] ن: يوجب.

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**، اختلف فيه. فمنهم من قال: طريقة الهدى، ومنهم من قال: طريقة الكفر.

١) فمن قال: المراد هو طريقة الهدى قالوا: إن الطريقة المعروفة المعهودة هي طريق الله تعالى، فعند الإطلاق ينصرف[١] إليه، كالدين متى ذكر مطلقا ينصرف إلى دين الحق، وكذلك السبيل المطلق. قال الله تعالى: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٢] وهو الإسلام. ثم يخرج هذا على وجوه. أحدها ينصرف إلى الكفرة[٣] أنهم **لو استقاموا على الطريقة**، أي لو أجابوا إلى ما يدعَون إليه من الهدى **لأسقيناهم ماء غدقا**، أي وسّعنا عليهم العيش[٤] وكثرنا أموالهم. ويكون ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة، لأن سعة الدنيا كلها يتصل بالماء، والماء أصلها، قال الله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[٥] فأخبر أن رزق الخلق / من السماء. والذي [٨٥٤و] ينزل من السماء الماء[٦] وهو المطر وجعل ذلك رزقا إذ هو أصل رزق الخلق، فكذلك ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة من الوجه الذي ذكرنا. فإن كان على هذا فيكون الخطاب راجعا إلى الوقت الذي كانوا ابتُلوا فيه بالقحط والسِّنِينَ، فوعد لهم أنهم لو أجابوا إلى ما دعوا إليه يرفع عنهم القحطَ والسنين[٧] ويوسّع عليهم في الرزق؛ وهو كقول[٨] نوح[٩] وهود[١٠] وغيرهما[١١] ووعْدِهم[١٢] قومَهم بإرسال الأمطار وتكثير الأنزال[١٣] والأموال والأولاد ونحوه.

---

[١] ر: يتصرف.
[٢] سورة الفاتحة، ٦/١.
[٣] ن: إلى الكفر.
[٤] ر م – العيش.
[٥] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[٦] ر ث م: ماء.
[٧] ن – فوعد لهم أنهم لو أجابوا إلى ما دعوا إليه يرفع عنهم القحط والسنين.
[٨] ر م: قول.
[٩] ﴿فقلتُ استغفروا ربكم إنه كان غفارا يُرسلِ السماءَ عليكم مِدْرارا﴾ (سورة نوح، ١٠/٧١-١١).
[١٠] ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويَزِدْكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).
[١١] ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقَوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٩٦/٧).
[١٢] ر م: ووعد.
[١٣] ر ث م: الأمطار.

ويجوز[١] أن يكون هذا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا في أول الإسلام في ضيق الحال وشدة من العيش، وكانوا يتفرقون في الشعاب والأودية لشدة ما حل بهم من الجوع ليصيبوا من عُشْبها.[٢] وعند اشتداد الحال يخاف[٣] التغيير[٤] من أهلها والتبديلُ؛ فوُعِدوا السعةَ في العيش أن[٥] لو استقاموا على الطريقة التي كانوهم عليها أي داموا عليها و لم يبدلوا الدين الحق والهُدَى بالباطل، كما وعد لهم النصر والظفر على الأعداء مع قلة أنصارهم[٦] إن داموا على الإسلام.[٧] ويحتمل ما قال بعضهم: إن تأويل[٨] قوله عز وجل: **وأن لو استقاموا على الطريقة**، أي لو أسلم أهل الأرض كلُّهم جميعا[٩] لوسّعنا عليهم الدنيا وكثّرنا أموالهم وأولادهم حتى يُفتنوا فيها ويُمتحنوا[١٠] بمحن شديدة، فيتحمّل البعض منهم فيبقَوا مؤمنين ولا يتحمّل البعض فيبغُوا[١١] ويعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر حتى لا يقعَ التخلف في وعدنا. فإن الله تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين،[١٢] ولا يجوز أن يقع في وعيده خلف، وهم لو استقاموا على الطريقة و لم يَبغُوا أدى ذلك إلى خلف الوعيد، لأنها لا تملأ[١٣] إذا داموا على الطريقة و لم يبغوا. ويكون الحكمة في بغيهم أن يعرف الخلقُ أن الله لم يخلقهم لمنافع تحصل له،[١٤] ولكن خلقهم لأنفسهم، إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فعليهم،[١٥] ولو أبقاهم على الطريقة المستقيمة وظهرت الموالاة في الجملة لكان يسبق إلى الأوهام أنه إنما خلقهم لمنافع نفسه.

---

[١] ن - ويجوز.
[٢] ر ث م: من عيشها.
[٣] ن: تخاف.
[٤] جميع النسخ: النفس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٢ظ.
[٥] ر ث م: وأن.
[٦] ث: أبصارهم.
[٧] كما في قوله تعالى: ﴿ولا تهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٩/٣).
[٨] ر: تأويله.
[٩] ث م: جميع.
[١٠] ر: فيمتحنوا.
[١١] ر م: فيبقوا.
[١٢] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجِنّة والناس أجمعين﴾ (سورة السجدة، ١٣/٣٢).
[١٣] ر ن ث: لأنه لا يملأ؛ م: لأنه يملأ.
[١٤] جميع النسخ: يحصل له: والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] يقول الله تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (سورة الإسراء، ٧/١٧)؛ ويقول أيضا: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤٦/٤١).

وهذا من الله تعالى بيان علمه بما لا يكون أن لو كان كيف يكون، إذ الله تعالى علم الإيمانَ من البعض والكفرَ من البعض للحكمة التي ذكرنا وغيرِها مما يقف على بعضها الخلقُ دون البعض وحكم كذلك. ثم أخبر أنه لو حكم بأن يستقيم الكل على طريقة الحق ويؤمنوا لم يحكم على طريق[1] الأبد في حق الكل،[2] بل حكمُه أن يستقيم عليها البعضُ إلى مدة ثم يترك ويبدّل الحق بالباطل[3] ويدوم البعضُ عليها تحقيقا لما ذكرنا من الحكمة.[4] وهو كقوله تعالى: لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ،[5] أي لو لم يُفْرَض[6] عليهم الجهاد والخروج إلى القتال لبرز الذين[7] منتهى آجالهم القتل إلى حوائج أنفسهم فيُقْتَلُوا، بيانا منه[8] لحكمه[9] الذي [لم][10] يحكم أنه لو حكم كيف كان، فكذا هذا.

٢) وأما من قال: معناه طريقة الكفر فهو أن يكون المراد من الاستقامة[11] هاهنا الإقامة، ولفظة الإقامة يعبر بها عن الإقامة على الكفر والإسلام جميعا؛ ويكون الطريقة هاهنا إشارة إلى الطريقة التي كانوا عرفوها قبل الإسلام وهي الكفر -وإن كانت الطريقة إذا أطلق ذكرها أريد بها طريقة الهدى- لأن طريقة الكفر هي التي كانت معروفة فيما بينهم. وكذلك ذكر أهل التأويل أن الطريقة هاهنا طريقة الكفر.

وقوله:[12] **لأسقيناهم ماءً غدقا**، أي وسّعنا عليهم وكثرنا أموالهم ليعلموا جود ربهم حيث بسط عليهم الرزق مع اختيارهم عداوته كما بسط الرزق على أوليائه، وليعلموا حلمه حيث لم يؤاخذ هم بذنوبهم ولم يَعجل[13] بإنزال النقمة عليهم.[14] ***والله أعلم.***

---

[1] ن: على ظهر.
[2] ر ث م – الكل.
[3] ر ث: الباطل.
[4] ر: من الحكم.
[5] ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليَبتليَ الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٤).
[6] جميع النسخ: لم نفرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٢ظ.
[7] جميع النسخ + كتب عليهم القتل. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر: منه بيانا؛ م: منه بيان.
[9] ر ن: لحكمة؛ م: الحكمة.
[10] والزيادة من المرجع السابق.
[11] ر م: بالاستقامة.
[12] ر ث م: فقوله.
[13] ث: ولم يعمل.
[14] ر ث م – عليهم.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **لنفتنهم فيه**، فالفتنة المحنة[١] التي فيها الشدة، فإن كان هذا في أهل الكفر ففي بسط الرزق عليهم محنة شديدة، لأن ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يروا من الفضل على مَن دونهم في المال والسعة. ألا ترى إلى قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ،[٢] [وقال:][٣] وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا.[٤] وإن كان التأويل منصرفا إلى أهل الإسلام ففي التوسيع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتُحنّا به فيه شدة،[٥] قال الله تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[٦] فما من حال يعترض الإنسان إلا وله فيها شدة.

وقوله عز وجل: **ومن يُعرض عن ذكر ربه**، فجائز أن يكون ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته، أو يعرض عن توحيده، أو يعرضْ عن القرآن إذ هو ذكر. والإعراض هاهنا عبارة عن الإيثار والاختيار، أي من يختار ذكر غير الله تعالى على ذكره، أو طاعةَ غيره على طاعته. وقوله عز وجل: **يَسْلُكْه عذابا صَعَدا**، وقال في موضع آخر: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[٧] فجائز أن يكون الصعَد والصعود[٨] على التحقيق، كما ذكره أهل التفسير أنهم يكلفون بالصعود[٩] على جبل من نار لا يقدرون إلا بعد شدة عظيمة، ثم إذا بلغوا أعلاها يَهْوُون فيها، فذلك دأبهم. وجائز أن يكون على التمثيل، وذلك / لأن الصعود أشد من الهبوط،[١٠] فيكون الصعود عبارة عن المشقة هاهنا أنه[١١] يستقبله ما يَشُقّ عليه. وقيل المشقة التي[١٢] عليه هي[١٣] ما يَحُلّ به من العذاب متتابعا عذابا بعد عذاب. [٨٥٤ظ]

[١] ر + المحنة.
[٢] سورة السبأ، ٣٤/٣٤.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[٤] سورة الأنعام، ٦/١٢٣.
[٥] ر م – شدة؛ ث – فيه شدة.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.
[٧] سورة المدثر، ٧٤/١٧.
[٨] ر ث م – وقال في موضع آخر سأرهقه صعودا فجائز أن يكون الصعد والصعود.
[٩] جميع النسخ: الصعود. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: من الهيوط.
[١١] ر م: أن.
[١٢] ن + هي.
[١٣] جميع النسخ: هو. والتصحيح من المرجع السابق.

وقال القُتَبِي: الصَّعود المشقة، يقال: تصعّد عليّ هذا الأمرُ أي[1] شقّ[2] علي.[3] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما تصعّدني أمر ما تصعدني خطبة النكاح، أي ما شق عليّ.[4] ***والله أعلم***.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[١٨]

وقوله: **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**، أي ما يُسجد فيه هو البِقاع وما يسجد به هو الجوارح. فكأنه يقول بان البقاع التي يسجد فيها والأعضاءَ التي يُسجَد بها لله تعالى، لأنه هو الذي خلقها وأنشأها، والمساجد التي بنيت فإنما تبنى لعبادة الله تعالى وليُدعى[5] فيها، فلا تشركوا[6] غيره في العبادة والدعاء.[7] وقال بعضهم: أراد بالمساجد مسجد الحرام،[8] روي ذلك عن الضحاك وغيره. فكأنه إنما صرف التأويل إلى المسجد[9] الحرام لأن هذه السورة مكية ولم يكن في غيرها من البقاع مساجد. وقال بعضهم: المساجد هاهنا البِيَع والكنائس، لأن البيع والكنائس بنيت ليُعبد الله تعالى فيها[10] فنهاهم أن يعبدوا فيها غير الله. فيخرج هذا مخرج الاحتجاج أنكم قد علمتم أن المساجد بنيت ليعبد الله تعالى فيها فلا تعبدوا فيها غيره، أو إذا[11] كان الله منشئها وخالقها دون غيره، فكيف تشركون[12] معه غيره في العبادة والدعاء وليس هو بمنشئ لها.

وقوله عز وجل: **فلا تدعوا مع الله أحدا**، فجائز أن يكون [هذا][13] على الدعاء نفسِه فيكون معناه أنْ لا تدعوا[14] مع الله أحدا. لأن الإله اسم المعبود وكان القوم إذا عبدوا شيئا سموه إلها فيقول:

---

[1] ر م – أي.
[2] جميع النسخ: يشق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٩١.
[4] جميع النسخ: يصعّدني أمر ما يصعدني خطبة النكاح، أي ما يشق علي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[5] ث: وليدعها.
[6] جميع النسخ: فلا يشركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ن م: الدعاء.
[8] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٨/٢٧٠.
[9] ن + إلى المسجد.
[10] ث + غيره.
[11] ر م: وإذا.
[12] ر م: يشركون.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[14] ر ث م: أن لا يدعوا.

لا تدعوا[١] معه أحدا إلها، فإنه هو الإله وهو المستحق للعبادة[٢] من كل أحد. وجائز أن يكون أريد بالدعاء العبادة. قال عليه السلام: «الدُّعاء مُخُّ العبادة».[٣] وقال تعالى: أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[٤] فجعل دعاءهم إياه عبادة منهم له، فيكون قوله: **فلا تدعوا مع الله أحدا**، أي لا تشركوا غيره[٥] معه في العبادة. ***والله أعلم***.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**، فمنهم من يقول: إنهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة الرغبة فيه[٦] وموالاتهم له، فقوله: **كادوا يكونون عليه لبدا**، أي كاد[٧] يلتصق بعضهم إلى بعض ليَتصِلوا[٨] برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو **كادوا يكونون عليه**، أي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كادوا يلتصقون[٩] به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٠] حرصا على حفظ ما سمعوا أو تعجبا مما سمعوا.[١١] فكانوا[١٢] يحرصون على حفظ ما سمعوا؛ لأنهم كانوا من منذري الجن فحرصوا على حفظه ووعيه لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. وتعجبوا مما سمعوا، لأنهم سمعوه من مكان لم يكن مكان قراءة الكتب، وسمعوا من الأمي الذي لم يقرأ كتابا قط ولا عرف المكتوب، فتعجبوا منه أشد التعجب. والتلبد،[١٣] التصاق الشيء بالشيء التصاقا لا يُفْصل بعضه من بعض، وسمى اللِّبد لَبَدا من هذا، لأن الصوف يلتصق بعضه من بعض حتى لا يُمَيَّز.[١٤]

---

[١] ر م: لا يدعوا.
[٢] ن: للمعبودية.
[٣] سنن *الترمذي*، الدعوات ١.
[٤] سورة المؤمن، ٤٠/٦٠.
[٥] ن – غيره.
[٦] ر ث م + لبدا؛ ن + على جهة الرغبة فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[٧] ر ث م: كادوا.
[٨] جميع النسخ: ليتصلوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: يلتصقوا.
[١٠] ن + أو.
[١١] ر م – أو تعجبا مما سمعوا.
[١٢] جميع النسخ: فكان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: واللبد.
[١٤] ر ث م: لاسر.

ومنهم من زعم أنهم فعلوا هذا لشدة[1] معاداتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون على[2] هذا منصرفا إلى الكفرة: الإنس منهم والجن [جميعا]،[3] فيخبر أنهم اجتمعوا وتظاهروا ليطفئوا نور الله، فأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره. فإن كان منصرفا إلى الكفرة[4] فقوله: **لما قام عبد الله يدعوه،** معناه أي لما قام محمد صلى الله عليه وسلم يوحد الله تعالى ويدعو الخلق على عبادته وطاعته فهمّ المشركون من الإنس والجن[5] وتلبدوا[6] على هذا الأمر أن يطفئوه فأبى[7] الله تعالى إلا أن ينصره ويُمْضيَه. وإن كان هذا من أهل الإسلام من الجن فالدعاء[8] راجع إلى العبادة فكأنه يقول: لما قام بعبادة الله تعالى وهي الصلاة كادوا يكونون عليه لبدا لشدة حرصهم في تحفظ ما سمعوا وشدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولِمَا سمعوا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا،** ففيه إخبار عن دينه أن دينه التوحيد لا الإشراك بالله تعالى، وإخبار عما يدعو الخلق إليه، وذلك توحيد الله تعالى والقيام بطاعته. وجائز أن يكون هذا على إثْر سؤال منهم ودعوتهم إلى عبادة الأصنام على ما ذكر في الأخبار أنهم قالوا له: نعبد[9] إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما، وهو كقوله عز وجل: وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ [مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ]،[10] الآية. وجائز أن يكون كلاما مبتدأ يؤيسهم ويقنِّطهم[11] ويقطع طمعهم عن[12] عوده إلى ما هم عليه.

---

[1] ر ن م: هذه الشدة.

[2] ن – على.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.

[4] ر ث م – فيخبر أنهم اجتمعوا وتظاهروا ليطفئوا نور الله فأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره فإن كان منصرفا إلى الكفرة.

[5] ن: من الجن والإنس.

[6] ر: ويلبد؛ ن: ويلبدوا؛ م: ويلبدن.

[7] م + قال.

[8] جميع النسخ: والدعاء. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م: إنا نعبد؛ ن ث: لو نعبد. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] سورة المؤمن، ٤٠/٤١-٤٢.

[11] ن: وتغيظهم.

[12] ر م: على عوده.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا**، أي ضرا في الدين ورشدا في الدين. والأصل في الأسماء المشترِكة أن يُنظَر إلى مقابلها فيَظهر[١] مرادها بما يقابلها، قال الله تعالى: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[٢] والقاسط الجائر، وقد يكون غير الكافر جائرا، ثم صرف الجور إلى الكفر فظهر مراده بمقابله[٣] وهو قوله: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ. والضَّرّ قد يكون في الدين وفي المال والنفس، ولكنه لما ذكر قوله: **رَشَدا**، والرشد[٤] يُتكلم به في الدين عُلم أن[٥] قوله: **ضرا**، راجع إليه أيضا، فكأنه يقول: لا أملك إضلالكم ولا رُشدكم، إنما ذلك / إلى الله، [٨٥٥و] يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[٦] الآية.

والمعتزلة[٧] تزعم[٨] أن الله تعالى لا يملك رُشد أحد ولا غَيّه، بل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر[٩] مِلكا، لأنه يملك أن يدعو الخلق إلى الهدى بنفسه والله تعالى لا يملك ذلك إلا برسوله. وقال عز وجل: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[١٠] وقال: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[١١] ولو كان المراد من الهداية المضافةِ إلى الله تعالى الدعوة والبيانَ لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهديهم لأنه داع ومبيِّن، فثبت أن في الهداية من الله تعالى لطفا لا يبلغه تدبير البشر.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**، فكأنهم طلبوا منه ترك تبليغ الرسالة إلى قوم أو كتمانَ شيء مما أُمر بإظهاره أو محاباةَ أحد من الأجلَّة،

---

[١] ر م: فينظر.
[٢] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٣] ن: بمقابلة.
[٤] ن: وللرشد.
[٥] ث: أننا.
[٦] سورة النحل، ١٦/٩٣.
[٧] ث + هو.
[٨] جميع النسخ: يزعم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.
[٩] ر م: أكبر.
[١٠] سورة البقرة، ٢/٢٧٢.
[١١] سورة القصص، ٢٨/٥٦.

فأمر أن يخبرهم[١] أنه لا يجيره أحد من الله تعالى ولا يجد لنفسه ملجأ إن فعل ذلك سوى أن يبلّغ[٢] رسالات ربه فيجيره من عذابه ويكونَ[٣] له عنده ملجأ.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **إلا بلاغا من الله ورسالاته**، فمنهم من جعل قوله: **إلا بلاغا من الله ورسالاته**، استثناء من قوله: قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا،[٤] **إلا بلاغا من الله**، أي إني لا أملك لكم هدايتكم ولا إضلالكم إلا ما كُلِّفْتُ لأجلكم من تبليغ الرسالة. ومنهم من جعل هذا استثناء من قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ،[٥] إن عدلتُ عن أمره و لم أبلغ الرسالة فلا يجيرني من عذابه إلا أن أبلّغ[٦] الرسالة؛ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ،[٧] وقال: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[٨] لأنه[٩] لا يجوز أن يقع له الحاجة إلى الإجارة من عذاب الله تعالى و لم يقع[١٠] منه تقصير ولا تضييع يستوجب[١١] به العقاب، فلا بد من أن يمكن فيه ما ذكرنا من التقصير في التبليغ والعدول عما كُلِّف حتى يستقيم ذكر الإجارة فيه.

وذكر أبو معاذ صاحب التفسير[١٢] أن الاستثناء راجع إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، ليس إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ، واستدل على ذلك بقراءة[١٣]

---

[١] ر: أن يخبرهم؛ ث م: أن يجيرهم.
[٢] ر: أن تبلغ.
[٣] ر ث م: فيكون.
[٤] الآية ٢١ من هذه السورة.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ن: لن أبلغ.
[٧] سورة المائدة، ٥/٦٧.
[٨] سورة النور، ٢٤/٥٤.
[٩] م: الآية.
[١٠] ن: و لم يحِ.
[١١] ر: ليستوجب.
[١٢] بُكَيْر بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري، ويقال الدَّامِغاني (ت ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: *تهذيب التهذيب* لابن حجر، ١/٤٣٤؛ *وطبقات المفسرين* للسيوطي، ١/٤٢.
[١٣] ر: بقرائته.

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: "قل إني لا أملك لكم غيًا ولا رشدا إلا بلاغا من الله".[١] وليس فيما ذكر ما يوجب قطع[٢] الاستثناء عن قوله:[٣] قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، للوجه الذي ذكرنا؛[٤] ولأن أكثر أهل التأويل[٥] أجمعوا على صرف الاستثناء إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ، فلا يجوز أن يحمل قولهم على الخطأ بما[٦] ذكره أبو معاذ، ولما ذهبوا إليه وجه الصحة والسداد.

وجائز أن يكون البلاغ والرسالة واحدا فيكون الذي يبلغ بلاغا من الله ورسالاته ويكون ذلك على التكرار، وهو كقوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[٧] قيل: إنهما واحد. وجائز أن تكون الرسالة نفس ما أُنزل وهو الكتاب، والبلاغ ما أُودع فيه من الحكمة والمعاني. وكذلك قيل في قوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، إن الكتاب هو المنزّل نفسُه، والحكمة ما ضُمّن[٨] فيه من المعاني. وجائز أن يكون البلاغ من الله تعالى منصرفا إلى حكمه، ورسالاتُه إلى خبره،[٩] أو يكون رسالاته حكمه والبلاغ خبره، وهو كقوله تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا، أخباره وَعَدْلًا،[١٠] أحكامه. أو **بلاغا من الله**، حق الله عليهم، **ورسالاته**، بما به مصالحهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا،[١١] قالوا:[١٢] ملجأ ومُمالاً، أي موضعا[١٣] يمال إليه. والالتحاد الإمالة،[١٤] سمي اللحد لحدا من هذه[١٥] لأنه يمال عن سننه.

---

[١] ويدل عليه قراءة أُبي: غيا ولا رشدا. ومعنى الكلام أن النافع والضار، والمرشد والمغوي هو الله وأن أحدًا من الخلق لا قدرة له عليه (*مفاتيح الغيب* للرازي، ١٦٤/٣٠).

[٢] ر ث م: فيما ذكرنا قطع؛ ن: فيما ذكر بأقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.

[٣] جميع النسخ: على قوله. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ر م: ذكر.

[٥] ن: أهل التفسير.

[٦] ر م: لما.

[٧] سورة آل عمران، ٤٧/٣.

[٨] جميع النسخ: تضمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤و.

[٩] جميع النسخ: إلى غيره. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر - وعدلا. سورة الأنعام، ١١٥/٦.

[١١] ن: من هذا.

[١٢] ر ث م: مالولا؛ ن + لا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] ر م: وموضعا.

[١٤] المُلْتَحَد: الملجأ لأن اللاجئ يميل إليه. قال الفراء: ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ أي ملجأ ولا سَرَبا ألجأ إليه (*لسان العرب*، «لحد»).

[١٥] ن: من هذا.

وقوله عز وجل: **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**، وقال في موضع آخر: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[1] وقال: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا،[2] وكل من ارتكب المأثم فقد دخل في[3] حد العصيان وإيذاء الرسول. ولكن المراد هاهنا من يعتقد عصيان الرسول وأذاه، لأن الله تعالى أضاف الأذى والعصيان إلى نفسه ولا أحد يقصد قصد أذى الله[4] تعالى، والله عز وجل لا يؤذَى،[5] ولكن أضاف أذى الرسول وعصيانه إلى نفسه وقد كانوا يعتقدون عصيانه وأذاه، فجعل عصيانهم وأذاهم لرسوله أذًى منهم لله[6] تعالى وعصيانا له، فثبت أن هذا في الاعتقاد. وقال عز وجل:[7] مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ،[8] وقال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[9] فجعل طاعة الرسول طاعة له وعصيان[10] رسوله[11] عصيانا له؛ ولأنه ذكر العصيان على إثر[12] تبليغ الرسالة، فثبت أن العصيان هاهنا في ترك القبول بما أُنزل على الرسول وفي اعتقاد العصيان له. وروي عن أبي حنيفة[13] رحمه الله أنه قال: من آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو ليس بمؤمن لأن جهله بالله تعالى هو الذي حمله على تكذيب الرسول،[14] لأن الرسول ليس يدعوه إلا إلى ما يقربه / إلى الله تعالى وإلى ما ينجيه من عذابه، فلو كان يحب الله تعالى ويؤمن به لكان يدعوه ذلك إلى حب الرسول وإلى طاعته، فثبت أن المكذب للرسول جاهل بربه والمطيع له مطيع لله عز وجل. [٨٥٥ظ]

---

[1] سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣.
[2] سورة الأحزاب، ٣٦/٣٣.
[3] م – في.
[4] ن: لله.
[5] ن: ولا يؤذى.
[6] ر م: الله.
[7] ن: وقال الله تعالى و.
[8] سورة النساء، ٤/ ٨٠.
[9] سورة النساء، ٤/ ٦٥.
[10] ن: وعصيانا.
[11] ن: لرسوله.
[12] ر م – اثر.
[13] ث: عن أبيحنيفة.
[14] ن – الرسول.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا،** وقال في موضع آخر: فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا.[١] يحتمل[٢] أن يكون هذا في الدنيا والآخرة جميعا، ويكون ذلك راجعا إلى يوم بدر كما ذكره[٣] أهل التأويل إذ قد ظهر في ذلك اليوم أنهم شر مكانا وأضعف جندا وأضعف ناصرا. ويشبه أن يكون هذا في الآخرة، لأنهم[٤] يعلمون أنهم أقل عددا في الآخرة لأن كل واحد منهم تبرأ عن صاحبه وناصره ومعينه في الدنيا[٥] ويصير عدوا له فيقلُّ عددهم، وأما في يوم بدر فقد كانوا أكثر عددا من المسلمين فلم يتبين[٦] لهم أنهم أقل في العدد. ويجوز أن يكون يوم بدر يكون المسلمون أكثر عددا، لأن الله تعالى أمد[٧] المسلمين بملائكته فصار[٨] عددهم أكثر في التحقيق وإن كانت الكفرة في رأي العين[٩] أكثر منهم عددا.[١٠] ثم يشبه أن يكون هذه الآية نزلت على إثر تخويف الكفرة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم[١١] بكثرة عددهم وقوتهم في أنفسهم وقلة عدد المسلمين، فوعد الله تعالى نبيه عليه السلام بالنصرة وكثرة العدد عند وقوع الحاجة إليها. *والله التوفيق.*

---

[١] ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ (سورة مريم، ٧٥/١٩).

[٢] جميع النسخ: ويحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤و.

[٣] ر م: ذكر. قارن بما ورد في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠٨/٣.

[٤] ر م: فإنهم.

[٥] انظر مثلا: ﴿إذ تبرّأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كَرَّةً فَنَتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢-١٦٧).

[٦] ر م: فلم تبين.

[٧] ر: أعد.

[٨] ن: فكان.

[٩] ن – صلى الله عليه وسلم.

[١٠] يقول الله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزَلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ١٢٣-١٢٦)؛ وانظر أيضا: (سورة الأنفال، ٩/٨-١٠).

[١١] ر م – العين.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا**، فهذا ذَكَره عند ذكر الوعيد، وهو قوله: فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا،[١] فكأنهم سألوه متى وقتُ[٢] هذا الوعيد؟ فأمر أن يقول: **قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا**. قد ذكرنا فيما تقدم من الآيات أن ليس في بيان وقت الوعيد فضلٌ[٣] يقع في الوعيد بل إذا لم يبين وقتَ الوعيد كان فيه فضلٌ[٤] تخويف وتحذير لا يوجد فيما يبين، لأنه إذا بين[٥] فإن كان فيه أمدٌ سوَّف الناسُ وأخروا التوبة لما أمنوا حلول النقمة بهم إلى مجيء ذلك اليوم، وإذا لم يُمهَلوا صاروا إلى الإياس، فيرتفع الخوف والرجاء، وفيه ارتفاع المحنة،[٦] لأن المحنة[٧] في الأصل بالعمل على الرجاء والخوف. ولأنه إذا لم يبين كانوا على الحذر والخوف فيحملهم ذلك على التسارع في الخيرات والانقلاع عن المساوئ، فأُمر أن يقول هذا، وإلا فالذي [أمره][٨] بأن يقول هذا عالم بالوقت الذي يقع فيه الوعيد.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٢٦] ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول**. الأصل فيما غيّب الله تعالى عن الخلق أنه على منازلَ ثلاثةٍ. أحدها ما قد[٩] أعجز الخلق عن احتمال الوقوف عليه بالخلقة، نحو الكيانات[١٠] التي هي أصول الأشياء لو أراد أحد أن يعرف المعنى الذي به صلح أن يكون كيانا لم يقف عليه، ونحوَ الماء جُعل حياة لكل شيء ولو أراد أحد

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ر ث م: وقعت.
[٣] ن ث: فصل.
[٤] ث: فصل.
[٥] ث + فكا.
[٦] ن + والرجاء.
[٧] ر م – لأن المحنة.
[٨] ر ث م: والذي. الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.
[٩] ر: قد؛ م: فقد.
[١٠] ث: الكنايات.

أن يتعرف المعنى الذي به صلح أن يجعل حياة لم يقف عليه، وكذلك هذا في كل ما جعل كيانا موجود.[١] والثاني ما مكنَ الخلقَ[٢] معرفته وبلوغه إليه بالتأمل والنظر بدون معرفة السمع والأثر نحو معرفة[٣] الصانع ومعرفة وحدانيته. والثالث هو الذي لم يعجزهم عن إدراكه ولا مكنهم من الوقوف عليه دون خبر يَرِد. فقوله: **فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول،** في هذا وهو الذي[٤] مكنوا فيه، لكنهم لا يبلغونه إلا بمعونة الخبر.[٥] وذلك نحو الأشياء التي ترجع[٦] إلى مصالح الخلق والذي يوصل إلى مصالح الأغذية مما ظهر بين الخلق، ولكنها لا تعرف[٧] إلا بالسماع ممن[٨] له علم من الخلق وانتشاره فيهم،[٩] وهو بحيث لا يحتمل إدراكه بالنظر، فبيَّنَ أن ذلك بالرسول، ومتى وجد ذلك من شخص مشار إليه دل ذلك على الاختصاص له بالرسالة.

ثم ذكر بعضهم أن في هذه الآية دلالة تكذيب[١٠] المنجمة، وليس كذلك، لأن فيهم من يَصدق خبره ويعرف المَطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها يتوالد[١١] الخلق والتي يقع عندها التغير والتبدل، وذلك مما لا يوقف على علمه بالتأمل والتدبر. وكذلك المتطببة[١٢] منهم من يعرف طبائع النبات أنه[١٣] يصلح لكذا وهذا[١٤] يصلح لكذا فيقع به المصالح للخلق. ومعلوم[١٥] أن هذا [كله][١٦] من نوع ما لا يدرك بالتأمل والنظر، فعلم أنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقي علمه في الخلق. *والله أعلم.*

---

[١] جميع النسخ: موجودا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.
[٢] ر م – الخلق.
[٣] ن + نحو معرفة.
[٤] ر م: والذي.
[٥] م – الخبر.
[٦] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لا يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: فمن.
[٩] ر: وإشارة فهم؛ م: وإشارة فيهم.
[١٠] ر: يكذب؛ م: بكذب.
[١١] ر: توالد.
[١٢] ر: المتطبة.
[١٣] جميع النسخ: أنها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ث م + لا.
[١٥] ر م: معلوم.
[١٦] الزيادة من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **إلا من ارتضى من رسول**، أي اختاره[1] واصطفاه. والأصل أن الرسالة تُلزم[2] الخلق[3] الشهادة له بالصدق في كل خبر، وبالعدل[4] في كل حكم، بقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[5] وبالإصابة في كل أمر فيما لم يبلغ مبلغا يوجب الأمر، فهؤلاء يختصها[6] للرسالة وفي الاختصاص[7] نعمة عظيمة على الخلق، إذ به وصل الخلق إلى تعرّف ما تبلغهم[8] إليه الحاجة في أمر معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم.

وقوله عز وجل: **فإنه يَسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَدا**، قيل: رصدا من بين يدي الرسول ومن خلفه من الملائكة ليمنع الإنس عن الرسل في منعهم الرسل[9] عن التبليغ حتى يبلّغوا.[10] ذكر هذا / عن الحسن البصري رحمه الله. وكذلك قال في قوله: إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ.[11] [٨٥٦و] إن إحاطته هي أن يعصمه من الناس من أن يصل إليه منعُ الناس إياه عن تبليغ الرسالة. ويحتمل أن يكون الملائكة جُعلوا رصدا عن الجن عن استراق[12] ما يوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن تلقنه[13] حتى يكون الرسول هو الذي يبلغ إلى الخلق؛ ويشتهر ذلك فيما بين الخلق أن الرسول هو الذي قام بتبليغه إلى الخلق، لأنهم إذا لم يُجعلوا رصدا أمكن[14] الجنَّ أن يسترقوه ويبلغوه فيأتوا بلدة لم يتيسر عندهم علم ذلك من جهة الرسول، فيعرفوا ذلك من عند الجن قبل أن يبلغهم الرسول، فإذا بلّغ الرسول من بعدُ التبس الأمرُ

---

[1] ن: أي أخباره.

[2] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.

[3] ر م: خلق.

[4] م: بالعدل.

[5] سورة النساء، ٦٥/٤.

[6] ث: يخصصه.

[7] ر م + من.

[8] جميع النسخ: ما يبلغهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م – الرسل.

[10] قال ابن عباس وابن زيد: ﴿رَصَدًا﴾ أي حَفَظة يحفظون النبيّ صلى الله عليه وسلم من أمامه وورائه من الجنّ والشياطين (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٩/١٩).

[11] سورة الإسراء، ٦٠/١٧.

[12] ر م: استغراق.

[13] ن: وعن تلقته.

[14] ر م: لكن.

على الذين ظهر فيهم العلم من جهة الجن، فجعل عليهم رصدا حتى ينتشر علم ذلك من جهة الرسول، فيرتفع التشبيه.[١] أو يكون الرصد يمنع[٢] الجن الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغوا قومهم من الجن حتى ينتهي الخبر إليهم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: **من بين يديه ومن خلفه رصدا**، إن الملائكة كانوا يَرْصدون النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءه الملك قالوا هذا وحي من الله تعالى، وإذا جاءه الشيطان أخبروه[٣] به. ولكن هذا بعيد، لا يحتمل أن يخفى عليه وحي الشيطان من وحي جبريل عليه الصلاة والسلام. وقال بعضهم: **من بين يديه ومن خلفه رصدا**، أي بين يدي من يبلّغ[٤] الرسالة إلى الرسول وهو الملك الذي ينزل بالوحي جُعل بين يديه ومن خلفه ملائكة يرصدونه كي لا يستلب[٥] الشيطان عنه أو يُحدث[٦] فيه حدثا من التغيير والتبديل ليعلم رسول الله أنه إنما يبلغ إليه رسالة[٧] ربه. وهذا بعيد أيضا، لأن بالمبلّغ[٨] من القوة[٩] ما يدفع أذى الجن[١٠] عن نفسه وهو أمين لا يخاف منه التغيير والتبديل حتى يُجعل[١١] عليه الرصد فيُؤمَن من تبديله، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ،[١٢] فوصفه الله تعالى بالقوة والأمانة جميعا. لكنه جائز أن يكون المبلّغ ممتحَنا بالتبليغ والذين معه من الرصد امتُحنوا بأمور أُخَرَ لا أن جُعلوا رصدا من الجن. وجائز أن يكونوا أُرسلوا معه[١٣] لمكان تعظيم الوحي وتشريف الرسالة. *والله أعلم.*

---

[١] ن: المتشبهة.
[٢] ر ث م: تمنع.
[٣] م: أخبره.
[٤] ن: من تبليغ.
[٥] ث: كي يستلب.
[٦] جميع النسخ: ويحدث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥و.
[٧] ن ث: رسالات.
[٨] جميع النسخ: المبلغ. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: بالقوة.
[١٠] ر: أدى الخير؛ ث م: أدى الخبر.
[١١] ر: يجعله.
[١٢] ﴿إنه لقول رسولٍ كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ (سورة التكوير، ٨١/ ١٩-٢١).
[١٣] ر ث م – معه.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم**، قال قائلون: ليعلم محمد بالرصد أن قد بلّغ[١] سائر الرسل رسالات ربه[٢] على الوجه الذي أمروا كما بلّغ هو. والثاني أن يعلم كل[٣] في نفسه أن قد أبلغ رسالات ربه، أو ليعلم الأعداء أن قد بلغ[٤] محمد صلى الله عليه وسلم رسالات ربه على الوجه الذي أمر لم يقع فيه تغيير من شيطان ولا جني ولا عدو. وقوله عز وجل: **وأحاط بما لديهم**، أي بما عند الرسل،[٥] وبما عند الملائكة أو بما عند الخلق.

وقوله عز وجل: **وأحصى كل شيء عددا**، أي أحاط العلم بالذي هو معدود لا بالعدد،[٦] وهو كقوله عز وجل: وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ،[٧] أي ما يوزن[٨] عند الخلق. أو أحاط العلم بما لَدَى الكفرة لا بالرصد، وأن في نصب الرصد محنة وتكليفا على الرصد لا أن يقع بهم الحفظ، وهو كقوله عز وجل: هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.[٩] فبين أن النصر من عنده وأن الملائكة إنما أرسلت لتطمئن بها قلوب المؤمنين وتركن إليها طباعهم. **وأحصى كل شيء عددا**، أي كلُّ شيء[١٠] عنده معدود ومُحْصًى[١١] لا يَغْفُل جل جلاله عن معرفة[١٢] عدده ولا يعتريه أحوال يَعزُب عنه[١٣] فيها علم ذلك، خلافا لما عليه أمر[١٤] الخلق.

والله أعلم.[١٥]

[١] ر ن م: أبلغ.
[٢] ث: ربهم.
[٣] ث + نفس.
[٤] ر م: أبلغ.
[٥] ر م: الرسول.
[٦] ن: لا بالعد.
[٧] سورة الحجر، ١٥/١٩.
[٨] ر: ما يؤزن.
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٢٥-١٢٦.
[١٠] ر م – أي كل شيء.
[١١] ث: محصي.
[١٢] ث – معرفة.
[١٣] ر م: عنها.
[١٤] ن: من.
[١٥] ن: والله الموفق؛ ث: والله الموفق الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

سورة الجن

وهي عشرون وثمان آيات مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ ﴾

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: اختلف الناس قديمًا وحديثًا في ثبوت الجن ونفيه، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، وذلك لأن أبا علي بن سينا قال في رسالته في حدود الأشياء الجن: حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة، ثم قال: (وهذا شرح للاسم). فقوله: (وهذا شرح للاسم) يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج، وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمونها بالأرواح السفلية، وزعموا أن الأرواح السفلية أسرع إجابة إلا أنها أضعف، وأما الأرواح الفلكية فهي أبطأ إجابة إلا أنها أقوى. واختلف المثبتون على قولين: فمنهم من زعم أنها ليست أجسامًا ولا حالة في الأجسام بل هي جواهر قائمة بأنفسها، قالوا: ولا يلزم من هذا أن يقال: إنها تكون مساوية لذات الله لأن كونها ليست أجسامًا ولا جسمانية سلوب والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهية، قالوا: ثم إن هذه الذوات بعد اشتراكها في هذا السلب أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض بعد استوائها في الحاجة إلى المحل فبعضها خيرة، وبعضها شريرة، وبعضها كريمة محبة للخيرات، وبعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات، ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله، قالوا: وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالخبريات قادرة على الأفعال، فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر وتعلم الأحوال الخبرية وتفعل الأفعال المخصوصة، ولما ذكرنا أن ماهياتها مختلفة لا جرم لم يبعد أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة تعجز عنها قدر البشر، ولا يبعد أيضًا أن يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم، وكما أنه دلت الدلائل الطبية على أن المتعلق الأول للنفس الناطقة التي ليس الإنسان إلا هي، هي الأرواح وهي أجسام بخارية لطيفة تتولد من ألطف أجزاء الدم وتتكون في الجانب الأيسر من القلب ثم بواسطة تعلق النفس بهذه الأرواح تصير متعلقة بالأعضاء التي تسري فيها

هذه الأرواح، لم يبعد أيضًا أن يكون لكل واحد من هؤلاء الجن تعلق بجزء من أجزاء الهواء، فيكون ذلك الجزء من الهواء هو المتعلق الأول لذلك الروح ثم بواسطة سيران ذلك الهواء في جسم آخر كثيف يحصل لتلك الأرواح تعلق وتصرف في تلك الأجسام الكثيفة، ومن الناس من ذكر في الجن طريقة أخرى فقال: هذه الأرواح البشرية والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها وازدادت قوة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانية فإذا اتفق أن حدث بدن آخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن، فبسبب تلك المشاكلة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما لهذا البدن، وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن، فإن الجنسية علة الضم، فإن اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكًا وتلك الإعانة إلهامًا، وإن اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطانًا وتلك الإعانة وسوسة.

والقول الثاني: في الجن أنهم أجسام ثم القائلون بهذا المذهب اختلفوا على قولين: منهم من زعم أن الأجسام مختلفة في ماهياتها، إنما المشترك بينها صفة واحدة، وهي كونها بأسرها حاصلة في الحيز والمكان والجهة وكونها موصوفة بالطول والعرض والعمق، وهذه كلها إشارة إلى الصفات، والاشتراك في الصفات لا يقتضي الاشتراك في تمام الماهية لما ثبت أن الأشياء المختلفة في تمام الماهية لا يمتنع اشتراكها في لازم واحد. قالوا: وليس لأحد أن يحتج على تماثل الأجسام بأن يقال: الجسم من حيث إنه جسم له حد واحد، وحقيقة واحدة، فيلزم أن لا يحصل التفاوت في ماهية الجسم من حيث هو جسم، بل إن حصل التفاوت حصل في مفهوم زائد على ذلك، وأيضًا فلأنه يمكننا تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف، والعلوي والسفلي، ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام، فالأقسام كلها مشتركة في الجسمية، والتفاوت إنما يحصل بهذه الصفات، وهي اللطافة والكثافة، وكونها علوية وسفلية قالوا: وهاتان الحجتان ضعيفتان.

أما الحجة الأولى: فلأنا نقول: كما أن الجسم من حيث إنه جسم له حد واحد، وحقيقة واحدة، فكذا العرض من حيث إنه عرض له حد واحد، وحقيقة واحدة فيلزم منه أن تكون الأعراض كلها متساوية في تمام الماهية، وهذا مما لا يقوله عاقل، بل الحق عند الفلاسفة أنه ليس للأعراض ألبتة قدر مشترك بينها من الذاتيات، إذ لو حصل بينها قدر مشترك لكان ذلك المشترك جنسًا لها، ولو كان كذلك لما كانت التسعة أجناسًا عالية بل كانت أنواع جنس واحد إذا ثبت هذا فنقول: الأعراض من حيث إنها أعراض لها حقيقة واحدة، ولم يلزم من ذلك أن يكون بينها ذاتي مشترك أصلاً، فضلاً عن أن تكون متساوية في تمام الماهية، فلم لا يجوز أن يكون الحال في الجسم كذلك، فإنه كما أن الأعراض مختلفة في تمام الماهية، ثم إن تلك المختلفات متساوية في وصف عارض وهو كونها عارضة لموضوعاتها، فكذا من الجائز أن تكون ماهيات الأجسام مختلفة في تمام ماهياتها ثم إنها تكون متساوية في وصف عارض، وهو كونها مشارًا إليها

بالحس وحاصلة في الحيز والمكان، وموصوفة بالأبعاد الثلاثة، فهذا الاحتمال لا دافع له أصلاً.

وأما الحجة الثانية: وهي قولهم: إنه يمكن تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف فهي أيضًا منقوضة بالعرض فإنه يمكن تقسيم العرض إلى الكيف والكم ولم يلزم أن يكون هناك قدر مشترك من الذاتي فضلاً عن التساوي في كل الذاتيات فلم لا يجوز أن يكون الأمر هاهنا أيضًا كذلك إذا ثبت أنه لا امتناع في كون الأجسام مختلفة ولم يدل دليل على بطلان هذا الاحتمال، فحينئذ قالوا: لا يمتنع في بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الهواء في الماهية ثم تكون تلك الماهية تقتضي لذاتها علمًا مخصوصًا وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة، وعلى هذا التقدير يكون القول بالجن ظاهر الاحتمال وتكون قدرتها على التشكل بالأشكال المختلفة ظاهرة الاحتمال.

القول الثاني: قول من قال: الأجسام متساوية في تمام الماهية، والقائلون بهذا المذهب أيضًا فرقتان:

الفرقة الأولى: زعموا أن البنية ليست شرطًا للحياة، وهذا قول الأشعري وجمهور أتباعه وأدلتهم في هذا الباب ظاهرة قوية قالوا: ولو كانت البنية شرطًا للحياة لكان إما أن يقال: إن الحياة الواحدة قامت بمجموع الأجزاء أو يقال: قام بكل واحد من الأجزاء حياة على حدة، والأول محال لأن حلول العَرَض الواحد في المحال الكثيرة دفعة واحدة غير معقول، والثاني أيضًا باطل لأن الأجزاء التي منها تألف الجسم متساوية والحياة القائمة بكل واحد منها مساوية للحياة القائمة بالجزء الآخر وحكم الشيء حكم مثله، فلو افتقر قيام الحياة بهذا الجزء إلى قيام تلك الحياة بذلك الجزء لحصل هذا الافتقار من الجانب الآخر فيلزم وقوع الدور وهو محال، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ ثبت أن قيام الحياة بهذا الجزء لا يتوقف على قيام الحياة الثانية بذلك الجزء الثاني، وإذا بطل هذا التوقف ثبت أنه يصح كون الجزء الواحد موصوفًا بالحياة والعلم والقدرة والإرادة وبطل القول بأن البنية شرط، قالوا: وأما دليل المعتزلة وهو أنه لا بد من البنية فليس إلا الاستقراء وهو أنا رأينا أنه متى فسدت البنية بطلت الحياة ومتى لم تفسد بقيت الحياة فوجب توقف الحياة على حصول البنية، إلا أن هذا ركيك، فإن الاستقراء لا يفيد القطع بالوجوب، فما الدليل على أن حال من لم يشاهد كحال ما شوهد، وأيضًا فلأن هذا الكلام إنما يستقيم على قول من ينكر خرق العادات، أما من يجوزها فهذا لا يتمشى على مذهبه والفرق بينهما في جعل بعضها على سبيل العادة وجعل بعضها على سبيل الوجوب تحكم محض لا سبيل إليه، فثبت أن البنية ليست شرطًا في الحياة، وإذا ثبت هذا لم يبعد أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علمًا بأمور كثيرة وقدرة على أشياء شاقة شديدة، وعند هذا ظهر القول بإمكان وجود الجن، سواء كانت أجسامهم لطيفة أو كثيفة، وسواء كانت أجزاؤهم كبيرة أو صغيرة.

القول الثاني: أن البنية شرط الحياة، وأنه لا بد من صلابة في البنية حتى يكون قادرًا على الأفعال الشاقة فهاهنا مسألة أخرى، وهي أنه هل يمكن أن يكون المرئي حاضرًا والموانع مرتفعة والشرائط من القرب والبعد حاصلة، وتكون الحاسة سليمة، ثم مع هذا لا يحصل الإدراك أو يكون هذا ممتنعًا عقلاً؟ أما الأشعري وأتباعه فقد جوزوه، وأما المعتزلة فقد حكموا بامتناعه عقلاً، والأشعري احتج على قوله بوجوه عقلية ونقلية، أما العقلية فأمران: الأول: أنا نرى الكبير من البعد صغيرًا وما ذاك إلا أنا نرى بعض أجزاء ذلك البعيد دون البعض مع أن نسبة الحاسة وجميع الشرائط إلى تلك الأجزاء المرئية كهي بالنسبة إلى الأجزاء التي هي غير مرئية فعلمنا أن مع حصول سلامة الحاسة وحضور المرئي وحصول الشرائط وانتفاء الموانع لا يكون الإدراك واجبًا، الثاني: أن الجسم الكبير لا معنى له إلا مجموع تلك الأجزاء المتألفة، فإذا رأينا ذلك الجسم الكبير على مقدار من البعد فقد رأينا تلك الأجزاء، فإما أن تكون رؤية هذا الجزء مشروطة برؤية ذلك الجزء الآخر أو لا تكون، فإن كان الأول يلزم الدور لأن الأجزاء متساوية فلو افتقرت رؤية هذا الجزء إلى رؤية ذلك الجزء لافتقرت أيضًا رؤية ذلك الجزء إلى رؤية هذا الجزء فيقع الدور، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ رؤية الجوهر الفرد على ذلك القدر من المسافة تكون ممكنة، ثم من المعلوم أن ذلك الجوهر الفرد لو حصل وحده من غير أن ينضم إليه سائر الجواهر فإنه لا يرى، فعلمنا أن حصول الرؤية عند اجتماع الشرائط لا يكون واجبًا بل جائزًا، وأما المعتزلة فقد عولوا على أنا لو جوزنا ذلك لجوزنا أن يكون بحضرتنا طبلات وبوقات ولا نراها ولا نسمعها فإذا عارضناهم بسائر الأمور العادية وقلنا لهم: فجوزوا أن يقال انقلبت مياه البحار ذهب وفضة، والجبال ياقوتًا وزبرجدًا، أو حصلت في السماء حال ما غمضت العين ألف شمس وقمر، ثم لمَّا فتحت العين أعدمها الله؛ عجزوا عن الفرق، والسبب في هذا التشوش أن هؤلاء المعتزلة نظروا إلى هذه الأمور المطردة في مناهج العادات، فوهموا أن بعضها واجبة، وبعضها غير واجبة، ولم يجدوا قانونًا مستقيمًا، ومأخذًا سليمًا في الفرق بين البابين، فتشوش الأمر عليهم، بل الواجب أن يسوى بين الكل، فيحكم على الكل بالوجوب، كما هو قول الفلاسفة، أو على الكل بعدم الوجوب كما هو قول الأشعري.

فأما التحكم في الفرق فهو بعيد، إذا ثبت هذا ظهر جواز القول بالجن، فإن أجسامهم وإن كانت كثيفة قوية إلا أنه لا يمتنع أن لا تراها، وإن كانوا حاضرين هذا على قول الأشعري فهذا هو تفصيل هذه الوجوه، وأنا متعجب من هؤلاء المعتزلة أنهم كيف يصدقون ما جاء في القرآن من إثبات الملك والجن مع استمرارهم على مذاهبهم، وذلك لأن القرآن دل على أن للملائكة قوة عظيمة على الأفعال الشاقة، والجن أيضًا كذلك، وهذه القدرة لا تثبت إلا في الأعضاء الكثيفة الصلبة، فإذًا يجب في الملك والجن أن يكونا كذلك، ثم إن هؤلاء الملائكة حاضرون عندنا أبدًا، وهم الكرام الكاتبون والحفظة، ويحضرون أيضًا عند قبض الأرواح، وقد كانوا يحضرون

عند الرسول ﷺ، وأن أحدًا من القوم ما كان يراهم، وكذلك الناس الجالسون عند من يكون في النزع لا يرون أحدًا، فإن وجبت رؤية الكثيف عند الحضور فلم لا نراها وإن لم تجب الرؤية فقد بطل مذهبهم، وإن كانوا موصوفون بالقوة والشدة مع عدم الكثافة والصلابة فقد بطل قولهم: إن البنية شرط الحياة، وإن قالوا: إنها أجسام لطيفة وحية، ولكنها للطافتها لا تقدر على الأعمال الشاقة، فهذا إنكار لصريح القرآن، وبالجملة فحالهم في الإقرار بالملك والجن مع هذه المذاهب عجيب، وليتهم ذكروا على صحة مذاهبهم شبهة مخيلة فضلاً عن حجة مبينة، فهذا هو التنبيه على ما في هذا الباب من الدقائق والمشكلات، وبالله التوفيق.

المسألة الثانية: اختلفت الروايات في أنه عليه الصلاة والسلام هل رأى الجن أم لا؟.

فالقول الأول: وهو مذهب ابن عباس أنه عليه السلام ما رآهم، قال: إن الجن كانوا يقصدون السماء في الفترة بين عيسى ومحمد فيستمعون أخبار السماء ويلقونها إلى الكهنة فلما بعث الله محمدًا عليه السلام حرست السماء، وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت الشهب عليهم فرجعوا إلى إبليس وأخبروه بالقصة فقال: لا بد لهذا من سبب فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها واطلبوا السبب فوصل جمع من أولئك الطالبين إلى تهامة فرأوا رسول الله ﷺ في سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا والله هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[1] فأخبر الله تعالى محمدًا عليه السلام عن ذلك الغيب وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ كذا وكذا، قال وفي هذا دليل على أنه عليه السلام لم ير الجن إذ لو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحي فإن ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يسند إثباته إلى الوحي، فإن قيل: الذين رموا بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا القرآن هم الجن فكيف وجه الجمع؟ قلنا: فيه وجهان: الأول: أن الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين أخذ الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر، الثاني: أن الذين رموا بالشهب كانوا من الجن إلا أنه قيل لهم: شياطين كما قيل: شياطين الجن والإنس فإن الشيطان كل متمرد بعيد عن طاعة الله، واختلفوا في أن أولئك الجن الذين سمعوا القرآن من هم؟ فروى عاصم عن أبي ذر قال: قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبي ﷺ فسمعوا قراءة النبي ﷺ ثم انصرفوا فذلك قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩][2]

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (صفة الصلاة) باب (الجهر بالقراءة) (١/ ٢٦٧) حديث رقم (٧٣٩) ومسلم في (صحيحه) (٢/ ٣٥/ ١٠٣٤) كلاهما من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما... به.

(٢) أخرجه الطبري في (تفسيره) (٢٣/ ٦٤٨) من طريق مهران عن سفيان عن عاصم عن ورقاء... به وأخرجه الترمذي في (سننه) (٥/ ٤٢٦) حديث رقم (١٢٤٤٩) والبيهقي في (سننه الكبرى) (٢/ ١٩٤) حديث رقم (٢٨٩٠) وابن منده في (الإيمان) (٢/ ٧٠٤) حديث رقم (٧٠٢) جميعا من طريق أبي بشر جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... به الطبري في (تفسيره) (٢٣/ ٦٤٧). من طريق أبي هشام المخزومي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر=

وقيل: كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددًا وعامة جنود إبليس منهم.

القول الثاني: وهو مذهب ابن مسعود أنه أمر النبي ﷺ بالمسير إليهم ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم إلى الإسلام، قال ابن مسعود قال عليه الصلاة والسلام: «أُمِرْتُ أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجِنِّ فَمَنْ يَذْهَبُ مَعِي؟» فَسَكَتُوا، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ فَسَكَتُوا، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ قُلْتُ أَنَا أَذْهَبُ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْحَجُونَ عِنْدَ شِعْبِ ابْنِ أَبِي دُبٍّ، خَطَّ عَلَيَّ خَطًّا فَقَالَ: «لاَ تُجَاوِزْهُ»، ثُمَّ مَضَى إِلَى الْحَجُونِ فَانْحَدَرُوا عَلَيْهِ أَمْثَالَ الْحَجَلِ كَأَنَّهُمْ رِجَالُ الزُّطِّ يَقْرَعُونَ فِي دُفُوفِهِمْ كَمَا تَقْرَعُ النِّسْوَةُ فِي دُفُوفِهَا حَتَّى غَشَوْهُ، فَغَابَ عَنْ بَصَرِي فَقُمْتُ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنِ اجْلِسْ، ثُمَّ تَلاَ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَرْتَفِعُ، وَلَصِقُوا بِالأَرْضِ حَتَّى صِرْتُ أَسْمَعُ صَوْتَهُمْ وَلاَ أَرَاهُمْ[1]. وفي رواية أخرى فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيُّ اللَّهِ»، قَالُوا: فَمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: «هَذِهِ الشَّجَرَةُ، تَعَالِي يَا شَجَرَةُ»، فَجَاءَتْ تَجُرُّ عُرُوقَهَا لَهَا قَعَاقِعُ حَتَّى انْصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «عَلَى مَاذَا تَشْهَدِينَ لِي؟» قَالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «اذْهَبِي»، فَرَجَعَتْ كَمَا جَاءَتْ حَتَّى صَارَتْ كَمَا كَانَتْ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ، قَالَ: «أَرَدْتَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا كَانَ ذَلِكَ لَكَ، هَؤُلاَءِ الْجِنُّ أَتَوْا يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ فَزَوَّدْتُهُمُ الْعَظْمَ وَالْبَعْرَ، فَلاَ يَسْتَطِيبَنَّ أَحَدٌ بِعَظْمٍ وَلاَ بَعْرٍ»[2].

واعلم أنه لا سبيل إلى تكذيب الروايات، وطريق التوفيق بين مذهب ابن عباس، ومذهب ابن مسعود من وجوه أحدها: لعل ما ذكره ابن عباس وقع أولاً، فأوحى الله تعالى إليه بهذه السورة، ثم أمر بالخروج إليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود، وثانيها: أن بتقدير أن تكون واقعة الجن مرة واحدة، إلا أنه عليه السلام أمر بالذهاب إليهم، وقراءة القرآن عليهم، إلا أنه عليه السلام ما عرف أنهم ماذا قالوا، وأي شيء فعلوا، فالله تعالى أوحى إليه أنه كان كذا وقالوا كذا وثالثها: أن الواقعة كانت مرة واحدة، وهو عليه السلام رآهم وسمع كلامهم، وهم آمنوا به، ثم لما رجعوا إلى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ وكان كذا وكذا، فأوحى الله إلى محمد ﷺ ما قالوه لأقوامهم، وإذا كانت هذه الوجوه محتملة فلا سبيل إلى التكذيب.

=عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... به والطحاوي في (مشكل الآثار) (٥/ ٣٠٨) حديث رقم (١٩٣٣) من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... به وأبو عوانة في (مستخرجه) (٤/ ٤٢٩) حديث رقم (٣٠٧٧).

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الفاكهي في (أخبار مكة) (٦/ ٨٦) حديث رقم (٢٢٥١) من طريق ابن ثور عن ابن جريج قال أخبرني مخبر عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود... به والطبري في (تفسيره) (٢٢/ ١٣٦) من طريق يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة... به وفي إسناده مجهول وأيضا منقطع بين أبي عبيدة وأبيه فإنه لم يسمع منه.

(٢) انظر سابقه.

المسألة الثالثة: اعلم أن قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ أمر منه تعالى لرسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى الله في واقعة الجن، وفيه فوائد: إحداها: أن يعرفوا بذلك أنه عليه السلام كما بعث إلى الإنس، فقد بعث إلى الجن، وثانيها: أن يعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه، فآمنوا بالرسول، وثالثها: أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس، ورابعها: أن يعلم أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا، وخامسها: أن يظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان، وفي كل هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس.

المسألة الرابعة: الإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء كالإلهام وإنزال الملك ويكون ذلك في سرعة من قولهم: الوحي الوحي، والقراءة المشهورة، ﴿أُوحِىَ﴾ بالألف، وفي رواية يونس وهارون، عن أبي عمرو (وَحِى) بضم الواو بغير ألف وهما لغتان يقال: وُحِي إليه وأوحى إليه وقرئ (أُحِي) بالهمز من غير واو، وأصله وحي، فقلبت الواو همزة كما يقال: أُعِد وأُزِن و﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: فيه مسائل:

المسألة الأولى: أجمعوا على أن قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ بالفتح وذلك لأنه نائب فاعل أوحي فهو كقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأنعام: ١٩] وأجمعوا على كسر إنا في قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لأنه مبتدأ محكي بعد القول، ثم هاهنا قراءتان إحداهما: أن نحمل البواقي على الموضعين اللذين بينا أنهم أجمعوا عليهما فما كان من الوحي فتح، وما كان من قول الجن كسر، وكلها من قول الجن إلا الآخرين وهما قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن: ١٩]، وثانيهما: فتح الكل والتقدير: فآمنا به وآمنا بأنه تعالى جد ربنا وبأنه كان يقول سفيهنا وكذا البواقي، فإن قيل: هاهنا إشكال من وجهين: أحدهما: أنه يقبح إضافة الإيمان إلى بعض هذه السورة فإنه يقبح أن يقال: وآمنا بأنه كان يقول: سفيهنا على الله شططًا، والثاني: وهو أنه لا يعطف على الهاء المخفوضة إلا بإظهار الخافض لا يقال: آمنا به وزيد، بل يقال: آمنا به وبزيد، والجواب: عن الإشكالين أنا إذا حملنا قوله: آمنا على معنى صدقنا وشهدنا زال الإشكالان.

المسألة الثانية: ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة روي أن ذلك النفر كانوا يهودًا، وذكر الحسن أن فيهم يهودًا ونصارى ومجوسًا ومشركين، ثم اعلم أن الجن حكوا أشياء:

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝﴾

النوع الأول: مما حكوه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله: ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ أي خارجًا عن حد أشكاله ونظائره، و(عجبًا) مصدر يوضع موضع

العجيب ولا شك أنه أبلغ من العجيب، ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي إلى الصواب، وقيل: إلى التوحيد ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ويمكن أن يكون المراد فآمنا بالرشد الذي في القرآن وهو التوحيد ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به وهذا يدل على أن أولئك الجن كانوا من المشركين.

النوع الثاني: مما ذكره الجن أنهم كما نفوا عن أنفسهم الشرك نزهوا ربهم عن الصاحبة والولد. فقالوا: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: في الجد: قولان: الأول: الجد في اللغة: العظمة يقال: جد فلان أي عظم ومنه الحديث: «**كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ جَدَّ فِينَا**» أي جد قدره وعظم، لأن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها والولد للتكثر به والاستئناس، وهذه من سمات الحدوث وهو سبحانه منزه عن كل نقص.

القول الثاني: الجد: الغنى ومنه الحديث: «**لاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[(1)] قال أبو عبيدة: أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، وكذلك الحديث الآخر: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا الْفُقَرَاءُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ**» يعني أصحاب الغنى في الدنيا، فيكون المعنى وأنه تعالى غني عن الاحتياج إلى الصاحبة والاستئناس بالولد.

وعندي فيه قول ثالث: وهو أن جد الإنسان أصله الذي منه وجوده فجعل الجد مجازًا عن الأصل، فقوله تعالى: ﴿ جَدُّ رَبِّنَا﴾ معناه تعالى أصل ربنا وأصله حقيقته المخصوصة التي لنفس تلك الحقيقة من حيث إنها هي تكون واجبة الوجود فيصير المعنى أن حقيقته المخصوصة متعالية عن جميع جهات التعلق بالغير لأن الواجب لذاته يجب أن يكون واجب الوجود من جميع جهاته، وما كان كذلك استحال أن يكون له صاحبة وولد.

المسألة الثانية: قرئ (جَدًّا ربُّنَا) بالنصب على التمييز و(جِد ربنا) بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد، وكأن هؤلاء الجن لما سمعوا القرآن تنبهوا لفساد ما عليه كفرة الجن فرجعوا أولاً عن الشرك، وثانيًا عن دين النصارى.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب (الصلاة) باب (ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) (١/ ٢٠٥/ ٣٤٧) من طريق مروان بن محمد الدمشقي... به وأبو داود في كتاب (الصلاة) باب (ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) (١/ ٢٢٤) حديث رقم (٨٤٧) من طريق الوليد وأبو مسهر وبشر بن بكر وعبد الله بن يوسف... به والنسائي في كتاب (التطبيق) باب (ما يقول في قيامه ذلك) (٢/ ٥٤٤) حديث رقم (١٠٦٧) من طريق مخلد... به وأحمد في (مسنده) (٣/ ٨٧) قال: حدثنا الحكم بن نافع والدارمي في كتاب (الصلاة) باب (القول بعد رفع الرأس من الركوع) (١/ ٣١٤) حديث رقم (١٣١٣) من طريق مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز... به وابن خزيمة في (صحيحه) (١) حديث رقم (٦١٣) من طريق عبد الله بن يوسف وأبو مسهر وبشر بن بكر... به جميعًا (مروان، الوليد، أبو مسهر، بشر، ابن يوسف، مخلد، الحكم) عن سعيد بن عبد العزيز... به.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ ﴾.

النوع الثالث: مما ذكره الجن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ السفه خفة العقل والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في الصوم إذا أبعد فيه أي يقول قولاً هو في نفسه شطط لفرط ما أشط فيه.

واعلم أنه لما كان الشطط هو مجاوزة الحد، وليس في اللفظ ما يدل على أن المراد مجاوزة الحد في جانب النفي أو في جانب الإثبات، فحينئذ ظهر أن كلا الأمرين مذموم فمجاوزة الحد في النفي تفضي إلى التعطيل ومجاوزة الحد في الإثبات تفضي إلى التشبيه، وإثبات الشريك والصاحبة والولد وكلا الأمرين شطط ومذموم.

النوع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: معنى الآية: أنا إنما أخذنا قول الغير لأنا ظننا أنه لا يقال: الكذب على الله، فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم قد يكذبون، وهذا منهم إقرار بأنهم إنما وقعوا في تلك الجهالات بسبب التقليد، وأنهم إنما تخلصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والاحتجاج.

المسألة الثانية: قوله: ﴿ كَذِبًا﴾ بم نصب؟ فيه وجوه: أحدها: أنه وصف مصدر محذوف والتقدير أن لن تقول الإنس والجن على الله قولاً كذبًا، وثانيها: أنه نصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول، وثالثها: أن من قرأ: (أن لن تَقَوَّل) وضع كذبًا موضع تقوُّلاً، ولم يجعله صفة، لأن التقوّل لا يكون إلا كذبًا.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝ ﴾

النوع الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ **فيه قولان:**

الأول: وهو قول جمهور المفسرين أن الرجل في الجاهلية إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ بسيد هذا الوادي أو بعزيز هذا المكان من شر سفهاء قومه، فيبيت في جوار منهم حتى يصبح، وقال آخرون: كان أهل الجاهلية إذا قحطوا بعثوا رائدهم، فإذا وجد مكانًا فيه كلأ وماء رجع إلى أهله فيناديهم، فإذا انتهوا إلى تلك الأرض نادوا نعوذ برب هذا الوادي من أن يصيبنا آفة يعنون الجن، فإن لم يفزعهم أحد نزلوا، وربما تفزعهم الجن فيهربون، القول الثاني: المراد أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الإنس أيضًا، لكن من شر الجن، مثل أن يقول الرجل: أعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي، وأصحاب هذا التأويل إنما ذهبوا إليه، لأن الرجل اسم الإنس لا اسم الجن، وهذا ضعيف، فإنه لم يقم دليل على أن الذكر من الجن لا

يسمى رجلاً، أما قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال المفسرون: معناه زادوهم إثمًا وجرأة وطغيانًا وخطيئة وغيًّا وشرًّا، كل هذا من ألفاظهم، قال الواحدي: الرهق: غشيان الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقوله: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١] ورجل مرهق أي يغشاه السائلون. ويقال رهقتنا الشمس إذا قربت، والمعنى أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفًا من أن يغشاهم الجن، ثم إنهم زادوا في ذلك الغشيان، فإنهم لما تعوذوا بهم، ولم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤوا عليهم فزادوهم ظلمًا، وهذا معنى قول عطاء خبطوهم وخنقوهم، وعلى هذا القول زادوا من فعل الجن وفي الآية قول آخر وهو أن زادوا من فعل الإنس وذلك لأن الإنس لما استعاذوا بالجن فالجن يزدادون بسبب ذلك التعوذ طغيانًا فيقولون: سدنا الجن والإنس، والقول الأول هو اللائق بمساق الآية والموافق لنظمها.

النوع السادس: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

اعلم أن هذه الآية والتي قبلها يحتمل أن يكونا من كلام الجن، ويحتمل أن يكونا من جملة الوحي فإن كانا من كلام الجن وهو الذي قاله بعضهم مع بعض، كان التقدير: وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن، وإن كانا من الوحي كان التقدير: وأن الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش وعلى التقديرين فالآية دلت على أن الجن كما أنهم كان فيهم مشرك ويهودي ونصراني ففيهم من ينكر البعث، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يبعث أحدًا للرسالة على ما هو مذهب البراهمة، واعلم أن حمله على كلام الجن أولى لأن ما قبله وما بعده كلام الجن فإلقاء كلام أجنبي عن كلام الجن في البين غير لائق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾

النوع السابع: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ اللمس: المس فاستعير للطلب، لأن الماس طالب متعرف يقال: لمسه والتمسه، ومثله الجس يقال: جسوه بأعينهم وتجسسوه، والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخَدَم في معنى الخُدَّام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شدادًا.

النوع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي كنا نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب، وفي قوله: ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ وجوه أحدها: قال مقاتل: يعني رميًا من الشهب ورصدًا من الملائكة، وعلى هذا يجب أن يكون التقدير: شهابًا ورصدًا لأن الرصد غير الشهاب وهو جمع راصد، وثانيها: قال الفراء: أي شهابًا قد أرصد له ليرجم به، وعلى هذا الرصد نعت للشهاب، وهو فَعَل بمعنى مفعول، وثالثها: يجوز أن يكون رَصَدًا أي راصدًا، وذلك لأن الشهاب لما كان معدًا له، فكأن الشهاب راصد له

ومترصد له واعلم أنا قد استقصينا في هذه المسألة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] فإن قيل: هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث، ويدل عليه أمور: أحدها: أن جميع الفلاسفة المتقدمين تكلموا في أسباب انقضاض هذه الشهب، وذلك يدل على أنها كانت موجودة قبل المبعث، وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ ذكر في خلق الكواكب فائدتين، التزيين ورجم الشياطين، وثالثها: أن وصف هذا الانقضاض جاء في شعر أهل الجاهلية، قال أوس بن حجر:

فانقض كالدريّ يتبعه نقع يثور تخاله طُنُبا[(١)]

وقال عوف بن الخرع:

يَرُدُّ عَلَينا العِيرَ مِنْ دُونِ إِلْفِهِ أَوِ الثَّوْرَ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ الدَّمُ[(٢)]

وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: - بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال: ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم - الحديث إلى آخره ذكرناه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ قالوا: فثبت بهذه الوجوه أن هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث، فما معنى تخصيصها بمحمد عليه الصلاة والسلام؟ والجواب: مبني على مقامين:

المقام الأول: أن هذه الشهب ما كانت موجودة قبل المبعث، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وأبي بن كعب، روي عن ابن عباس أنه قال: كان الجن يصعدون إلى السماء فيستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، أما الكلمة فإنها تكون حقة، وأما الزيادات فتكون باطلة فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم، ولم تكن النجوم يرى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلي، الحديث إلى آخره، وقال أبي بن كعب: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى بعث رسول الله فرمي بها، فرأت قريش أمرًا ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون رقابهم، يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك بعض أكابرهم، فقال: لم فعلتم ما أرى؟ قالوا: رمي بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء، فقال: اصبروا فإن تكن نجومًا معروفة فهو وقت فناء الناس، وإن كانت نجومًا لا تعرف فهو أمر قد حدث فنظروا، فإذا هي لا تعرف، فأخبروه فقال: في الأمر مهلة، وهذا عند ظهور نبي فما مكثوا إلا يسيرًا حتى قدم أبو سفيان على أمواله وأخبر أولئك الأقوام بأنه ظهر

---

(١) تقدمت ترجمة أوس.

(٢) هذا البيت ضمن قصيدة من البحر الطويل لعوف بن عطية بن الخرع وهو عوف بن عطية بن الخرع وهو: عوف بن عطية بن عمرو الملقب بالخرع بن عيسى بن وديعة التيمي المضري. شاعر جاهلي فحل من تيم الرباب من مضر، أدرك الإسلام، وعدّه ابن سلام من الطبقة الثامنة من الإسلاميين ونعته الزبيدي بالفارسي، فلعله كان قد نزل بفارس.

محمد بن عبدالله ويدعي أنه نبي مرسل، وهؤلاء زعموا أن كتب الأوائل قد توالت عليها التحريفات فلعل المتأخرين ألحقوا هذه المسألة بها طعنًا منهم في هذه المعجزة، وكذا الأشعار المنسوبة إلى أهل الجاهلية لعلها مختلفة عليهم ومنحولة.

المقام الثاني: وهو الأقرب إلى الصواب أن هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث إلا أنها زيدت بعد المبعث وجعلت أكمل وأقوى، وهذا هو الذي يدل عليه لفظ القرآن لأنه قال: ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾ وهذا يدل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ﴾ أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها، فعلى هذا الذي حمل الجن على الضرب في البلاد وطلب السبب، إنما هو كثرة الرجم ومنع الاستراق بالكلية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

النوع التاسع: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ **وفيه قولان:**

أحدهما: أنا لا ندري أن المقصود من المنع من الاستراق هو أشر أريد بأهل الأرض أم صلاح وخير، والثاني: لا ندري أن المقصود من إرسال محمد الذي عنده منع من الاستراق هو أن يكذبوه فيهلكوا كما هلك من كذب من الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا.

النوع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾.

أي منا الصالحون المتقون أي ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] ثم المراد بالذين هم دون الصالحين من؟ فيه قولان: الأول: أنهم المقتصدون الذين يكونون في الصلاح غير كاملين، والثاني: أن المراد من لا يكون كاملاً في الصلاح، فيدخل فيه المقتصدون والكافرون، والقدة من قدد، كالقطعة من قطع. ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق، وفي تفسير الآية وجوه: أحدها: المراد كنا ذوي ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي ذوي مذاهب مختلفة. قال السدي: الجن أمثالكم، فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج، وثانيها: كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة، وثالثها: كانت طرائقنا طرائق قددًا على حذف المضاف الذي هو الطرائق، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه.

النوع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ الظن بمعنى اليقين، و﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿هَرَبًا﴾ فيه وجهان: الأول: أنهما حالان، أي لن نعجزه كائنين

في الأرض أينما كنا فيها، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء، والثاني: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا، ولن نعجزه هربًا إن طلبنا.

النوع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ ﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي القرآن، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي آمنا بالقرآن ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف أي فهو غير خائف، وعلى هذا يكون الكلام في تقدير جملة من المبتدأ والخبر، أدخل الفاء عليها لتصير جزاء للشرط الذي تقدمها، ولولا ذاك لقيل: لا يخف، فإن قيل: أي فائدة في رفع الفعل، وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرًا له ووجوب إدخال الفاء، وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال: لا يخف؟ قلنا: الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك، فكأنه قيل: فهو لا يخاف، فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة، وأنه هو المختص لذلك دون غيره، لأن قوله: فهو لا يخاف معناه أن غيره يكون خائفًا، وقرأ الأعمش: (فلا يَخَفْ)، وقوله تعالى: ﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس: النقص، والرهق: الظلم، ثم فيه وجهان الأول: لا يخاف جزاء بخس ولا رهق، لأنه لم يبخس أحدًا حقًا، ولا ظلم أحدًا، فلا يخاف جزاءهما، الثاني: لا يخاف أن يبخس، بل يقطع بأنه يجزى الجزاء الأوفى، ولا يخاف أن ترهقه ذلة من قوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

النوع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ القاسط الجائر، والمقسط العادل، وذكرنا معنى قسط وأقسط في أول سورة النساء، فالقاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق، وعن سعيد بن جبير: أن الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول في؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة إنه سماني ظالمًا مشركًا، وتلا لهم قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] ﴿تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي قصدوا طريق الحق، قال أبو عبيدة: تحروا توخوا، قال المبرد: أصل التحري من قولهم: ذلك أحرى، أي أحق وأقرب، وبالحري أن تفعل كذا، أي يجب عليك.

ثم إن الجن ذموا الكافرين فقالوا: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ **وفيه سؤالان:**

الأول: لمَ ذكر عقاب القاسطين ولمْ يذكر ثواب المسلمين؟ الجواب: بل ذكر ثواب المؤمنين وهو قوله تعالى: ﴿تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي توخوا رشدًا عظيمًا لا يبلغ كنهه إلا الله تعالى، ومثل هذا لا يتحقق إلا في الثواب.

السؤال الثاني: الجن مخلوقون من النار، فكيف يكونون حطبًا للنار؟ الجواب: أنهم وإن خلقوا من النار، لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية وصاروا لحمًا ودمًا هكذا، قيل: وهاهنا آخر كلام الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ هذا من جملة الموحى إليه والتقدير: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ [الجن: ١] ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ فيكون هذا هو النوع الثاني مما أوحي إليه. **وهاهنا مسائل:**

المسألة الأولى: (أن) مخففة من الثقيلة والمعنى: وأوحي إليَّ أن الشأن والحديث لو استقاموا لكان كذا وكذا. قال الواحدي: وفصل (لو) بينها وبين الفعل كفصل لا والسين في قوله: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩] و﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠].

المسألة الثانية: الضمير في قوله: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ إلى من يرجع؟ فيه قولان: قال بعضهم: إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم، أي هؤلاء القاسطون لو آمنا لفعلنا بهم كذا وكذا. وقال آخرون: بل المراد الإنس، واحتجوا عليه بوجهين: الأول: أن الترغيب بالانتفاع بالماء الغدق إنما يليق بالإنس لا بالجن، والثاني: أن هذه الآية إنما نزلت بعدما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين، أقصى ما في الباب أنه لم يتقدم ذكر الإنس، ولكنه لما كان ذلك معلومًا جرى مجرى قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقال القاضي: الأقرب أن الكل يدخلون فيه. وأقول: يمكن أن يحتج لصحة قول القاضي بأنه تعالى لما أثبت حكمًا معللاً بعلة وهو الاستقامة، وجب أن يعم الحكم بعموم العلة.

المسألة الثالثة: الغدق بفتح الدال وكسرها: الماء الكثير، وقرئ بهما يقال: غَدِقت العين بالكسر فهي غدقة، وروضة مغدقة أي كثيرة الماء، ومطر مَغْدوقٌ وغيداقٌ وغَيدَقٌ إذا كان كثير الماء، وفي المراد بالماء الغدق في هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغيث والمطر، والثاني: وهو قول أبي مسلم: أنه إشارة إلى الجنة كما قال: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البروج: ١١] وثالثها: أنه المنافع والخيرات جعل الماء كناية عنها، لأن الماء أصل الخيرات كلها في الدنيا.

المسألة الرابعة: إن قلنا: الضمير في قوله: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ راجع إلى الجن كان في الآية قولان: أحدهما: لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [المائدة: ٦٥] وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟﴾ [المائدة: ٦٦] وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وقوله: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٠- ١٢] وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع، فإن اللائق بالجن هو هذا الماء المشروب والثاني: أن يكون المعنى وأن لو استقام الجن الذين سمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها

قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] واختار الزجاج الوجه الأول قال: لأنه تعالى ذكر الطريقة معرفة بالألف واللام فتكون راجعة إلى الطريقة المعروفة المشهورة وهي طريقة الهدى، والذاهبون إلى التأويل الثاني استدلوا عليه بقوله بعد هذه الآية ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فهو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] ويمكن الجواب عنه أن من آمن فأنعم الله عليه كان ذلك الإنعام أيضًا ابتلاء واختبارًا حتى يظهر أنه هل يشتغل بالشكر أم لا، وهل يتفقه في طلب مراضي الله أو في مراضي الشهوة والشيطان، وأما الذين قالوا: الضمير عائد إلى الإنس، فالوجهان عائدان فيه بعينه وهاهنا يكون إجراء قوله: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ على ظاهره أولى لأن انتفاع الإنس بذلك أتم وأكمل.

المسألة الخامسة: احتج أصحابنا بقوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ على أنه تعالى يضل عباده، والمعتزلة أجابوا بأن الفتنة هي الاختبار كما يقال: فتنت الذهب بالنار لا خلق الضلال، واستدلت المعتزلة باللام في قوله ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ على أنه تعالى إنما يفعل لغرض، وأصحابنا أجابوا أن الفتنة بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الآية على أن اللام ليست للغرض في حق الله. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ أي عن عبادته أو عن موعظته، أو عن وحيه. ﴿يَسْلُكْهُ﴾، وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة أي ندخله عذابًا، والأصل نسلكه في عذاب كقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] إلا أن هذه العبارة أيضًا مستقيمة لوجهين: الأول: أن يكون التقدير: نسلكه في عذاب، ثم حذف الجار وأوصل الفعل، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] والثاني: أن يكون معنى نسلكه أي ندخله، يقال: سلكه وأسلكه، والصَّعَد مصدر صعد، يقال: صَعَد صَعَدًا وصُعُودًا، فوصف به العذاب لأنه (يَصْعَدُ فَوْقَ طَاقَةِ) المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه، ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح، يريد ما شق علي ولا غلبني، وفيه قول آخر وهو ما روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ﴿صَعَدًا﴾ جبل في جهنم، وهو صخرة ملساء، فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها في أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها جذب إلى أسفلها، ثم يكلف الصعود مرة أخرى، فهذا دأبه أبدًا، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

النوع الثالث: من جملة الموحى:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: التقدير: قل أوحي إلي أن المساجد لله، ومذهب الخليل أن التقدير: ولأن المساجد لله فلا تدعوا، فعلى هذا اللام متعلقة، (بلا تدعوا، أي) فلا تدعوا مع الله أحدًا في

المساجد لأنها لله خاصة، ونظيره قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢] على معنى، ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، أي لأجل هذا المعنى فاعبدون.

المسألة الثانية: اختلفوا في المساجد على وجوه: أحدها: وهو قول الأكثرين: أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين، وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس، فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد وثانيها: قال الحسن: أراد بالمساجد البقاع كلها قال عليه الصلاة والسلام: «**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا**» كأنه تعالى قال: الأرض كلها مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغير خالقها، وثالثها: روي عن الحسن أيضًا أنه قال: المساجد هي الصلوات فالمساجد على هذا القول جمع مسجد بفتح الجيم والمَسجَد على هذا القول مصدر بمعنى السجود، ورابعها: قال سعيد بن جبير: المساجد الأعضاء التي يسجد العبد عليها وهي سبعة: القدمان والركبتان واليدان والوجه، وهذا القول اختيار ابن الأنباري، قال: لأن هذه الأعضاء هي التي يقع السجود عليها وهي مخلوقة لله تعالى، فلا ينبغي أن يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى، وعلى هذا القول معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مَسجَد بفتح الجيم، وخامسها: قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد بالمساجد مكة بجميع ما فيها من المساجد، وذلك لأن مكة قبلة الدنيا وكل أحد يسجد إليها، قال الواحدي: وواحد المساجد على الأقوال كلها مسجد بفتح الجيم إلا على قول من يقول: إنها المواضع التي بنيت للصلاة فإن واحدها بكسر الجيم لأن المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين إلا في أحرف معدودة وهي: المَسجِد والمَطْلِع والمَنْسِك والمَسْكِن والمَنْبِت والمَفْرِق والمَسْقِط والمَجْزِر والمَحْشِر والمَشْرِق والمَغْرِب، وقد جاء في بعضها الفتح وهو المَنسَك والمَسْكَن والمَفْرَق والمَطْلَع، وهو جائز في كلها وإن لم يسمع.

المسألة الثالثة: قال الحسن: من السنة إذا دخل الرجل المسجد أن يقول لا إله إلا الله لأن قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في ضمنه أمر بذكر الله وبدعائه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

النوع الرابع: من جملة الموحى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

اعلم أن عبدالله هو النبي ﷺ في قول الجميع، ثم قال الواحدي: إن هذا من كلام الجن لا من جملة الموحى، لأن الرسول لا يليق أن يحكي عن نفسه بلفظ المغايبة وهذا غير بعيد، كما في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] والأكثرون على أنه من جملة الموحى، إذ لو كان من كلام الجن لكان ما ليس من كلام الجن. وفي خلل ما هو كلام الجن مختلاً بعيدًا عن سلامة النظم وفائدة هذا الاختلاف أن من جعله من جملة الموحى فتح الهمزة في أن، ومن جعله

من كلام الجن كسرها، ونحن نفسر الآية على القولين: أما على قول من قال: إنه من جملة الموحى فالضمير في قوله: ﴿كَادُوا﴾ إلى من يعود؟ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: إلى الجن، ومعنى (قام... يدعوه) أي قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر حين أتاه الجن، فاستمعوا القراءة ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبًا مما رأوا من عبادته، واقتداء أصحابه به قائمًا وراكعًا، وساجدًا وإعجابًا بما تلا من القرآن، لأنهم رأوا مالم يروا مثله، وسمعوا ما لم يسمعوا مثله، والثاني: لما قدم رسول الله يعبد الله وحده مخالفًا للمشركين في عبادتهم الأوثان، كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه، والثالث: وهو قول قتادة: لما قام عبدالله تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله، فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من عاداه، وأما على قول من قال: إنه من كلام الجن، فالوجهان أيضًا عائدان فيه، وقوله: ﴿لِبَدًا﴾ فهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض وارتكم بعضه على بعض، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقًا شديدًا فقد لبدته، ومنه اشتقاق هذه اللبود التي تفرش ويقال: لبدة الأسد لما يتلبد من الشعر بين كتفيه، ومنه قول زهير:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ[1]

وقرئ: (لُبَدًا) بضم اللام واللُّبدة في معنى اللِّبدة، وقرئ (لُبَّدًا) جمع لابِد كسُجَّد وساجد. وقرئ أيضًا: (لُبُدا) بضم اللام والباء جمع لبود كصُبُر جمع صَبُور، فإن قيل: لم سمي محمدًا بعبدالله، وما ذكره برسول الله أو نبي الله؟ قلنا: لأنه إن كان هذا الكلام من جملة الموحى، فاللائق بتواضع الرسول أن يذكر نفسه بالعبودية، وإن كان من كلام الجن كان المعنى أن عبدالله لما اشتغل بعبودية الله، فهؤلاء الكفار لم اجتمعوا ولم حاولوا منعه منه، مع أن ذلك هو الموافق لقانون العقل؟.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ قرأ العامة (قال) على الغيبة وقرأ عاصم وحمزة: ﴿قُلْ﴾ حتى يكون نظيرًا لما بعده، وهو قوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ﴾ ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى﴾ قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: «**إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا**»[2] فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ وهذا حجة لعاصم وحمزة، ومن قرأ ﴿قَالَ﴾ حمل ذلك على أن القوم لما قالوا ذلك، أجابهم النبي ﷺ بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ فحكى الله ذلك عنه بقوله ﴿قَالَ﴾ أو يكون ذاك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول لقومهم.

---

(١) تقدمت ترجمة زهير.

(٢) لم أجده.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إما أن يفسر الرشد بالنفع حتى يكون تقدير الكلام: لا أملك لكم غيًّا ولا رشدًا، ويدل عليه قراءة أبي (غَيًّا وَلاَ رَشَدًا)، ومعنى الكلام أن النافع والضار، والمرشد والمغوي هو الله، وإن أحدًا من الخلق لا قدرة له عليه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ قال مقاتل: إنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك، فقال الله له: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجأ وحرزًا، قال المبرد: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ مثل قولك منعرجًا، والتحد معناه في اللغة مال، فالملتحد المدخل من الأرض مثل السرب الذاهب في الأرض.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ ذكروا في هذا الاستثناء وجوهًا: أحدها: أنه استثناء من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ [الجن: ٢١] أي لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا إلا بلاغًا من الله، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ [الجن: ٢٢] جملة معترضة وقعت في البين لتأكيد نفي الاستطاعة عنه وبيان عجزه على معنى: إنه تعالى إن أراد به سوءًا لم يقدر أحد أن يجيره منه، وهذا قول الفراء. وثانيها: وهو قول الزجاج: أنه نصب على البدل من قوله: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢] والمعنى: ولن أجد من دونه ملجأ إلا بلاغًا، أي لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به، وأقول هذا الاستثناء منقطع لأنه تعالى لما لم يقل ولن أجد ملتحدًا بل قال: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢]، والبلاغ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ لأن البلاغ من الله لا يكون من دون الله، بل يكون من الله وبإعانته وتوفيقه، ثالثها: قال بعضهم: ﴿إِلَّا﴾ معناه إن لا ومعناه: إن لا أبلغ بلاغًا كقولك: (إلاّ) قيامًا فقعودًا، والمعنى: إن لا أبلغ لم أجد ملتحدًا، فإن قيل: المشهور أنه يقال بلغ عنه قال عليه السلام: «بَلِّغُوا عَنِّي، بَلِّغُوا عَنِّي» فَلِمَ قال هاهنا: ﴿بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؟ قلنا: (من) ليست (بصفة للتبليغ) إنما هي بمنزلة (مِنْ) في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١] بمعنى بلاغًا كائنًا من الله. أما قوله تعالى: ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فهو عطف على ﴿بَلَٰغًا﴾ كأنه قال: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات، والمعنى إلا أن أبلغ عن الله، فأقول: قال الله كذا ناسبًا القول إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ قال الواحدي: إن مكسورة الهمزة لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] على أن المبتدأ فيها مضمر وقال صاحب -الكشاف- وقرئ: (فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) على تقدير فجزاؤه أن له نار جهنم،

كقولك: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] أي فحكمه أن لله خمسه.

ثم قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ حملاً على معنى الجمع في (من)، **وفي الآية مسألتان:**

المسألة الأولى: استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أن فساق أهل الصلاة مخلدون في النار وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار، قالوا: وهذا الوعيد مشروط بشرط أن لا يكون هناك توبة ولا طاعة أعظم منها، قالوا: وهذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات لأن سائر العمومات ما جاء فيها قوله: ﴿أَبَدًا﴾ فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل، أما هاهنا فَقَدْ جاء لفظ الأبد فيكون ذلك صريحًا في إسقاط الاحتمال الذي ذكره المخالف والجواب: أنا بيَّنا في سورة البقرة وجوه الأجوبة على التمسك بهذه العمومات، ونزيد هاهنا وجوهًا: أحدها: أن تخصيص العموم بالواقعة التي لأجلها ورد ذلك العموم عرف مشهور، فإن المرأة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة فقال الزوج إن خرجت فأنت طالق يفيد ذلك اليمين بتلك الساعة المعينة حتى إنها لو خرجت في يوم آخر لم تطلق، فهاهنا أجرى الحديث في التبليغ عن الله تعالى، ثم قال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعني جبريل: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ أي من يعص الله في تبليغ رسالاته وأداء وحيه فإن له نار جهنم، وإذا كان ما ذكرنا محتملاً سقط وجه الاستدلال، الوجه الثاني: وهو أن هذا الوعيد لا بد وأن يتناول هذه الصورة لأن من القبيح أن يذكر عقيب هذه الواقعة حكمًا لا تعلق له بها، فيكون هذا الوعيد وعيدًا على ترك التبليغ من الله، ولا شك أن ترك التبليغ من الله أعظم الذنوب، والعقوبة المترتبة على أعظم الذنوب، لا يجوز أن تكون مرتبة على جميع الذنوب، لأن الذنوب المتفاوتة في الصغر والكبر لا يجوز أن تكون متساوية في العقوبة، وإذا ثبت أن هذه العقوبة على هذا الذنب، وثبت أن ما كان عقوبة على هذا الذنب لا يجوز أن يكون عقوبة على سائر الذنوب، علمنا أن هذا الحكم مختص بهذا الذنب وغير متعد إلى سائر الذنوب، الوجه الثالث: وهو أنه تعالى ذكر عمومات الوعيد في سائر آيات القرآن غير مقيدة بقيد الأبد، وذكرها هاهنا مقيدة بقيد الأبد، فلا بد في هذا التخصيص من سبب، ولا سبب إلا أن هذا الذنب أعظم الذنوب، وإذا كان السبب في هذا التخصيص هذا المعنى، علمنا أن هذا الوعيد مختص بهذا الذنب وغير متعد إلى جميع الذنوب، وإذا ثبت أن هذا الوعيد مختص بفاعل هذا الذنب، صارت الآية دالة على أن حال سائر المذنبين بخلاف ذلك، لأن قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ معناه أن هذه الحالة له لا لغيره، وهذا كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦] أي لكم لا لغيركم. وإذا ثبت أن لهم هذه الحالة لا لغيرهم، وجب في سائر المذنبين أن لا يكون لهم نار جهنم على سبيل التأبيد، فظهر أن هذه الآية حجة لنا عليهم. وعلى تمسكهم بالآية سؤال آخر، وهو أن قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إنما يتناول من عصى الله ورسوله بجميع أنواع المعاصي، وذلك هو الكافر ونحن نقول: بأن الكافر يبقى في النار مؤبدًا، وإنما قلنا إن قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إنما يتناول من

عصى الله بجميع أنواع المعاصي لأن قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يصح استثناء جميع أنواع المعاصي عنه، مثل أن يقال ومن يعص الله إلا في الكفر وإلا في الزنا، وإلا في شرب الخمر، ومن مذهب القائلين بالوعيد أن حكم الاستثناء إخراج ما لولاه لكان داخلاً تحت اللفظ وإذا كان كذلك، وجب أن يكون قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ متناولاً لمن أتى بكل المعاصي، والذي يكون كذلك هو الكافر، فالآية مختصة بالكافر على هذا التقدير، فسقط وجه الاستدلال بها. فإن قيل: كون الإنسان الواحد آتيًا لجميع أنواع المعاصي محال، لأن من المحال أن يكون قائلاً بالتجسيم، وأن يكون مع ذلك قائلاً بالتعطيل، وإذا كان ذلك محالاً فحمل الآية عليه غير جائز قلنا: تخصيص العام بدليل العقل جائز، فقولنا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يفيد كونه آتيًا بجميع أنواع المعاصي، ترك العمل به في القدر الذي امتنع عقلاً حصوله فيبقى متناولاً للآتي بجميع الأشياء التي يمكن الجمع بينها، ومن المعلوم أن الجمع بين الكفر وغيره ممكن فتكون الآية مختصة به.

المسألة الثانية: تمسك القائلون بأن الأمر للوجوب بهذه الآية فقالوا: تارك المأمور به عاص لقوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٣]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] والعاصي مستحق للعقاب لقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

فإن قيل: ما الشيء الذي جعل ما بعد حتى غاية له؟ قلنا: فيه وجهان: الأول: أنه متعلق بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] والتقدير أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عَدَدَهُ حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة، فسيعلمون أيهم أضعف ناصرًا وأقل عددًا، الثاني: أنه متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قيل: هؤلاء لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا كان كذا كان كذا، واعلم أن نظير هذه الآية قوله في مريم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم: ٧٥] واعلم أن الكافر لا ناصر له ولا شفيع يوم القيامة على ما قال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ويفر كل أحد منهم من صاحبه على ما قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] إلى آخره: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] وأما المؤمنون فلهم العزة والكرامة والكثرة قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] والملك القدوس يسلم عليهم ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] فهناك يظهر أن القوة والعدد في جانب المؤمنين أو في جانب الكفار.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ قال مقاتل: لما سمعوا قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ قال النضر بن الحارث: متى يكون هذا الذي توعدنا به؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إلى آخره والمعنى أن وقوعه متيقن، أما وقت وقوعه فغير معلوم، وقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ أي غاية وبعدًا وهذا كقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] فإن قيل: أليس أنه قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[1] فكان عالمًا بقرب وقوع القيامة، فكيف قال هاهنا: لا أدري أقريب أم بعيد؟ قلنا: المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى، فهذا القدر من القرب معلوم، وأما معنى معرفة القرب القريب وعدم ذلك فغير معلوم.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧﴾

ثم قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لفظة (مِنْ) في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي يكون رسولاً، قال صاحب (الكشاف)، وفي هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف الكرامات إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وفيها أيضًا إبطال الكهانة والسحر والتنجيم لأن أصحابها أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط، قال الواحدي: وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن.

واعلم أن الواحدي يجوز الكرامات وأن يلهم الله أولياءه وقوع بعض الوقائع في المستقبل ونسبة الآية إلى الصورتين واحدة فإن جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغي أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات على ما قاله صاحب -الكشاف-، وإن زعم أنها لا تدل على المنع من الإلهامات الحاصلة للأولياء فينبغي أن لا يجعلها دالة على المنع من الدلائل النجومية، فأما التحكم بدلالتها على المنع من الأحكام النجومية وعدم دلالتها على الإلهامات الحاصلة للأولياء فمجرد التشهي، وعندي أن الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه والذي تدل عليه أن قوله: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئًا من الغيوب لأحد، والذي يؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقيب قوله: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) باب (تفسير سورة النازعات) (٤/ ١٨٨١) حديث رقم (٤٦٥٢) ومسلم في (صحيحه) (٤/ ٢٢٦٨/ ٢٩٥٠) كلاهما من طريق أبي حازم حدثنا سهل بن سعد... به.

أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥] يعني لا أدري وقت وقوع القيامة، ثم قال بعده: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أي وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يظهره الله لأحد، وبالجملة فقوله: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ لفظ مفرد مضاف، فيكفي في العمل به حمله على غيب واحد، فأما العموم فليس في اللفظ دلالة عليه، فإن قيل: فإذا حملتم ذلك على القيامة فكيف قال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله؟ قلنا: بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة، وكيف لا وقد قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت قيام القيامة، وأيضًا يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعًا، كأنه قال: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص وهو قيام القيامة أحدًا، ثم قال بعده: لكن من ارتضى من رسول: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام جوابًا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة على سبيل الاستهزاء به، والاستحقار لدينه ومقالته.

واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس مراد الله من هذه الآية أن لا يطلع أحدًا على شيء من المغيبات إلا الرسل، **والذي يدل عليه وجوه:**

أحدها: أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقًّا وسطيحًا كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد ﷺ قبل زمان ظهوره، وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم، حتى رجع إليهما كسرى في تعرف أخبار رسولنا محمد ﷺ، فثبت أن الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شيء من الغيب.

وثانيها: أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون على صحة علم التعبير، وأن المعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل، ويكون صادقًا فيه.

وثالثها: أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد إلى خراسان، وسألها عن الأحوال الآتية في المستقبل فذكرت أشياء، ثم إنها وقعت على وفق كلامها.

قال مصنف الكتاب ختم الله له بالحسنى: وأنا قد رأيت أناسًا محققين في علوم الكلام والحكمة، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخبارًا على سبيل التفصيل، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها، وبالغ أبو البركات في كتاب المعتبر في شرح حالها، وقال: لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارًا مطابقًا.

ورابعها: أنا نشاهد (ذَلِكَ) في أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصًا بالأولياء بل قد يوجد في السحرة أيضًا من يكون كذلك نرى الإنسان الذي يكون سهم الغيب على درجة طالعه يكون كذلك في كثير من أخباره وإن كان قد يكذب أيضًا في أكثر تلك الأخبار، ونرى الأحكام النجومية قد تكون مطابقة وموافقة للأمور، وإن كانوا قد يكذبون في كثير منها، وإذا كان ذلك مشاهدًا محسوسًا، فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن إلى القرآن، وذلك باطل فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ فالمعنى أنه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي حفظة من الملائكة يحفظونه من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم، حتى يبلغ ما أوحى به إليه، ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونه ولا يضرونه وعن الضحاك: ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين (الذين) يتشبهون بصورة الملك.

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: وحّد الرسول في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الجن: ٢٧] ثم جمع في قوله: ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ ونظيره ما تقدم من قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ [الجن: ٢٣].

المسألة الثانية: احتج من قال بحدوث علم الله تعالى بهذه الآية لأن معنى الآية ليعلم الله أن قد أبلغوا الرسالة، ونظيره قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١] والجواب من وجهين الأول: قال قتادة ومقاتل: ليعلم محمد أن الرسل قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة، وعلى هذا، اللام في قوله: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل: أخبرناه بحفظ الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ الحق، ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الرسول أن قد أبلغوا أي جبريل والملائكة الذين يبعثون إلى الرسل رسالات ربهم، فلا يشك فيها ويعلم أنها حق من الله، الثاني: وهو اختيار أكثر المحققين أن المعنى ليعلم الله أن قد أبلغ الأنبياء رسالات ربهم، والعلم هاهنا مثله في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم فيعلم ذلك منهم.

المسألة الثالثة: قرئ (لِيُعْلَمَ) على البناء للمفعول.

أما قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ فهو يدل على كونه تعالى عالمًا بالجزئيات، وأما قوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ فهو يدل على كونه عالمًا بجميع الموجودات، فإن قيل: إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي، وقوله: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ يدل على كونه غير متناه، فلزم وقوع التناقض في الآية، قلنا: لا شك أن إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي، فأما لفظة ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ فإنها لا تدل على كونه غير متناه، لأن الشيء عندنا هو الموجودات، والموجودات متناهية في العدد، وهذه الآية أحد ما يحتج به على أن المعدوم ليس بشيء، وذلك لأن المعدوم لو كان شيئًا، لكانت الأشياء غير متناهية، وقوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ يقتضي كون تلك المحصيات متناهية، فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال، فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشيء حتى يندفع هذا التناقض.

والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد النبي وآله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجن

مكِّيَّةٌ في قول الجميع[1]. وهي ثمانٍ وعشرون آية

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: قل يا محمد لأمتك: أَوْحَى اللهُ إليَّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ إليّ ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ وما كان عليه الصلاة والسلام عالماً به قبل أنْ أُوحي إليه. هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: «وُحِيَ» على الأصل، يقال: أَوحى إليه ووَحى، [وقُرئ: أُحِيَ] فقُلبت الواوُ همزة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]. وهو من القلب المطلق جوازُه في كل واوٍ مضمومة. وقد أطلقه المازنيُّ في المكسورة أيضاً، كإشاح وإسادة و«إعَاءِ أَخِيهِ» [يوسف: ٧٦] ونحوه[2].

الثانية: واختُلِف هل رآهم النبيُّ ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدلُّ على أنه لم يرهم، لقوله تعالى: «اسْتَمَعَ»، وقولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، وزاد المسير٨/ ٣٧٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١٦٦بتقديم وتأخير، وما بين حاصرتين لضرورة السياق، ومستفاد منه، وذكرَ قراءة: وُحي، عن ابن أبي عبلة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٢. وقرأ ابن أبي عبلة أيضاً: أُحيَ: كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٦، والقراءتان شاذتان. وقراءة: «إعاء أخيه» شاذة أيضاً، وهي في المحتسب ١/ ٣٤٨، والقراءات الشاذة ص٦٥.

[الأحقاف: ٢٩]. وفي صحيح مسلم والتِّرمذيِّ عن ابن عباس قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سُوق عُكَاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ قالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشُّهب! قالوا: ما ذاك إلَّا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربَها، فمرَّ النَّفرُ الذين أخذوا نحو تِهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عُكَاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[1]. رواه الترمذي[2] عن ابن عباس قال: قولُ الجنِّ لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الآية: ١٩] قال: لمَّا رأوه يصلِّي، وأصحابُه يصلُّون بصلاته، فيسجدون بسجوده، قال: تعجَّبوا من طواعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: هذا حديث حسن صحيح.

ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ الجنَّ، ولكنهم حضروه، وسمعوا قراءته. وفيه دليلٌ على أنَّ الجنَّ كانوا مع الشياطين حين تجسَّسوا الخبر بسبب الشياطين لمَّا رُموا بالشُّهب. وكان المرميُّون بالشُّهب من الجنِّ أيضاً. وقيل لهم: شياطين كما قال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فإنَّ الشيطان كلُّ متمرِّدٍ وخارجٍ عن طاعة الله.

---

(١) صحيح مسلم (٤٤٩)، وسنن الترمذي (٣٣٢٣)، وأخرجه أحمد (٢٢٧١). وهو عند البخاري (٧٧٣) و(٤٩٢١) دون قوله: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم.

(٢) هو بعض حديثه السالف.

وفي الترمذي[١] عن ابن عباس قال: كان الجنُّ يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوَحْي، فإذا سمعوا الكلمةَ زادوا فيها تسعاً، فأمَّا الكلمةُ فتكون حقًّا، وأما ما زادوا فيكون باطلاً. فلما بُعث رسولُ الله ﷺ، مُنِعوا مقاعدَهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الأمرُ إلَّا مِن أمرٍ قد حدث في الأرض! فبعث جنوده، فوجدوا رسولَ الله ﷺ قائماً يصلِّي بين جبلين ـ أُراه قال: بمكة ـ فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحَدث الذي حدث في الأرض. قال: هذا حديث حسن صحيح.

فدلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الجنَّ رُموا كما رُميت الشياطين.

وفي رواية السُّدِّيّ: أنهم لمَّا رُموا أَتَوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أَشَمُّها، فأتَوه، فشمَّ فقال: صاحبكم بمكة؛ فبعث نفراً من الجنِّ[٢]. قيل: كانوا سبعة. وقيل: تسعة، منهم زَوْبعة.

وروى عاصمٌ عن زرٍّ قال: قَدِمَ رهط زوبعة وأصحابُه على النبيِّ ﷺ. وقال الثُّمالي: بلغني أنهم من بني الشَّيْصَبَان، وهم أكثر الجنِّ عدداً، وأقواهم شوكة، وهم عامَّةُ جنودِ إبليس. وروى أيضاً عاصمٌ عن زِرٍّ: أنهم كانوا سبعةَ نفر؛ ثلاثة من أهل حَرَّان، وأربعة من أهل نَصِيبين. وحكى جُويبر عن الضحَّاك: أنهم كانوا تسعة من أهل نَصِيبين، قرية باليمن غير التي بالعراق. وقيل: إنَّ الجنَّ الذين أتَوا مكة جنُّ نصيبين، والذين أتوه بنخلة جنُّ نِيْنَوَى. وقد مضى بيانُ هذا في سورة الأحقاف[٣].

قال عِكرمة: والسورة التي كان يقرؤها رسولُ الله ﷺ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١][٤]. وقد مضى في سورة الأحقاف التعريفُ باسم النفرِ من الجنّ، فلا معنى لإعادة ذلك.

---

(١) برقم (٣٣٢٤)، وهو في مسند أحمد (٢٤٨٢) بنحوه.

(٢) النكت والعيون ١٠٨/٦ .

(٣) ١٩/ ٢٢٤ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣١١ ، والنكت والعيون ٦/١٠٨-١٠٩ .

(٤) النكت والعيون ١٠٨/٦ .

وقيل: إنَّ النبيَّ ﷺ رأى الجنَّ ليلةَ الجنّ، وهو أثبت؛ روى عامر الشَّعبيُّ قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ فقال علقمة: أنا سألت ابنَ مسعود فقلت: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ قال: لا، ولكنَّا كنَّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطير أو اغتيل، قال: فبتنا بِشرِّ ليلةٍ بات بها قوم، فلما أصبحنا[1] إذا هو جاءٍ من قِبَل حِرَاء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن». فانطلَقَ بنا فأرانا آثارَهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ـ وكانوا من جنِّ الجزيرة ـ فقال: «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ الله عليه، يقع في أيديكم أوْفَرَ ما يكون لحماً، وكلُّ بَعْرة عَلفٌ لدوابِّكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجُوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»[2].

قال ابن العربي[3]: وابن مسعود أعرف من ابن عباس؛ لأنه شاهده، وابن عباس سمعه؛ وليس الخبر كالمعاينة.

وقد قيل: إنَّ الجنَّ أتَوا رسول الله ﷺ دفعتين: إحداهما بمكة، وهي التي ذكرها ابن مسعود، والثانية بنخلة، وهي التي ذكرها ابن عباس. قال البيهقي: الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أوَّل ما سمعت الجنُّ قراءةَ النبيِّ ﷺ وعَلِمت بحاله، وفي ذلك الوقتِ لم يقرأ عليهم ولم يرهم، كما حكاه، ثم أتاه داعي الجنّ مرَّةً أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود. قال البيهقي: والأحاديث الصِّحاح تدلُّ على أنَّ ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلةَ الجنّ، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه آثارَ الجنِّ وآثارَ نيرانهم. قال: وقد رُوي من غير

(١) في النسخ: أصبح، والمثبت من صحيح مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٤١٤٩)، ومسلم (٤٥٠) واللفظ له. وسلف قطعة منه ١/ ٤٦٩ . قوله: استطير، أي: ذُهب به بسرعة كأن الطير حملته، أو اغتاله أحد. النهاية (طير) .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٢ .

وجه أنه كان معه ليلتئذ[١]. وقد مضى هذا المعنى في سورة الأحقاف، والحمد لله[٢].

روي عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمرت أنْ أتلوَ القرآن على الجنِّ، فمن يذهب معي؟» فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحَجُون عند شِعْب أبي دُبّ، فخطَّ عليَّ خطّاً، فقال: «لا تجاوزه» ثم مضى إلى الحَجُون فانحدر عليه أمثالُ الحَجَل يَحدُرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دُفوفهم كما تَقْرع النُّسور[٣] في دُفوفها، حتى غَشَوه فلا أراه، فقمت، فأوْمَى إليَّ بيده أن اجلس، فتلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولَصِقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إليّ قال: «أردتَ أن تأتيَني؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء الجنُّ أتَوا يستمعون القرآن، ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد فزوَّدتهم العظم والبعر؛ فلا يَستطيبَنَّ أحدُكم بعظم ولا بعر».

قال عكرمة: وكانوا اثني عشرَ ألفاً من جزيرة الموصل.

وفي رواية[٤]: انطلق بي عليه الصلاة والسلام، حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف؛ خَطَّ لي خطًّا، فأتاه نفر منهم، فقال أصحابنا: كأنهم رجال الزُّطّ، وكأنَّ وجوههم المَكَاكيّ[٥]، فقالوا: ما أنت؟ قال: «أنا نبيُّ الله» قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة، تعالي[٦] يا شجرة» فجاءت تجرُّ عروقها، لها قعاقع، حتى انتصبت بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين» قالت: أشهد أنك رسول الله.

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٢٧، ٢٣٠.

(٢) ١٩/ ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٣) في النسخ: النسوة، والمثبت من المصادر. وسلف الخبر ١٩/ ٢٢٢ بنحوه.

(٤) أخرج هذه الرواية والتي قبلها الفاكهي في أخبار مكة (٢٣١٩). وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٦ (١٨٥٧٨).

(٥) جمع مكُّوك: وهو مكيال.

(٦) في (م): فقال.

فرجعت كما جاءت تجرُّ بعروقها الحجارة لها قعاقع، حتى عادت كما كانت.

ثم روي أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا فرغ، وضع رأسه على حِجْر ابن مسعود، فرقد، ثم استيقظ فقال: «هل مِن وضوء؟» قال: لا، إلَّا أنَّ معي إداوةٌ فيها نبيذ. فقال: «هل هو إلَّا تمر وماء» فتوضأ منه[١].

الثالثة: قد مضى الكلام في الماء في سورة الحِجْر[٢]، وما يستنجى به في سورة براءة[٣]، فلا معنى للإعادة.

الرابعة: واختلف أهل العلم في أصل الجنّ؛ فروى إسماعيل عن الحسن البصريّ: أنَّ الجنَّ ولدُ إبليس، والإنسَ ولد آدم، ومِن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب. فمَن كان مِن هؤلاء وهؤلاء مؤمناً، فهو وليُّ الله، ومَن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً، فهو شيطان. وروى الضحَّاك عن ابن عباس: أنَّ الجنَّ هم ولد الجانّ، وليسوا بشياطين، وهم يموتون[٤]؛ ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

واختلفوا في دخول مؤمني الجنِّ الجنة، على حسب الاختلاف في أصلهم. فمَن زعم أنهم من الجانِّ لا من ذرِّيَّة إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم. ومَن قال: إنهم من ذرِّيَّة إبليس، فلهم فيه قولان: أحدهما، وهو قول الحسن: يدخلونها. الثاني، وهو رواية مجاهد: لا يدخلونها وإن صُرِفوا عن النار. حكاه الماوردي[٥]. وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية: ٥٦]. بيان أنهم يدخلونها[٦].

---

(١) سلف ١٦/ ٢١٢-٢١٣، وسلفت هذه القطعة ـ أيضاً ـ ١٥/ ٤٤١.

(٢) ١٢/ ١٩٩.

(٣) ١٠/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) في النسخ عدا (ظ): يؤمنون، والمثبت موافق لما في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٦) ٢٠/ ١٥٥.

الخامسة: قال البيهقيُّ[١] في روايته: وسألوه الزاد، وكانوا من جنِّ الجزيرة، فقال: «لكم كلُّ عظم» دليلٌ على أنهم يأكلون ويَطعَمون. وقد أنكر جماعةٌ من كَفَرة الأطباءِ والفلاسفةِ الجنَّ، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصحُّ طعامهم؛ اجتراءً على الله وافتراءً عليه، والقرآن والسنة تردُّ عليهم، وليس في المخلوقات بسيط، [بل الكلُّ] مركَّبٌ مزدوج، إنما الواحد الواحد سبحانه، وغيره مركَّبٌ ليس بواحد كيفما تصرَّف حاله. وليس يمتنع أن يراهم النبيُّ ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة. وأكثر ما يَتَصوَّرون لنا في صور الحيات؛ ففي الموطأ[٢]: أن رجلاً حديثَ عهدٍ بعُرس استأذن رسولَ الله ﷺ بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله... الحديث، وفيه: فإذا حيَّةٌ عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها. وذكر الحديث. وفي الصحيح[٣] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنَّ لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئاً، فحرِّجوا عليها ثلاثاً، فإنْ ذهب وإلَّا فاقتلوه؛ فإنه كافر». وقال: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»[٤] وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة وبيانُ التحريج عليهن[٥].

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ ذلك مخصوصٌ بالمدينة؛ لقوله في الصحيح[٦]: «إنَّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا». وهذا لفظ مختصٌّ بها، فيختصُّ بحكمها. قلنا: هذا يدلُّ على أنَّ غيرها من البيوت مثلُها؛ لأنه لم يُعلَّل بحرمة المدينة، فيكون ذلك الحكمُ مخصوصاً بها، وإنما عُلِّل بالإسلام، وذلك عامٌّ في غيرها، ألا ترى قولَه في الحديث مخبِراً عن الجنِّ الذين لقي: «وكانوا من جنِّ الجزيرة»؛ وهذا بيِّنٌ، يَعضُده قولُه:

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢: قال الشعبي. وهو عند البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٢٩ من طريق الشعبي، وسلف في المسألة الثانية.

(٢) ٢/ ٩٧٦، وسلف الحديث ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٦): (١٤٠)، وسلف ١/ ٤٧٠.

(٤) أي الرجل الحديث العهد بعرس الذي قتلته الحية، وهو من حديث الموطأ المذكور.

(٥) ١/ ٤٦٨ فما بعد.

(٦) هو بعض الحديث السالف.

«وَنَهَى عن عوامر البيوت»[١]، وهذا عامٌّ[٢]. وقد مضى في سورة البقرة القولُ في هذا، فلا معنى للإعادة.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾ أي: في فصاحة كلامه. وقيل: عَجَباً في بلاغة مواعظه. وقيل: عجباً في عِظَم بركته[٣]. وقيل: قرآناً عزيزاً لا يوجد مثله[٤]. وقيل: يعنون عظيماً. ﴿يَهۡدِىٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: إلى مراشد الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى[٥]؛ و«يَهْدي» في موضع الصفة، أي: هادياً. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ أي: فاهتدينا به وصدَّقنا أنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه؛ لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر لما[٦] رُمِيَ الجنُّ بالشُّهب. وقيل: لا نتَّخذ مع الله إلهاً آخر، لأنه المتفرِّد بالرُّبُوبية. وفي هذا تعجيبُ المؤمنين بذهاب مشركي قريش عمَّا أدركته الجنُّ بتدبُّرها القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: استمعوا إلى النبيِّ ﷺ، فعلموا أنَّ ما يقرؤه كلامُ الله. ولم يذكر المستمَع إليه لدلالة الحال عليه. والنَّفَر: الرهط، قال الخليل: ما بين ثلاثة إلى عشرة. وقرأ عيسى الثَّقفي: «يَهْدي إِلى الرَّشَد» بفتح الراء والشين[٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ كان عَلْقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكِسائيُّ وابن عامر وخَلَفٌ وحفص والسُّلَميُّ ينصبون «أنَّ» في جميع السورة في اثني عشر

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٦٢) من حديث أبي أمامة ﷺ. وفي الباب عن أبي لبابة أو زيد بن الخطاب رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٤٥٥٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢-١٨٥٣ ، ١٨٥٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٩-١١٠ .

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٠ .

(٦) في (د): لِمَ، وفي(م): ثم.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ .

موضعاً[١]، وهو: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿وأَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ لا يجوز فيه إلَّا الفتح، لأنها في موضع اسم فاعل«أُوحِيَ»، فما بعده معطوفٌ عليه. وقيل: هو محمول على الهاء في «آمَنَّا بِهِ»، أي: وبـ«أَنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا»، وجاز ذلك وهو مضمَر مجرور، لكثرة حذف الجارّ[٢] مع «أَنَّ». وقيل: المعنى: أي: وصدَّقنا أنه جَدُّ ربِّنا.

وقرأ الباقون كلَّها بالكسر، وهو الصواب، واختاره أبو عبيد[٣] وأبو حاتم عطفاً على قوله: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا»لأنه كله من كلام الجنِّ.

وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثةَ مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾[٤]، قالا: لأنه من الوحي، وكسرا مابقي، لأنه من كلام الجنِّ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فكلُّهم فتحوا إلَّا نافعاً وشيبةَ وزرَّ بن حُبيش وأبا بكر والمفضَّل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير[٥].

ولا خلاف في فتح همزة﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿وأَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر مابعد القول، نحوُ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾

---

(١) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩١. وعن علقمة أخرجها الفراء ٣/ ١٩١، ونسبها له وليحيى والأعمش النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٦.

(٢) في النسخ: حرف الجارّ، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٣.

(٣) في(د) و(م): أبو عبيدة.

(٤) النشر ٢/ ٣٩١ عن أبي جعفر، وهو من العشرة.

(٥) قراءة نافع وأبي بكر عن عاصم في السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥.

و﴿قَالَ[١] إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ و﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾و﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر ماكان بعد فاء الجزاء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾و﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ لأنه موضع ابتداء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجَدُّ في اللغة: العظَمة والجلال، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حَفِظَ«البقرة» و«آل عمران» جَدَّ في عيوننا[٢]، أي: عَظُم وجَلَّ. فمعنى: « جدُّ رَبِّنَا» أي: عظمته وجلاله، قاله عكرمة ومجاهدٌ وقتادة. وعن مجاهد أيضاً: ذِكْرُه. وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضاً: غناه. ومنه قيل للحظِّ: جَدٌّ، ورجل مجدود، أي: محظوظ، وفي الحديث: «ولا ينفع ذا الجَدِّ، منك الجَدّ»[٣] قال أبو عبيد[٤] والخليل: أي: ذا الغنى منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة. وقال ابن عباس: قدرته. وقال الضحاك: فِعْله. وقال القُرظيُّ والضحَّاك أيضاً: آلاؤه ونعمه على خلقه. وقال أبو عبيدة[٥] والأخفش: ملكه وسلطانه. وقال السديّ: أمره. وقال سعيد ابن جُبير: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾أي: تعالى ربُّنا. وقيل: إنهم عَنَوا بذلك الجَدَّ الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن[٦] .

وقال محمد بن عليِّ بن الحسين وابنهُ جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جَدّ، وإنما قالته الجنُّ للجهالة، فلم يؤاخذوا به[٧].

وقال القشيريّ: ويجوز إطلاق لفظ الجدِّ في حقِّ الله تعالى، إذ لو لم يجز لَمَا

---

(١) قرأ عاصم وحمزة «قل» بغير ألف. السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص ٢١٥ .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢١٥) مطولاً.

(٣) سلف ١٩/ ٤٦٣ .

(٤) في (د) و(م): أبو عبيدة.

(٥) مجاز القرآن٢/ ٢٧٢ .

(٦) ينظر لهذه الأقوال تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٢-٣١٥ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣١٥ عن محمد أبي جعفر الباقر. قال ابن عطية: قال كثير من المفسرين: هذا قول ضعيف.

ذُكِرَ في القرآن، غير أنه لفظ مُوهم ، فتجنُّبه أولى.

وقرأ عِكرمة: «جِدّ» بكسر الجيم؛ على ضد الهَزْل. وكذلك قرأ أبو حَيْوة ومحمد ابنُ السَّمَيفع.

ويروى عن ابن السَّمَيفع أيضاً وأبي الأشهب: «جَدَا رَبِّنا» وهو الجَدْوى، والمنفعة.

وقرأ عكرمة أيضاً: «جَدًّا» بالتنوين؛ «رَبُّنَا» بالرفع على أنه مرفوع بـ «تعالى»، و«جَدًّا» منصوب على التميز.

وعن عكرمة أيضاً: «جَدٌّ» بالتنوين والرفع، «رَبُّنَا» بالرفع، على تقدير: تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا، فـ «جَدّ» الثاني بدلٌ من الأول، وحذف وأقيم المضافُ إليه مُقامه[(١)]

ومعنى الآية: وأنه تعالى جلالُ ربِّنا أن يتَّخذ صاحبةً وولداً للاستئناس بهما والحاجةِ إليهما، والربُّ يتعالى عن الأنداد والنظراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ الهاء في «أَنَّهُ» للأمر أو الحديث، وفي «كان» اسمها، وما بعدها الخبر. ويجوز أن تكون «كان» زائدة[(٢)].

والسفيه هنا إبليس في قول مجاهدٍ وابن جريح وقتادة. ورواه أبو بُرْدة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ[(٣)]. وقيل: المشركون من الجنّ. قال قتادة: عصاه سفيه الجنِّ كما عصاه سفيه الإنس[(٤)].

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٢ ، وفيه القراءتان عن عكرمة.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١١٠ دون ذكر ابن جريح، وقول مجاهد وقتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢١ .

والشطط والاشتطاط: الغلوُّ في الكفر. وقال أبو مالك: هو الجَوْر. وقال الكلبيّ: هو الكذب. وأصله البعد، فيعبَّر به عن الجَوْر لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق[١]، قال الشاعر:

بـأيَّـة حـالٍ حـكَّـمـوا فـيـك فـاشـتـطُّـوا   ومـاذاكَ إلا حـيـثُ يَـمَّـمـك الـوَخْـطُ[٢]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: حَسِبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فلذلك صدَّقناهم في أنَّ لله صاحبةً وولداً، حتى سمعنا القرآنَ وتبيَّنَّا به الحقّ.

وقرأ يعقوب والجحدريُّ وابن أبي إسحاق: «أَنْ لَنْ تَقَوَّل»[٣].

وقيل: انقطع الإخبار عن الجنِّ هاهنا، فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فمن فَتَحَ وجعله من قول الجنّ، ردَّها إلى قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ»، ومن كسر جعلها مبتدأً من قول الله تعالى. والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بوادٍ: أعوذ بسيِّد هذا الوادي مِن شرِّ سفهاء قومه، فَيبيت في جِواره حتى يُصبح، قاله الحسن وابن زيد وغيرهما[٤]. قال مقاتل: كان أَوَّل مَن تعوَّذ بالجنِّ قومٌ من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[٥]، فلمَّا جاء الإسلام، عاذوا بالله وتركوهم.

وقال كَرْدَم بن أبي السائب[٦]: خرجت مع أبي إلى المدينة أَوَّلَ ما ذُكر النبيُّ ﷺ،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٠.

(٢) لم نقف عليه. والوخط: الشيب.

(٣) قراءة يعقوب في النشر٢/ ٣٩٢، وهي من العشرة، وقراءة الجحدري في القراءات الشاذة ص١٦٢ والمحتسب ٢/ ٣٣٣.

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠.

(٦) الأنصاري. قال البخاري وابن السكن: له صحبة. وقال ابن حبان: يقال: له صحبة، ثم أعاده في التابعين، فقال: يروي المراسيل. وقال أبو عمر: يقال: له صحبة، سكن المدينة، ومخرج حديثه عن أهل الكوفة. الإصابة ٨/ ٢٧٦.

فآوانا المبيتُ إلى راعي غنم، فلمَّا انتصف الليل، جاء الذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم، فقال الراعي: ياعامرَ الوادي، جارُك. فنادى منادٍ لا نراه: ياسِرْحان أرسله، فأتى الحَمَلُ يَشْتدّ، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[١] أي: زاد الجنُّ الإنسَ رَهَقاً، أي: خطيئة وإثماً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[٢].

والرَّهَق: الإثم في كلام العرب وغِشْيانُ المحارم[٣]، ورجلٌ رَهِقٌ: إذا كان كذلك، ومنه قولهُ تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧]، وقال الأعشى[٤]:

لاشيءَ ينفعُني مِن دونِ رؤيتِها ... هل يَشتفي عاشقٌ[٥] مالم يُصِب رَهَقَا

يعني إثماً. وأضيف الزيادة إلى الجنّ إذ كانوا سبباً لها. وقال مجاهدٌ أيضاً: «فَزَادُوهم» أي: إنَّ الإنس زادوا الجنَّ طغياناً بهذا التعوُّذ، حتى قالت الجنّ: سُدنا الإنسَ والجنَّ[٦]. وقال قتادة أيضاً وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فَرَقَاً وخوفاً من الجنِّ[٧]. وقال سعيد بن جُبير: كفراً[٨]. ولا خفاءَ أنَّ الاستعاذة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٤٠ـ والطبراني في الكبير ١٩/ ١٩١-١٩٢ (٤٣٠)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٤، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٢. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٢٩: فيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. قال ابن أبي حاتم: ورُوي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه. قال ابن كثير: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل ـ وهو ولد الشاة ـ كان جنيًّا حتى يُرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجاربه، ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٤-٣٢٥ عن ابن عباس وقتادة وإبراهيم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٢.

(٤) ديوانه ص٤١٥.

(٥) في (م): وامق، أي: محبّ.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥ مختصراً. وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦ عن الربيع وابن زيد، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١١ عن أبي العالية.

(٨) النكت والعيون ٦/ ١١١.

بالجنِّ دون الاستعاذةِ بالله كفرٌ وشرك.

وقيل: لا يطلق لفظُ الرجال على الجنِّ، فالمعنى: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجنِّ برجالٍ من الإنس، وكان الرجلُ من الإنس يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بنِ بدر من جنِّ هذا الوادي.

قال القشيريّ: وفي هذا تحكُّم، إذ لا يَبْعُدُ إطلاقُ لفظ الرجال على الجنّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا مِن قول اللهِ تعالى للإنس، أي: وأنَّ الجنَّ ظنُّوا أنْ لن يبعثَ اللهُ الخلقَ كما ظننتم. قال الكلبيّ: المعنى: ظنَّت الجنُّ كما ظنَّت الإنس أنْ لن يبعث الله رسولاً إلى خلقه يقيمُ به الحجَّةَ عليهم[١]. وكلُّ هذا توكيدٌ للحجَّة على قريش، أي: إذا آمن هؤلاء الجنُّ بمحمد، فأنتم أحقُّ بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ هذا من قول الجنّ، أي: طلبنا خبرَها كما جرت عادتنا، فوجدناها قد مُلِئت حَرَساً شديداً، أي: حَفَظة، يعني الملائكة. والحَرَس: جمع حارس «وشُهُباً» جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع[٢]. وقد مضى القولُ فيه في سورة الحِجْر والصافَّات[٣].

و«وجَدَ» يجوز أن يقدَّر متعدِّياً إلى مفعولين، فالأوَّل الهاء والألف، و« مُلِئت» في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن يتعدَّى إلى مفعول واحد، ويكون «مُلِئت» في

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٣) ١٢/ ١٨٦ فما بعد، ١٨/ ١٠ فما بعد.

موضع الحال على إضمار «قد»[١]. و«حَرَساً» نصب على المفعول الثاني بـ«مُلِئت»[٢]. و«شديداً» من نعت الحَرس، أي: ملئت ملائكةً شِداداً.

ووحّد الشَّديد على لفظ الحرَس، وهو كما يقال: السَّلَف الصالح، بمعنى الصالحين، وجمع السَّلَف: أسلاف، وجمع الحرس: أحراس، قال:

تـجـاوزتُ أحـراسـاً وأهـوالَ مَـعْـشَـرٍ[٣]

ويجوز أن يكون «حَرَساً» مصدراً على معنى: حُرِستْ حراسةً شديدةً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ «مِنْهَا» أي: من السماء، و«مَقَاعِدَ»: مواضع يُقْعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء، يعني أنَّ مَرَدة الجنِّ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبارَ السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة، على ما تقدَّم بيانه[٤]، فَحَرسها اللهُ تعالى حين بعث رسولَه بالشُّهب المحرِقة، فقالت الجنُّ حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ يعني بالشهاب الكوكبَ المُحرِق[٥]، وقد تقدَّم بيانُ ذلك[٦].

ويقال: لم يكن انقضاضُ الكواكب إلَّا بعد مبعث النبيِّ ﷺ، وهو آيةٌ من آياته[٧].

واختلف السَّلف: هل كانت الشياطين تُقذَف قبل المبعث، أو كان ذلك أمراً حدث لمبعث النبيِّ ﷺ؟ فقال الكلبيُّ وقال قوم: لم تكن تُحرس السماء في الفترة بين

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٨ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ قال النحاس: والأول أولى، وبنحوه قال مكي.

(٢) والأظهر أنه تمييز كما في البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٦٦ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ .

(٣) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: عليَّ حِرَاصٌ لو يُشِرُّون مقتلي، وهو في ديوانه ص١٣ ، وسلف ١٤/ ٣٠٣ .

(٤) في المسألة الثانية، وينظر ١٥/ ٦٦ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢ .

(٦) ١٨/ ١٢ - ١٣ .

(٧) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٤ .

عيسى ومحمدٍ صلوات الله عليهما وسلامه، خمس مئة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبيِّ ﷺ، فلما بُعث محمدٌ ﷺ منعوا من السماوات كلِّها، وحُرست بالملائكة والشُّهب.

قلت: ورواه عطية العوفيُّ عن ابن عباس، ذكره البيهقي(١).

وقال عبد الله بن عمر(٢): لمَّا كان اليومُ الذي نُبِّئ رسولُ الله ﷺ، مُنعت الشياطين ورُمُوا بالشُّهب. وقال عبد الملك بن سابور(٣): لم تكن السماء تُحرس في الفترة بين عيسى ومحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، فلما بُعث محمدٌ ﷺ حُرست السماء، ورُميت الشياطين بالشُّهب، ومُنعت من الدُّنوّ من السماء. وقال نافع ابن جُبير: كانت الشياطين في الفترة تَسمع فلا تُرمَى، فلما بعث رسولُ الله ﷺ رُميت بالشُّهب. ونحوهُ عن أُبيِّ بن كعب قال: لم يُرمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى نُبِّئ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها(٤).

وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسولِ الله ﷺ إنذاراً بحاله(٥)؛ وهو معنى قولِهِ تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ أي: زيد في حَرَسها؛ وقال أَوْس بن حَجَر، وهو جاهلي:

فانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبعُهُ ... نَقْعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُباً

وهذا قول الأكثرين(٦). وقد أنكر الجاحظُ هذا البيتَ وقال: كلُّ شعر رُوي فيه فهو مصنوع(٧)، وأنَّ الرمي لم يكن قبل المبعث.

(١) في دلائل النبوة ٢/ ٢٤٢.

(٢) في(ظ): عبد الله بن المبارك، والأثر أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٧٩) عن عبد الله بن عمرو.

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) أخرجه الواقدي وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٦) المصدر السابق. والبيت في ديوان أوس ص٣. الطُّنب: حبل الخِباء. الصحاح (طنب).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

والقولُ بالرمي أصحّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾. وهذا إخبارٌ عن الجنّ، أنه زِيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم؛ ولِمَا رُوي عن ابن عباس قال: بينما النبيُّ ﷺ جالسٌ في نفر من أصحابه إذ رُمي بنجم، فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنَّا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال النبيُّ ﷺ: «إنها لا تُرْمَى لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً في السماء؛ سبَّح حَمَلةُ العرش، ثم سبَّح أهل كلِّ سماء، حتى ينتهيَ التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبرُ أهلُ السماء حَمَلةَ العرش: ماذا قال ربُّكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كلِّ سماءٍ حتى ينتهيَ الخبرُ إلى هذه السماء، فتتخطَّف الجنُّ، فيُرْمَون، فما جاؤوا به فهو حقّ، ولكنهم يزيدون فيه»[١]. وهذا يدلُّ على أنَّ الرجم كان قبل المبعث.

وَرَوى الزُّهريُّ نحوَه عن عليِّ بن الحسين بن[٢] عليِّ بن أبي طالب، عن ابن عباس، وفي آخره: قيل للزهريِّ: أكان يُرمَى في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيتَ قولَه سبحانه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غُلِّظت وشُدِّد أمرُها حين بُعث النبيُّ ﷺ[٣]. ونحوَه قال القُتبي. قال ابن قتيبة: كان، ولكن اشتدَّت الحراسة بعد المبعث؛ وكانوا من قبلُ يسترِقُون ويُرمَون في بعض الأحوال، فلما بُعث محمدٌ ﷺ مُنعت من ذلك أصلاً[٤].

وقد تقدَّم بيانُ هذا في سورة الصافات عند قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[٥] [الآية: ٨-٩] قال الحافظ: فلو قال قائل: كيف تتعرَّض الجنُّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩) من طريق الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) في (د) و(م): عن، وهو خطأ.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧، وهذه الرواية عند أحمد (١٨٨٢) في أثناء الحديث.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٣٣٣.

(٥) ١٨/ ١٢ - ١٣.

لإحراقِ نفسِها بسبب استماعِ خبر، بعد أن صار ذلك معلوماً لهم؟

فالجواب: أنَّ الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تَعْظُمَ المِحْنة، كما ينسَى إبليس في كلِّ وقتٍ أنه لا يسلم، وأنَّ الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥] ولولا هذا لَمَا تحقَّقَ التكليف.

والرَّصَد؛ قيل: من الملائكة، أي: ورَصَداً من الملائكة. والرَّصَدُ: الحافظ للشيء، والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضعِ يجوز أن يكون جمعاً كالحرس، والواحد: راصد. وقيل: الرَّصَد هو الشِّهاب، أي: شهاباً قد أُرصد له، ليُرجَمَ به؛ فهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالخَبَط والنَّفَض[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بهذا[(٢)] الحرسِ الذي حُرست بهم السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيراً.

قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري هل أراد الله بهذا المنع أن يُنزل على أهل الأرض عذاباً أو يُرسل إليهم رسولاً؟[(٣)]

وقيل: هو من قول الجنِّ فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءةَ النبيِّ ﷺ. أي: لا ندري أَشَرٌّ أُرِيدَ بمَن في الأرض بإرسال محمدٍ إليهم، فإنهم يكذِّبونه ويَهلكون بتكذيبه كما هلك مَن كذَّب مِن الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا. فالشرُّ والرَّشَد على هذا الكفرُ والإيمان؛ وعلى هذا كان عندهم علمٌ بمبعث النبيِّ ﷺ، ولمَّا سمعوا قراءته علموا أنهم مُنعوا من السماء حراسةً للوحي.

وقيل: لا؛ بل هذا قولٌ قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي: لمَّا آمنوا أشفقوا ألَّا يؤمنَ كثير من أهل الأرض، فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهلُ الأرض بما آمنَّا به أم يؤمنون؟

---

(١) الخَبَط: ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط، ونحوه النَّفَض.

(٢) في (د) و(م): هذا.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٨ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ هذا من قول الجنِّ، قال بعضهم لبعض لمَّا دَعَوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: وإنَّا كنَّا قبل استماع القرآنِ منَّا الصالحون ومنَّا الكافرون.

وقيل: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه مِن حَمْله على الإيمان والشرك[(١)].

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: فِرَقاً شتَّى؛ قاله السُّدِّيّ. الضَّحاك: أدياناً مختلفة[(٢)]. قتادة: أهواءً متباينة[(٣)]؛ ومنه قول الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي لطاعتهِ   في فتنة الناسِ إذ أهواؤهمْ قِدَدُ[(٤)]

والمعنى: أي: لم يكن كلُّ الجنِّ كفاراً، بل كانوا مختلفين؛ منهم كفَّار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء. وقال المسيَّب[(٥)]: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس. وقال السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجنّ مِثلُكم: قَدَريَّة، ومُرْجِئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسُنِّية[(٦)]. وقال قوم: أي: وإنَّا بعد استماع القرآن مختلفون: منَّا المؤمنون ومنَّا الكافرون. أي: ومنَّا الصالحون، ومنَّا مؤمنون لم يتناهَوا في الصلاح. والأوَّل أحسن؛ لأنه كان في الجنّ مَن آمن بموسى وعيسى، وقد أخبر اللهُ عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ . .

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٠ .

(٤) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٣، والكلام في النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٥) في فتح القدير٥/ ٣٠٦ : سعيد بن المسيب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٨٠ عن الحسن والسدي.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وهذا يدلُّ على إيمان قومٍ منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغةً منهم في دعاء مَن دَعَوهم إلى الإيمان. وأيضاً لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر.

والطرائق: جمع الطريقة، وهي مذهب الرجل، أي: كنَّا فِرَقاً مختلفة. ويقال: القوم طرائق، أي: على مذاهبَ شتّى. والقِدَد: نحوٌ من الطرائق، وهو توكيدٌ لها، واحدها: قِدَّة. يقال: لكل طريق قِدَّة، وأصلها مِن قَدِّ السُّيور، وهو قَطْعُها؛ قال لبيد يرثي أخاه أَرْبَد[1]:

لم تَبْلُغِ العينُ كلَّ نَهْمَتِها ليلةَ تُمْسي الجِيادُ كالقِدَدِ

وقال آخر:

ولقد قلتُ وزَيدٌ حاسرٌ يومَ وَلَّتْ خَيلُ عَمْرٍو قِدَدا[2]

والقِدّ ـ بالكسر ـ سَيْر يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ؛ ويقال: ماله قِدٌّ ولا قِحْف؛ فالقِدُّ: إناء من جلد، والقِحف: من خشب[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الظنُّ هنا بمعنى العلمِ واليقين، وهو خلاف الظنِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ﴾ أي: عَلِمْنا بالاستدلال والتفكُّر في آيات الله أنَّا في قبضته وسلطانه، لن نفوتَه بهرب ولا غيرِه. و﴿هَرَبًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال[4]، أي: هاربين.

---

(١) في النسخ: زيداً، والتصويب من المصادر، والبيت في ديوان لبيد ص٥٠ .

(٢) نسبه الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٣٠٦ للبيد، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣ فقال: وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله... قال ابن عباس: أما سمعت الشاعر وهو يقول... ثم ذكره .

(٣) الصحاح (قدد).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٩ .

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وبالله، وصدَّقنا محمداً ﷺ على رسالته. وكان ﷺ مبعوثاً إلى الإنس والجنّ. قال الحسن: بعث اللهُ محمداً ﷺ إلى الإنس والجنِّ، ولم يبعث الله تعالى قطُّ رسولاً من الجنِّ، ولا من أهل البادية، ولا من النساء؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩][(١)] وقد تقدَّم هذا المعنى[(٢)]. وفي الصحيح[(٣)]: «وبُعثتُ إلى الأحمر والأسود» أي: الإنس والجنّ.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف أن يُنْقص من حسناته ولا أن يزادَ في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرَّهَق العدوان[(٤)] وغشيان المحارم، قال الأعشى[(٥)]:

لا شيء ينفعني من دونِ رؤيتِها ... هل يَشتفي وامِقٌ مالم يُصِبْ رَهَقاً

الوامق: المحبّ؛ وقد وَمِقَه يمِقُه ـ بالكسر ـ أي: أحبَّه، فهو وامق[(٦)].

وهذا قولٌ حكاه الله تعالى عن الجِنِّ؛ لقُوَّة إيمانهم وصِحَّةِ إسلامهم[(٧)].

وقراءة العامة: «فَلَا يَخافُ» رفعاً، على تقدير: فإنه لا يخاف. وقرأ الأعمش

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٢) ١١/ ٤٦٩-٤٧٠

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١). وسلف ٤/ ٢٥٨ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١١٣-١١٤ . وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٢ .

(٥) ديوانه ص٤١٥ ، وسلف ص٢٨٤ من هذا الجزء.

(٦) الصحاح (ومق).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٤ .

ويحيى وإبراهيم: «فَلَا يَخَفْ» جزماً على جواب الشرط وإلغاء الفاء[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ﴾ أي: وأنَّا بعد استماع القرآن مختلفون، فمنَّا مَن أسلم ومنَّا مَن كفر. والقاسط: الجائر، لأنه عادلٌ عن الحقّ، والمُقْسِط: العادل؛ لأنه عادل إلى الحق؛ قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل؛ قال الشاعر[٢]:

قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً عَمْراً وهمْ قَسَطُوا على النُّعْمانِ

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ أي: قصدوا طريق الحقِّ وتوخَّوه[٣]. ومنه تحرِّي القِبلة. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ﴾ أي: الجائرون عن طريق الحقِّ والإيمان ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: وَقوداً. وقوله: ﴿فَكَانُواْ﴾ أي: في علم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هذا مِن قول الله تعالى. أي: لو آمن هؤلاء الكفار، لوسَّعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق. وهذا محمولٌ على الوحي، أي: أُوحي إليَّ: أنْ لو استقاموا.

ذكر ابن بحر: كلُّ ما في السورة مِن «إنَّ» المكسورة المثقَّلة فهي حكايةٌ لقول الجنِّ الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكلُّ ما فيها مِن «أنْ» المفتوحة المخففة[٤] فهي وحيٌ إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) نسب القراءة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٩ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ للأعمش ويحيي بن وثاب، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ ليحيى بن وثاب.

(٢) هو الفرزدق، والبيت في الشعر والشعراء ١/ ٢٣٥ ، والمحرر ٥/ ٣٨٢ ، والأغاني ١١/ ٥٤ ، والخزانة ٦/ ٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .

(٤) بعدها في النكت والعيون ٦/ ١١٦ـ والكلام منه ـ: أو المثقلة . اهـ. وفي هذا الكلام خلاف، وينظر ما سلف ص٢٧٩-٢٨٠ من هذا الجزء.

وقال ابن الأنباريّ[١]: ومَن كسر الحروف وفتح «وأَنْ لو استقاموا» أضمر يميناً تامًّا[٢]، تأويلها: واللهِ أنْ لو استقاموا على الطريقة؛ كما يقال في الكلام: والله أنْ [لو] قمتَ لقمتُ، ووالله لو قمتَ قمتُ؛ قال الشاعر:

أَمَا واللهِ أنْ لو كُنتَ حُرًّا ... وما بِالحُرِّ أنتَ ولا العتِيقِ[٣]

ومَن فتح ما قبل المخفَّفة نسَقها - أعني الخفيفة - على: «أوحيَ إليَّ أنَّه»، «وأنْ لو استقاموا»، أو على[٤]: «آمنَّا به» وبأن لو استقاموا. ويجوز لمن كسر الحروف كلَّها إلى «أن» المخففة، أن يعطف المخفَّفةَ على: «أُوحيَ إليَّ» أو على: «آمنَّا به»، ويستغني عن إضمار اليمين.

وقراءة العامة بكسر الواوِ مِن «لو»؛ لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن وثَّاب والأعمش بضمِّ الواو[٥].

﴿مَآءً غَدَقًا﴾ أي: واسعاً كثيراً، وكانوا قد حُبِس عنهم المطرُ سبعَ سنين[٦]؛ يقال: غَدِقت العينُ تَغدَق فهي غَدِقة: إذا كَثُر ماؤها. وقيل: المراد الخلق كلُّهم، أي: «لو استقاموا على الطَّريقة» طريقةِ الحقِّ والإيمان والهدى، وكانوا مؤمنين مطيعين، «لأَسقيناهُمْ ماءً غَدَقاً» أي كثيراً: «لِنَفتِنَهُمْ فيه» أي: لنختبرهم كيف شكرُهم فيه على تلك النِّعَم.

وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماءُ كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة[٧]. فمعنى «لَأَسقيناهُمْ»: لوسَّعنا عليهم في الدنيا؛ وضَرَب الماءَ الغَدَقَ الكثيرَ

---

(١) في الوقف والابتداء ٢/ ٩٥١-٩٥٢ . وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) قوله: تامًّا، ليس في الوقف والابتداء.

(٣) سلف ١١/ ٣٣٦ .

(٤) في النسخ الخطية والمصدر: وعلى، والمثبت من (م).

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣ ، والمحتسب ٢/ ٣٣٣ .

(٦) قاله مقاتل كما في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٧ .

لذلك مثلاً؛ لأنَّ الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأُقيم مقامه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقولهِ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦][١] أي: بالمطر. والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيّب وعطاء بن أبي رَبَاح والضحَّاك وقتادة ومقاتل وعطية وعُبيد بنُ عمير والحسن: كان ـ واللهُ ـ أصحابُ النبيِّ ﷺ سامعين مطيعين، ففُتحت عليهم كنوزُ كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشيِّ ففُتنوا بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه. يعني عثمان بنَ عفَّان[٢].

وقال الكلبيُّ وغيره: «وأنْ لو استقاموا على الطَّريقة» التي هم عليها من الكفر فكانوا كلُّهم كفاراً، لوَّسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً لهم، حتى يَفتتنوا بها، فنعذِّبهم بها في الدنيا والآخرة. وهذا قولٌ قاله الربيع بنُ أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبيُّ والثُّماليُّ وَيَمَان بنُ رِئاب وابن كيسان وأبو مِجْلَز؛ واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤][٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣].

والأوَّل أشبه؛ لأنَّ الطريقة معرَّفةٌ بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقةَ الهدى[٤]؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلَّا مع الهدى. وفي صحيح مسلم[٥] عن

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣.

(٢) ذكره عن الحسن وسعيد بن المسيب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٣) قول الربيع وزيد والكلبي وابن كيسان في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٤، وعن أبي مجلز أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٦.

(٥) برقم (١٠٥٢): (١٢٢)، وسلف ١٣/ ٢٠٨.

أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أخوفُ ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم مِن زَهْرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض. . » وذَكَر الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: «فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا [كما بُسطت على مَن قبلكم] فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلِكَكم كما أهلكتهم»(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني القرآن؛ قاله ابن زيد. وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما عن القَبول؛ إن قيل: إنها في أهل الكفر. الثاني عن العمل؛ إن قيل: إنها في المؤمنين(٢). وقيل: «ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْر ربِّه» أي: لم يشكر نعمه.

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قرأ الكوفيُّون وعبّاسٌ(٣) عن أبي عمرو: «يَسْلُكْهُ» بالياء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لِذِكر اسمِ اللهِ أوّلاً فقال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾. الباقون: «نَسْلُكْهُ» بالنون(٤). ورُوي عن مسلم بن جُندب ضمُّ النون وكسرُ اللام(٥). وكذلك قرأ طلحة والأعرج، وهما لغتان، سلكه وأسلكه بمعنىً؛ أي: ندخله.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقّاً شديداً. قال ابن عباس: هو جبل في جهنم(٦). الخدريّ(٧): كلَّما جعلوا أيديهم عليه ذابت. وعن ابن عباس: أنَّ المعنى: مشقَّة من العذاب(٨). وذلك معلوم في اللغة أنَّ الصَّعَد: المشقة، تقول: تَصعَّدتني الأمر: إذا شقَّ عليك؛ ومنه قول عمر: ما تَصعَّدني شيءٌ ما تَصعَّدتني خُطبة النكاح، أي: ما شقَّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٣٤)، والبخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ. وما بين حاصرتين من هذه المصادر.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٨ .

(٣) في (د) و(ظ) و(م): عياش. ولم نقف على هذه الرواية.

(٤) السبعة ص٦٥٦ ، والتيسير ٢١٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٥١ وهي قراءة شاذة .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٩ .

(٧) قوله: الخدري، ليس في (ظ).

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٩ .

عليَّ[(١)]. وعذاب صَعَد ، أي شديد. والصَّعَد: مصدر صَعِد؛ يقال: صَعِدَ صَعَداً وصُعوداً، فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعَّد المعذَّب، أي: يعلوه ويغلبه، فلا يطيقه[(٢)]. وقال أبو عبيدة[(٣)]: الصَّعَد مصدر، أي: عذاباً ذا صَعَدٍ، والمشي في الصَّعود يشقّ. والصَّعود: العقبة الكؤود[(٤)]. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يُكلَّف صعودَها؛ فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِر إلى جهنم[(٥)].

وقال الكلبيّ: يكلَّف الوليد بنُ المغيرة أن يصعد جبلاً في النار من صخرة ملساء، يُجذب من أمامه بسلاسل، ويُضرب مِن خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغُ إلَّا[(٦)] في أربعين سنة. فإذا بلغ أعلاها أُحْدِر إلى أسفلها، ثم يكلَّف أيضاً صعودَها، فذلك دأبُه أبداً، وهو قولهُ تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ «أنَّ» بالفتح، قيل: هو مردودٌ إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: قل أُوحي إليَّ أنَّ المساجد لله. وقال الخليل: أي: ولأنَّ المساجد لله[(٧)]. والمراد البيوت التي تبنيها أهلُ المِللِ للعبادة. وقال سعيد بن جبير: قالت الجِنّ: كيف لنا أن نأتيَ المساجدَ ونشهدَ معك الصلاةَ ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[(٨)] أي: بُنيت لِذِكر الله وطاعته.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١ ، والكشاف ٤/ ١٧٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٠ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٣، ووقع في (ز) و(ظ): أبو عبيد.

(٤) الصحاح (صعد).

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٩٤ دون نسبة.

(٦) لفظة: إلا، من (ظ). وهذا القول ذكره الفراء مختصراً دون نسبة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤١ .

وقال الحسن: أراد بها كلَّ البقاع؛ لأن الأرض كلَّها مسجد للنبيِّ ﷺ[(١)]، يقول: أينما كنتم فصلُّوا، فأينما صلَّيتم فهو مسجد[(٢)] وفي الصحيح[(٣)]: «وجُعلت ليَ الأرضُ مسجداً وطَهوراً».

وقال سعيد بن المسيّب وطَلْق بنُ حبيب: أراد بالمساجد الأعضاءَ التي يَسجد عليها العبد[(٤)] وهي: القدمان، والركبتان، واليدان، والوجه؛ يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجدْ لغيره بها، فتجحدَ نعمةَ الله. قال عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أُمرت أن تسجد عليها لا تذلِّلها لغير خالقِها.

وفي الصحيح[(٥)] عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظُم: الجبهةِ ـ وأشار بيده إلى أنفه ـ واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين». وقال العباس: قال النبيُّ ﷺ « إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب»[(٦)].

وقيل: المساجد: هي الصلوات، أي: لأن السجود لله. قاله الحسن أيضاً[(٧)].

فإن جعلت المساجدَ المواضع، فواحدُها مَسجِد، بكسر الجيم، ويقال بالفتح، حكاه الفرَّاء. وإن جعلتها الأعضاء، فواحدها مَسجَد، بفتح الجيم[(٨)].

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٤ .

(٢) أخرج أحمد (٢١٣٣٣)، والبخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر ﷺ مرفوعاً ضمن حديث: «أينما أدركتك الصلاة فصلِّ، فهو مسجد».

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، وصحيح مسلم (٥٢١)، وسلف ٢/ ٢٨٣ .

(٤) نسب هذا القول الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ لسعيد بن جبير، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ للربيع، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ لابن عطاء.

(٥) صحيح البخاري (٨١٢)، وصحيح مسلم (٤٩٠): (٢٣٠). وسلف ٢/ ٢٨ .

(٦) أخرجه أحمد (١٧٦٤) ، ومسلم (٤٩١) قوله: آراب، أي: أعضاء، واحدها إرْبٌ، بالكسر والسكون، والمراد بها الأعضاء السبعة المذكورة قبل .

(٧) ذكر قوله أبو الليث في تفسيره٣/ ٤١٣ ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ لابن شجرة.

(٨) تفسير البغوي٤/ ٤٠٤ ، وكلام الفراء في الصحاح(سجد).

وقيل: هو جمع مَسجَد، وهو السجود، يقال: سجدت سجوداً ومَسجَداً، كما تقول: ضربت في الأرض ضَرْباً ومَضرَباً، بالفتح: إذا سرتَ في ابتغاء الرِّزق[١].

وقال ابن عباس: المساجد هنا مكةُ التي هي القِبلة، وسمِّيت مكة المساجد، لأنَّ كلَّ أحدٍ يسجد إليها.

والقول الأوَّل أظهر هذه الأقوالِ إن شاء الله، وهو مرويٌّ عن ابن عباس رحمه الله[٢].

الثانية: قوله تعالى: «لِلَّهِ» إضافةُ تشريفٍ وتكريم، ثم خصَّ بالذِّكر منها البيت العتيق، فقال: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ [الحج:٢٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لاتُعمَل المَطِيُّ إلَّا إلى ثلاثة مساجد»[٣] الحديث خرَّجه الأئمة. وقد مضى الكلامُ فيه. وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام».

قال ابن العربي: وقد روي من طريق لابأس بها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام، فإنَّ صلاة فيه خيرٌ من مئة صلاة في مسجدي هذا» ولوصحَّ هذا لكان نَصًّا[٤].

قلت: هو صحيحٌ بنقل العدل عن العدل حَسب ما بيَّنَّاه في سورة إبراهيم[٥].

الثالثة: المساجد وإن كانت لله ملكاً وتشريفاً، فإنها قد تُنسب إلى غيره تعريفاً، فيقال: مسجد فلان. وفي صحيح الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ سابقَ بين الخيل التي أُضمرت

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٩ .

(٣) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٢٣٨٤٨)، والنسائي ٣/ ١١٣-١١٤ . وسلف ٧/ ٧٢ بلفظ: لاتشد الرحال...

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه أحمد(١٦١١٧)، وسلف ١٢/ ١٥١ .

(٥) ١٢/ ١٥١ .

من الحفياء، وأمدُها ثَنيَّةُ الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمَّر من الثنيَّة إلى مسجد بني زُريق. وتكون هذه الإضافة بحكم المحلِّية كأنها في قبلتهم، وقد تكون بتحبيسهم، و لا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر و إن اختلفوا في تحبيس غير ذلك[١].

الرابعة: مع أنَّ المساجد لله لا يُذكر فيها إلّا الله، فإنه تجوز القِسمةُ فيها للأموال. ويجوز وضع الصَّدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين، وكلُّ مَنْ جاء أكل. ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير، والنومُ فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عَرِيَ عن الباطل[٢]. وقد مضى هذا كلُّه مبيَّناً في سورة براءة والنور وغيرِهما[٣].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ هذا توبيخٌ للمشركين في دعائهم مع الله غيرَه في المسجد الحرام[٤]. وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين أن يُخلِصوا لله الدعوةَ إذا دخلوا المساجد كلَّها[٥]. يقول: فلا تشركوا فيها صنماً وغيرَه مما يُعبد.

وقيل: المعنى: أَفرِدوا المساجدَ لذكر الله، ولا تتَّخذوها هُزُواً وَمتْجَراً ومجلساً، ولا طرقاً، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً[٦]. وفي الصحيح[٧]: «مَن نَشَد ضالَّةً في

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم(١٨٧٠)، وسلف ١١/ ٢٨٢

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٣) ١٠/ ١٥٢ فما بعد، ١٥/ ٢٧٠ فما بعد.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٥) أخرج هذا القول عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٢٣ عن قتادة. ونسبه له أيضاً أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١٣ ، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ بنحوه.

(٧) صحيح مسلم (٥٦٨)، وسلف ١٥/ ٢٨١ .

المسجد فقولوا: لا ردَّها الله عليك، فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا».

وقد مضى في سورة النور ما فيه كفايةٌ من أحكام المساجد، والحمدُ لله.

السادسة: روى الضحّاك عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا دخل المسجد قدَّم رِجلَه اليمنى، وقال: «وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا مع الله أَحَداً» اللهمَّ أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حقّ، وأنت خيرُ مزور، فأسألك برحمتك أن تَفُكَّ رقبتي من النار» فإذا خرج من المسجد قدَّم رجله اليسرى، وقال: « اللهم صُبَّ عليَّ الخيرَ صبًّا، ولا تَنزِع عني صالحَ ما أعطيتني أبداً، ولا تجعل معيشتي كَدًّا، واجعل لي في الأرض جَدًّا»[١] أي: غنىً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يجوز الفتح، أي: أُوحي اللهُ أنه.

ويجوز الكسر على الاستئناف. و«عبد الله» هنا محمدٌ ﷺ حين كان يصلِّي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، حسب ما تقدَّم أوَّلَ السورة ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبده. وقال ابن جُريج: « يَدْعُوهُ» أي: قام إليهم داعياً لهم إلى الله تعالى[٢].

﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال الزبير بن العوّام: هم الجنُّ حين استمعوا القرآن من النبيِّ ﷺ[٣]. أي: كاد يركب بعضُهم بعضاً ازدحاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن. وقيل: كادوا يركبونه حرصاً، قاله الضحّاك[٤]. ابن عباس: رغبةً في سماع الذِّكر. وروى بُردْ عن مكحول[٥]: أنَّ الجنَّ بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة،

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ بنحوه .

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤٣ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٢١ : روى مكحول عن ابن مسعود، ثم ذكر الخبر.

وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ هذا من قول الجنِّ، لمَّا رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبيِّ ﷺ وائتمامِهم به في الركوع والسجود[١].

وقيل: المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حَرَدًا[٢] على النبيِّ ﷺ. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني «لمَّا قام عبد الله» محمدٌ بالدعوة، تَلبَّدت الإنس والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبَى اللهُ إلَّا أن ينصره ويُتمَّ نوره.

واختار الطبريُّ[٣] أن يكون المعنى: كادت العرب يجتمعون على النبيِّ ﷺ، ويتظاهرون على إطفاء النورِ الذي جاء به. وقال مجاهد[٤]: قوله: «لِبَداً»: جماعات، وهو مِن: تَلَبَّد الشيءُ على الشيء، أي: تجمَّع، ومنه اللِّبْد الذي يفرش لتراكم صوفه. وكلُّ شيءٍ ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبَّدته[٥]، وجمع اللِّبدة: لِبَد، مثل: قِرْبة وقِرَب. ويقال للشَّعر الذي على ظهر الأسد: لِبْدة، وجمعها لِبَد[٦]، قال زهير:

لدى أَسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ ... له لِبَدٌ أَظفارُه لم تُقَلَّمِ[٧]

ويقال للجراد الكثير: لِبَد.

وفيه أربع لغات وقراءات: فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامَّة. وضمُّ اللام وفتح الباء، وهي قراءة مجاهدٍ وابنِ مُحَيْصن وهشام عن أهل الشام[٨]، واحدتها لُبْدة. وبضمِّ اللام والباء، وهي قراءة أبي حَيْوة ومحمد بنِ السَّمَيْفَع وأبي الأشهب

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٣) وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ٢٣/ ٣٤٤.

(٢) الحَرَد: الغضب. الصحاح(حرد).

(٣) في تفسيره ٢٣/ ٣٤٥، وفيه قول الحسن وقتادة وابن زيد.

(٤) ذكر قوله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٢، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٠.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٧.

(٦) الصحاح(لبد) بنحوه.

(٧) شرح ديوان زهير ص٢٣. شاكي السلاح: أي: سلاحه ذو شوكة. المقذف: الغليظ اللحم.

(٨) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥، وعن مجاهد وابن محيصن في القراءات الشاذة ص١٦٣.

العُقَيلي والجَحْدري[١]. واحدها لَبْد، مثل: سَقْف وسُقُف، ورَهْن ورُهُن. وبضَّم اللام وشدِّ الباء وفتحها، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجَحْدريِّ أيضاً[٢]. واحدها لابِد، مثل: راكع ورُكَّع، وساجِد وسُجَّد.

وقيل: اللُّبَد، بضم اللام وفتح الباء: الشيء الدائم، ومنه قيل لنَسر لقمان: لُبَد، لدوامه وبقائه، قال النابغة:

أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ[٣]

القشيريّ: وقُرِئ: «لُبُداً» بضم اللام والباء، وهو جمع لَبِيد، وهو الجُوالِق[٤] الصغير.

وفي الصحاح: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد:٦] أي: جمًّا. ويقال أيضاً: الناس لُبَد، أي: مجتمعون، واللُّبَد أيضاً: الذي لايسافر ولايبرح [منزله] قال الشاعر[٥]:

مِن امرئٍ ذي سَماحٍ لا تزال له بَزْلاءُ يعيا بها الجَثَّامة اللُّبَدُ

ويروى: اللَّبِد. قال أبو عُبيد: وهو أشبه[٦].

ولُبَد: آخر نسور لقمان، وهو ينصرف، لأنه ليس بمعدول. وتزعم العرب أنَّ لقمان هو الذي بعثته عاد في وَفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أُهلكوا، خُيِّر لقمان

(١) قراءة الجحدري في المحتسب ٢/ ٣٣٤ .

(٢) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٤ للحسن والجحدري، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ للجحدري.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص٣١ ، وسلف ٢٠/ ١٠٤ ، وسيأتي قريباً بتمامه.

(٤) الجوالق: الوعاء. الصحاح (جلق).

(٥) هو الراعي النميري، والبيت في ديوانه ص٦٠ برواية: مِن أمرِ ذي بدوات...

(٦) الصحاح (لبد)، وماسلف بين حاصرتين منه. ووقع بعدها في (م): والبزلاء: الرأي الجيد. وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام، قال الشاعر:

إني إذا شَغَلتْ قوماً فروجُهمُ رحبُ المسالك نهَّاضٌ ببزلاءِ

بين بقاء سبع بعرات(١) سُمْر، مِن أَظْبِ عفر، في جبل وعَرْ، لا يَمسُّها القَطْر، أو بقاءِ سبعة أنسر، كلَّما هلك نَسر، خلف بعده نَسر، فاختار النُّسور، وكان آخر نُسوره يُسمَّى لُبَداً، وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أَضحت خَلاءً وأَمسى أَهلُها احتملوا ... أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ

واللَّبِيد: الجُوَالق الصغير، يقال: ألبدت القِرْبة، جعلتها في لَبِيد. ولبِيد: اسم شاعر من بني عامر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي قال ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وكذا قرأ أكثر القرَاء: «قَالَ»؛ على الخبر. وقرأ حمزة وعاصم: «قُلْ»؛ على الأمر(٢).

وسبب نزولها أنَّ كفار قريش قالوا له: إنكَ جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلَّهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزلت(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لاأقدر أن أدفع عنكم ضرًّا ولا أسوق لكم خيراً(٤).

وقيل: « لا أملِك لكم ضَرًّا» أي: كفراً، «ولا رَشَداً» أي: هدًى، أي: إنما عليَّ التبليغ. وقيل: الضَّرّ: العذاب، والرَّشَد: النعيم. وهو الأوَّل بعينه. وقيل: الضَّرّ: الموت، والرَّشَد: الحياة(٥).

---

(١) في النسخ الخطبة: بقرات، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الصحاح (لبد)، والكلام منه. قال شارح القاموس (لبد): هكذا في نسختنا بالعين، ويوجد في بعض نسخ الصحاح: بقرات، بالقاف. . قال شيخنا: والذي في نسخ القاموس هو الأشبه ، إذ لاتتولد البقر من الظباء، ولا تكون منها.

(٢) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسيرص٢١٥.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٥ عن مقاتل.

(٤) الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٠-١٢١ .

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لايدفع عذابه عني أحدٌ إن استحققتُه[(١)]، وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك.

وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبي ﷺ ليلةَ الجنّ، حتى أتى الحَجُون فخطّ عليَّ خطًّا، ثم تقدَّم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيّدٌ لهم يقال له وَرْدان: أنا أَزْجُلهم عنك، فقال: «إنّي لن يجيرني من الله أحد» ذكره الماوردي[(٢)]، قال: ويحتمل معنيين: أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني ممّا قدّره اللهُ تعالى عليَّ أحد.

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأً ألجأ إليه، قاله قتادة[(٣)]. وعنه: نصيراً ومولىً. السُّدّيّ: حِرزاً. الكلبي: مَدْخلاً في الأرض مثل السَّرَب[(٤)]. وقيل: وليًّا ولا مولىً. وقيل: مذهباً ولا مسلكاً. حكاه ابن شجرة[(٥)]، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر:

يالَهْفَ نفسي ولَهْفي غيرُ مجدِيةٍ عنّي وما مِن قضاء اللهِ مُلْتَحدُ[(٦)]

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فإنَّ فيه الأمان والنَّجاة، قاله الحسن. وقال قتادة:

---

(١) في(د)و(ز) و(م): استحفظته، والمثبت من(ظ).

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٢١. قوله: أزجلهم، أي: أدفعهم. القاموس(زجل).

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٣٤٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢١.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٢١ دون نسبة، وهو في الدر المنثور ٤/ ٢١٨ منسوباً لخصيب الضمري.

«إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللهِ» فذلك الذي أملكه بتوفيق الله[١]، فأما الكفرُ والإيمان فلا أملكهما. فعلى هذا يكون مردوداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أملك لكم إِلَّا أن أُبلِّغَكم.

وقيل: هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إِلَّا[٢] أن أبلغكم، أي: لكنْ أبلِّغُكم ما أُرسلتُ به، قاله الفرَّاء[٣].

وقال الزجَّاج[٤]: هو منصوب على البدل من قوله: «مُلْتَحَداً»، أي: «ولن أَجِدَ مِن دونه مُلْتَحداً» إِلَّا أن أُبلِّغَ ما يأتيني من الله ورسالاته، أي: ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها. أو: إِلَّا أن أبلغ عن الله وأعملَ برسالته، فآخذ نفسي بما آمرُ به غيري.

وقيل: هو مصدر، و«لا» بمعنى لم، و«إنْ» للشرط. والمعنى: لن أجد من دونه ملتحداً[٥] إنْ لم أبلِّغ رسالاتِ ربِّي بلاغاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد والعبادة. ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ كُسِرت «إنَّ» لأن ما بعد فاء الجزاء موضعُ ابتداء، وقد تقدَّم. ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ﴾ نصب على الحال، وجَمَعَ «خَالِدِينَ»؛ لأنَّ المعنى: لكلِّ مَن فعل ذلك، فوحَّد أوَّلاً للفظ «مَن»، ثم جَمَعَ للمعنى[٦].

وقوله ﴿أَبَدًا﴾ دليلٌ على أنَّ العصيان هنا هو الشِّرك[٧]. وقيل: هو المعاصي غيرَ الشرك، ويكون معنى «خالدين فيها أبداً» إِلَّا أن أعفوَ أو تلحَقهم شفاعة، ولا محالة

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٠، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٢) في (ظ) و(م): أي إلا.

(٣) معاني القرآن له ٣/ ٢٥ بنحوه، وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

(٥) بعدها في(د) و(ز) و(م): أي. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٧٢ بنحوه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ بنحوه.

إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو. وقد مضى هذا المعنى مبيَّناً في سورة النساءِ وغيرها[١].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ «حَتَّى» هنا مبتدأ، أي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون[٢] من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدر[٣] ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا﴾ أهم أم المؤمنون. ﴿وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ معطوف.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعني قيام الساعة. وقيل: عذاب الدنيا، أي: لا أدري، فـ «إنْ» بمعنى «ما» أو «لا»؛ أي: لا يَعرف وقتَ نزول العذاب ووقتَ قيام الساعة إلّا الله؛ فهو غيبٌ لا أعلم منه إلّا ما يعرِّفنيه الله. و«ما» في قوله: «ما يوعدون» يجوز أن يكون مع الفعل مصدراً، ويجوز أن يكون بمعنى الذي، ويقدَّر حرفُ[٤] العائد.

﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ أي: غايةً وأجلاً. وقرأ العامَّة بإسكان الياء مِن «ربّي» وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عمرو بالفتح[٥].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ «عَالِمُ» رفعاً؛ نعتاً لقوله: «رَبِّي». وقيل: أي: هو «عالِمُ الغيب»[٦]. والغيب: ما غاب عن العباد. وقد تقدَّم بيانُه في أوَّل سورة البقرة[٧].

(١) ٧/ ٣٩ فما بعد.
(٢) في (ظ): وما يوعدون.
(٣) الكشاف ٤/ ١٧٢.
(٤) في النسخ الخطية: حذف. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن٢/ ٧٦٥-٧٦٦ .
(٥) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص٢١٥ ، والحِرْمِيَّان: نافع المدني، وابن كثير المكي .
(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥-٤٠٦ .
(٧) ١/ ٢٥١-٢٥٢ .

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يُظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأنَّ الرسل مؤيَّدون بالمعجزات، ومنها الإخبارُ عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال ابن جبيرُ: «إِلَّا مَن ارتضى مِن رسول»: هو جبريل عليه السلام[١]. وفيه بُعد، والأَوْلَى أن يكون المعنى: أي: لا يُظهر على غيبه إلَّا مَن ارتضى، أي: اصطفى للنبوَّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالًّا على نبوَّته[٢].

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لمَّا تمدَّح سبحانه بعلم الغيبِ واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليلٌ على أنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى مَن ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوَّتهم. وليس المنجِّم ومَن ضاهاه ـ ممن يضرِب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير ـ ممَّن ارتضاه من رسول فيطلعَه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافرٌ بالله مفترٍ عليه؛ بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شِعري ما يقول المنجِّم في سفينة ركب فيها ألفُ إنسان، على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملِك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغنيُّ والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمَّهم حكمُ الغَرَق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجِّم قبَّحه الله: إنما أغرقهم الطالعُ الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أنَّ هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلِّها ـ على اختلافها ـ عند ولادة كلِّ واحدٍ منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوصُ به، فلا فائدة إذاً[٣] في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقيٍّ ولا سعيد، ولم يبقَ إلَّا معاندةُ القرآن العظيم. وفيه استحلالُ دمه على هذا التنجيم. ولقد أحسن الشاعرُ حيث قال:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٢.

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٩.

(٣) في (د) و(م): أبداً.

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طالعَ مولدي يقضي عليَّ بميتة الغَرَقِ
قل للمُنجِّم صُبْحَةَ الطُّوفانِ هل وُلد الجميعُ بكوكب الغَرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ لمَّا أراد لقاءَ الخوارج: أتلقاهم والقمرُ في العقرب؟ فقال ﷺ: فأين قمرُهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمةِ التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الردِّ على مَن يقول بالتنجيم، والإفحامِ لكل جاهلٍ يحقِّق أحكامَ النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تَسر في هذه الساعة، وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له عليٌّ ﷺ: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة؛ أصابك وأصاب أصحابَك بلاءٌ وضرٌّ شديد، وإن سرت في الساعة التي آمُرُك بها؛ ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال عليٌّ ﷺ: ما كان لمحمد ﷺ مُنَجِّم، ولا لنا من بعده ـ في كلام طويل يَحتجُّ فيه بآيات من التنزيل ـ فمَن صدَّقك في هذا القول، لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نِدًّا أو ضدًّا، اللهم لا طير إلَّا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك[1]. ثم قال للمتكلِّم: نكذِّبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس، إياكم وتعلُّمَ النجوم، إلَّا ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر؛ إنما المنجِّم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها، لَأُخلدنَّك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولأحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سار[2] في الساعة التي نهاه عنها، فلقي القومَ فقتلهم، وهي وقعة النَّهْرَوَان الثابتةُ في الصحيح لمسلم[3]. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا، لقال

---

(١) قوله: ولا إله غيرك، من (ظ) ومصدر التخريج.

(٢) في (د) و(ز) و(م): سافر.

(٣) برقم (١٠٦٤): (١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، و(١٠٦٦): (١٥٦) من حديث زيد بن وهب الجهني ﷺ. وهو عند أحمد (٧٠٦).

قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجِّم، ما كان لمحمد ﷺ منجِّم، ولا لنا مِن بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائرَ البلدان. ثم قال: يا أيها الناس! توكَّلوا على الله وثِقوا به، فإنه يكفي ممَّن سواه(١).

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ يعني ملائكة يحفظونه عن أن يَقْرُبَ منه شيطان؛ فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة. قال الضحَّاك: ما بعث الله نبيًّا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبَّهوا بصورة المَلَك، فإذا جاءه شيطان في صورة المَلَك، قالوا: هذا شيطان فاحذره. وإن جاءه المَلَك، قالوا: هذا رسول ربِّك(٢).

وقال ابن عباس وابن زيد: «رَصَداً» أي: حَفَظة يحفظون النبيَّ ﷺ من أمامه وورائه من الجنِّ والشياطين(٣). قال قتادة وسعيد بن المسيّب: هم أربعةٌ من الملائكة حفظة(٤).

وقال الفراء(٥): المراد جبريل؛ كان إذا نزل بالرسالة، نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجنُّ الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم فيسبقوا به الرسول.

وقال السُّدِّي: «رَصَداً» أي: حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان(٦).

و«رَصَداً» نصب على المفعول. وفي الصحاح: والرَّصَد القوم يرصُدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر(٧) والمؤنث، وربما قالوا: أرصاد.

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٥٦٤ ـ بغية الباحث).
(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٣ مختصراً، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٦ .
(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤ .
(٤) قول قتادة في النكت والعيون ٦/ ١٢٢ .
(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٩٦ .
(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٠ .
(٧) قوله: والمذكر، من (د) و(م).

والراصد للشيء: الراقب[(١)] له؛ يقال: رَصَده يَرْصُده رَصْداً ورَصَداً. والتَّرصُّد: التَّرقُّب، والمَرْصَد: موضع الرصد.

قوله تعالى: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ قال قتادة ومقاتل: أي: ليعلم محمدٌ أنَّ الرسل قبله قد بلَّغوا الرسالة كما بلَّغ هو الرسالة[(٢)]. وفيه حذفٌ يتعلَّق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي، ليعلم أنَّ الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحقِّ والصدق.

وقيل: ليعلم محمدٌ أن قد أبلغ جبريل ومَن معه إليه رسالةَ ربِّه؛ قاله ابن جبير. قال: ولم ينزل الوحي إلَّا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام[(٣)].

وقيل: ليعلم الرسل أنَّ الملائكة بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم.

وقيل: ليعلم الرسول ـ أيّ رسول كان ـ أنَّ الرسل سواه بلَّغوا.

وقيل: أي: ليعلم إبليس أنَّ الرسل قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطه واستراقِ أصحابه.

وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجنُّ أنَّ الرسل قد بلَّغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلِّغين باستراق السمع عليهم[(٤)].

وقال مجاهد: ليعلم من كذَّب الرسل أنَّ المرسلين قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم[(٥)].

وقراءة الجماعة: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء، وتأويله ما ذكرناه. وقرأ ابن عباس ومجاهد

---

(١) في الصحاح (رصد): المراقب.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤-٣٥٥ عن قتادة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦ بنحوه.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥ .

وحُميد ويعقوب بضمِّ الياء[١]، أي: ليُعْلَم الناس أنَّ الرسل قد أبلغوا.

وقال الزجَّاج[٢]: أي: ليَعلم اللهُ أنَّ رسله قد أبلغوا رسالاته، بفتح الياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [التوبة:١٦]. المعنى: ليعلم اللهُ ذلك علمَ مشاهدةٍ كما علمه غيباً.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علمُه بما عندهم، أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة. وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أنَّ ربَّهم قد أحاط علمُه بما لديهم، فيبلِّغوا رسالاتِه[٣].

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: أحاط بعدد كلِّ شيءٍ، وعرفَه وعلمَه، فلم يخفَ عليه منه شيء. و«عَدَداً» نصب على الحال، أي: أحصى كلَّ شيءٍ في حال العدد، وإن شئتَ على المصدر، أي: أحصى[٤] وعدَّ كلَّ شيءٍ عدداً، فيكون مصدرَ الفعل المحذوف، فهو سبحانه المحصي المحيط؛ العالم الحافظ لكل شيء وقد بيَّنَّا جميعَه في «الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى»[٥]. والحمد لله وحدَه.

---

(١) قراءة يعقوب من رواية رويس عنه. النشر ٢/ ٣٩٢ . وذكرها عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ .

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٨ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٦ .

(٤) بعدها في (ظ): كل شيء.

(٥) ص٢٥٥ ، ٢٦٧ .

سُورَةُ الجِنِّ

مَكيَّةٌ، وآيُها ثمانٍ وعِشرونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وقُرِئَ: (أُحِيَ)[١]، وأصلُه: وُحِيَ، من وَحَى إليه، فقُلِبَت الواوُ همزةً لضَمَّتِها، و: (وُحِي) على الأَصلِ[٢].

وفاعلُه: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والنَّفرُ: ما بينَ الثَّلاثةِ والعشرةِ.

والجنُّ: أجسامٌ عاقلَةٌ خَفِيَّةٌ تغلبُ عليهم النَّاريَّةُ أو الهوائيَّةُ.

وقيل: نوعٌ مِن الأَرواحِ المُجرَّدةِ.

وقيل: نفوسٌ بشريَّةٌ مفارِقةٌ عَن أبدانِها.

وفيه دلالةٌ على أنَّه عليهِ السَّلامُ ما رآهم ولم يقرَأْ عليهِم، وإنَّما اتَّفقَ حُضُورُهم في بعضِ أَوقاتِ قراءَتِه فسَمِعُوها فأخبرَ اللهُ بِهِ رسولَه.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا﴾: كتابًا ﴿عَجَبًا﴾: بديعًا مُبايِنًا لكلامِ النَّاسِ في حُسْنِ نَظمِهِ ودِقَّةِ مَعناهُ، وهو مَصدَرٌ وُصِفَ بهِ للمُبالغَةِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣١)، عن جؤية بن عائذ.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن ابن أبي عبلة.

(٢) ـ ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: إلى الحقِّ والصَّوابِ ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾: بالقرآنِ ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ على ما نطقَ بهِ الدلائلُ القاطعةُ على التَّوحيدِ.

(٣) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قرأَهُ ابنُ كثيرٍ والبَصريَّانِ بالكَسرِ على أنَّه مِن جُملَةِ المَحكيِّ بعدَ القَولِ، وكذا ما بعدَهُ إلَّا قـولَه: ﴿أن لو استقاموا﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ فإنَّها مِن جُملَةِ الموحَى بهِ، ووافقَهُم نافعٌ وأبو بكرٍ إلَّا في قولِه: ﴿وإنَّه لَمَّا قام﴾ على أنه استئنافٌ أو مقولٌ، وفتَحَ الباقونَ الكلَّ إلا ما صُدِّرَ بالفاءِ[١] على أنَّ ما كانَ مِن قولِهم فمَعطوفٌ على محلِّ الجارِّ والمجرورِ في ﴿بِهِۦ﴾، كأنه قيل: صَدَّقْناهُ وصَدَّقْنَا أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا؛ أي: عَظَمَتُه، مِن جَدَّ فلانٌ في عيني: إذا عَظُم ملكُه، أو سُلطانُه، أو غِناهُ، مُستعارٌ مِن الجَدِّ الذي هو البَخْتُ.

والمعنى: وصفُهُ بالاستغناءِ[٢] عـن الصَّاحبةِ والولَدِ لعَظَمتِهِ، أو لسُلطانِه، أو لغِنَاهُ، وقولُه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيانٌ لذلك.

وقُرِئَ: (جدًّا) بالتَّمييزِ[٣]، (جِدُّ) بالكسرِ[٤]؛ أي: صِدْقُ ربوبيَّتِه، كأنَّهُم سَمِعُوا مِن القُرآنِ ما نبَّهَهُم على خطأ ما اعتقَدُوهُ مِن الشِّركِ واتِّخاذِ الصَّاحبةِ والولدِ.

(٤) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليسُ أو مـردَةُ الجـنِّ ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾: قـولًا ذا شـطَطٍ، وهـو البعـدُ ومُجـاوزَةُ الحدِّ، أو هو شـططٌ لفَرْطِ ما أُشِـطَّ فيه وهو نسـبةُ الصَّاحبـةِ والولدِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٢) «بالاستغناء» من نسخة الطبلاوي، وفي باقي النسخ: «بالتعالي».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٢)، عن عكرمة.

(٤) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٢٣) عن عكرمة.

(٥) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ اعتذارٌ عَن اتِّباعِهِمْ للسَّفيهِ في ذلك بظنِّهِم[1] أنَّ أحدًا لا يَكذِبُ على اللهِ، و﴿كَذِبًا﴾ نصبٌ على المصدرِ لأنَّه نوعٌ مِن القولِ، أو الوصفِ لِمَحذوفٍ؛ أي: قولًا مكذوبًا فيه، ومَن قرأ: ﴿لن تَقَوَّلَ﴾ كيعقوبَ[2] جعلَهُ مَصْدرًا؛ لأنَّ التَّقوُّلَ لا يكونُ إلَّا كذبًا.

(٦) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فإنَّ الرَّجُلَ كان إذا أمسى بقفرٍ قال: أعوذُ بسيِّدِ هذا الوادي مِن شرِّ سُفهاءِ قومِه.

﴿فَزَادُوهُمْ﴾: فزادوا الجنَّ باستعاذَتِهم بهم ﴿رَهَقًا﴾: كِبْرًا وعُتُوًا، أو فزادَ الجنُّ الإنسَ غيًّا بأَنْ أَضلُّوهُمْ حتَّى استعاذوا بهم، والرَّهَقُ في الأصلِ: غِشْيانُ الشَّيءِ[3].

(٧) ـ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: وأنَّ الإنسَ ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيُّها الجنُّ، أو بالعكسِ.

والآيتانِ مِن كلامِ الجنِّ بعضِهِمْ لبَعضٍ[4]، أو استئنافُ كلامٍ مِن اللهِ، ومَن فتحَ (أنَّ) فيهما جعلَهُما مِن الموحَى بهِ.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ سادٌّ مسدَّ مفعولَيْ ﴿ظَنُّوا۟﴾.

---

(١) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «لظنهم». قال الشهاب: (بظنِّهم) مُتعلِّقٌ بالاعتذارِ؛ لأنَّه المُعتَذَرُ به.

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٢).

(٣) قولُه: «والرَّهَقُ في الأصلِ غِشيانُ الشَّيءِ» كما في قولِه: ترهَقُ وجوهَهم قَترةٌ؛ فإنَّ المعنى: يعرِضُ لها ويغشاها، فخُصَّ بما يعرِضُ منَ الكِبرِ والضَّلالِ والعُتُوِّ ونحوِه، ولذا فسَّرَهُ الزَّمخشريُّ بغِشيانِ المحارِمِ، فلا مُخالفةَ فيه لِما ذُكِرَ. قاله الشهاب.

(٤) قولُه: «والآيتانِ» يعني: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ من كلامِ الجنِّ، والخطابُ لهم، وإذا كانَ استئنافًا فالخطابُ للإنسِ، وكذا فيما بعدَه، والبعثُ في الآيةِ بعثُ الرُّسلِ، وهو الظّاهرُ، ويحتملُ بعثَ الموتَى. قاله الشهاب.

(٨) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: طلَبْنا بلوغَ السَّماءِ أو خبرَها، واللمسُ مُستعارٌ مِن المسِّ للطَّلَبِ كالجَسِّ، يقال: لمسَهُ والتمسَهُ وتلمَّسَهُ؛ كطَلَبَهُ واطَّلَبَهُ وتَطَلَّبَه.

﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾: حُرَّاسًا، اسمُ جمعٍ كالخَدَمِ.

﴿شَدِيدًا﴾: قويًّا، وهُم الملائكةُ الذين يمنعونَهُم عنها.

﴿وَشُهُبًا﴾: جمعُ شهابٍ وهو المضيءُ المُتولِّدُ مِن النَّارِ.

(٩) ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: مقاعدَ خاليةً عن الحَرسِ والشُّهبِ، أو صالحةً للتَّرصُّدِ والاستماعِ. و﴿لِلسَّمْعِ﴾ صِلَةٌ لـ﴿نَقْعُدُ﴾، أو صِفَةٌ لـ﴿مَقَـٰعِدَ﴾.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾؛ أي: شِهابًا راصِدًا له ولأجلِه يمنعُهُ عَن الاستماعِ بالرَّجمِ، أو: ذوي شهابٍ راصِدينَ، على أنَّه اسمُ جمعٍ للرَّاصدِ، وقد مرَّ بيانُ ذلك في «الصافات».

(١٠) ـ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسةِ السَّماءِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيرًا.

(١١) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾: المؤمنونَ الأبرارُ ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: قومٌ دونَ ذلك، فحُذِفَ المَوصوفُ وهم المقتصِدُونَ.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾: ذوي طرائِقَ؛ أي: مَذاهِبَ، أو: مثلَ طرائِقَ في اختلافِ الأَحوالِ، أو: كانت طرائِقُنا طرائِقَ ﴿قِدَدًا﴾ مُتفرِّقةً مُختلِفَةً جمعُ قِدَّةٍ، مِن قَدَّ: إذا قطعَ.

(١٢) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: عَلِمْنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كائنينَ في الأرضِ أينما كنَّا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾: هاربينَ مِنْها إلى السَّماءِ.

أو: لن نُعجِزَهُ في الأرضِ إن أرادَ بنا أمرًا ولن نُعجِزَهُ هَرَبًا إن طلَبْنا.

(١٣) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يَخافُ.

وقُرِئَ: (فلا يَخَفْ)[1]، والأوَّلُ أدلُّ على تحقيقِ نجاةِ المؤمنينَ واختِصاصِها بهم.

﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾: نقصًا في الجزاءِ، ولا أن تَرهَقَهُ ذلَّةٌ، أو: جزاءَ نقصٍ لأنَّه لم يَبْخَسْ حقًّا ولم يَرْهَقْ ظُلمًا؛ لأنَّ مِن حقِّ الإيمانِ بالقُرآنِ أن يَجتَنِبَ[2] ذلك.

(١٤) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾: الجائرونَ عَن طَريقِ الحَقِّ وهو الإيمانُ والطَّاعةُ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾: توَخَّوْا رَشَدًا عظيمًا يبلِّغُهُم إلى دارِ الثَّوابِ.

(١٥) ـ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوقَدُ بهم كما تُوقَدُ بكفَّارِ الإنسِ.

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا﴾؛ أي: أنَّ الشَّأنَ لو استقامَ الجنُّ أو الإنسُ أو كِلاهُما ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: على الطَّريقَةِ المثلى ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: لوسَّعْنا عليهم الرِّزقَ.

وتخصيصُ الماءِ الغدقِ ـ وهو الكثيرُ ـ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أصلُ المعاشِ والسَّعةِ، ولعزَّةِ وجودِه بين العربِ.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنَختَبِرَهُم كيفَ يَشكُرُونَه.

وقيل: معناهُ: أنْ لو استقامَ الجنُّ على طَريقَتِهم القَديمةِ ولم يُسلِمُوا باستماعِ القرآنِ لوَسَّعْنا عليهم الرِّزقَ مُستدرِجِينَ لَهُم لنُوْقِعَهُم في الفتنةِ ونُعذِّبَهُم في كفرانِه.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن يحيى بن وثاب، و«الكشاف» (٩/ ٣١٤) عن الأعمش.

(٢) في نسخة الفاروقي: «بالقرآن تجنُّب»، وفي نسخة عند الخفاجي: «لأنَّ من حقِّ المُؤمِن بالقرآنِ أن يجتَنِبَ ذلك».

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: عَن عبادَتِه، أو مَوعِظَتِه، أو وَحيِه ﴿يَسْلُكْهُ﴾: يُدخلْهُ، وقرأ غيرُ الكوفيِّينَ بالنُّونِ[1].

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا يعلو المعذَّبَ ويغلبهُ، مصدرٌ وُصِفَ به.

(١٨) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾: مُختصَّةٌ بِهِ ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: فلا تعبدُوا فيهَا غيرَهُ، ومَن جعلَ (أنَّ) مُقدَّرةً باللامِ علةً للنَّهيِ ألغى فائدةَ الفاءِ.

وقيل: المرادُ بـ﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: الأرضُ كلُّها؛ لأنَّها جُعلَتْ للنَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَسجِدًا[2].

وفُسِّرت بالمسجِدِ الحرامِ لأنَّه قبلةُ المَساجِدِ، وبمواضِعِ السُّجودِ على أنَّ المُرادَ النَّهيُ عَن السُّجودِ لغيرِ اللهِ، وبآرابِه السَّبعةِ، وبالسَّجدات على أنه جمعُ مَسجَدٍ.

(١٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: النبيُّ، وإنَّما ذُكِرَ بلفظِ العبدِ للتَّواضُعِ ـ فإنَّه واقِعٌ مَوقِعَ كلامِه عن نفسِه ـ والإشعارِ بما هو المقتضِي لقيامِهِ.

﴿يَدْعُوهُ﴾: يعبدُهُ ﴿كَادُواْ﴾: كادَ الجنُّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: متراكمينَ مِن ازدِحَامِهِم عليه تَعجُّبًا ممَّا رَأَوْا مِن عبادَتِه وسَمِعُوا مِن قِراءَتِه.

أو: كادَ الإنسُ والجنُّ يكونونَ عليه مجتمعينَ لإبطالِ أمرِهِ.

وهو جمعُ لِبْدَةٍ: وهيَ ما تلبَّدَ بعضُهُ على بعضٍ كلِبْدَةِ الأسدِ.

وعن ابنِ عامرٍ برواية هشام: ﴿لُبَدا﴾[3] بضمِّ اللامِ جمعُ لُبْدَةٍ وهي لُغَةٌ.

---

(١) سوى يعقوب فقد وافق الكوفيين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩٢).

(٢) وهو قول الحسن، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٤٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

وقُرِئَ: (لُبَّدا) كسُجَّدٍ[1] جمعُ لابدٍ، و: (لُبُدًا) بضمتين[2] - كصُبُرٍ - جمعُ لَبُودٍ.

(٢٠) - ﴿قال إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ فليسَ ذلك ببِدْعٍ ولا مُنْكَرٍ يُوجِبُ تَعجُّبَكُم أو إطباقَكُم على مَقْتِي.

وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ: ﴿قل﴾[3] على الأمرِ للنَّبيِّ ليُوافِقَ ما بعدَهُ.

(٢١) - ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾: ولا نَفْعًا، أو: غَيًّا ولا رَشَدًا، عبَّرَ عن أَحدِهِما باسمِهِ وعن الآخرِ باسمِ سَبَبِه أو مُسبَّبِه إشعارًا بالمَعْنيَيْنِ.

(٢٢) - ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ إِنْ أرادَ بي سوءًا ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾: مُنحَرَفًا ومُلْتَجأً.

(٢٣) - ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناءٌ مِن قَولِه: ﴿لَآ أَمۡلِكُ﴾ فإنَّ التَّبليغَ إرشادٌ وإنفاعٌ، وما بينَهُمَا اعتراضٌ مُؤكِّدٌ لنفيِ الاستِطاعَةِ، أو مِن ﴿مُلۡتَحَدًا﴾، أو معناهُ: إنْ لا أبلِّغْ بلاغًا، وما قبلَه دليلُ الجوابِ.

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطفٌ على ﴿بَلَٰغٗا﴾ و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صِفتُه فإنَّ صِلتَهُ (عَن)[4]، كقوله: «بلِّغُوا عنِّي ولو آيةً»[5].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن الجحدري، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤) عنه وعن الحسن بخلاف.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن مجاهد، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤) عن الجحدري.

(٣) انظر: «السبعة» (٦٥٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٤) أي: صفةُ ﴿بَلَٰغٗا﴾ لا صلتُه «فإن صلتَه»؛ أي: صلة البلاغ؛ وهو حرف الجر المستعمل مع فعل البلاغ «عن» لا (من).

(٥) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمرِ بالتَّوحيدِ إذ الكلامُ فيه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقُرِئَ: (فأنَّ)[1] على: فجزاؤه أنَّ.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمعَه للمَعنى.

(٢٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا كوقعةِ بدرٍ، أو في الآخرةِ، والغايةُ لقولِه: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بالمعنى الثَّاني، أو لِمَحذوفٍ دلَّ عليه الحالُ مِن استضعافِ الكُفَّارِ له وعصيانِهم له.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ هو أو هُم.

(٢٥) ـ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾: غايةً تطولُ مُدَّتُها؛ كأنَّه لَمَّا سمعَ المُشركونَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ قالوا: متى يكونُ؟ إنكارًا، فقيل: قل: إنَّه كائنٌ لا محالةَ ولكِنْ لا أدري وقتَه.

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو عالمُ الغيبِ ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: فلا يُطْلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾؛ أي: على الغيبِ المَخصوصِ بهِ علمُه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ لعِلْمِ بَعضِهِ حتَّى يكونَ لهُ مُعجزةً ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ بيانٌ لـ﴿مَنِ﴾.

واستُدلَّ به على إبطالِ الكراماتِ.

وجوابُه: تخصيصُ الرَّسُولِ بالملَكِ، والإظهارِ بما يكونُ بغيرِ وسطٍ، وكراماتُ الأولِيَاءِ على المُغيَّباتِ إنَّما تكونُ تَلقِّيًا عن الملائكةِ كاطِّلاعِنا على أحوالِ الآخرةِ بتَوسُّطِ الأنبياءِ.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: مِن بين يَدَي المُرتَضى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾: حرسًا مِن الملائكةِ يَحرسُونَه مِن اختطافِ الشَّياطينِ وتَخاليطِهم.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن طلحة وهو ابن مصرف.

(٢٨) ـ ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾؛ أي: ليعلمَ النَّبيُّ الموحَى إليهِ أَنْ قد أبلغ جبرئيلُ والملائكةُ النَّازلونَ بالوَحيِ.

أو: ليعلمَ اللهُ تَعالى أنْ أبلغَ الأنبياءُ، بمعنى: ليتعلَّقَ علمُه بهِ مَوْجُودًا.

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ كما هي محروسةً مِن التَّغييرِ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾: بما عندَ الرُّسُلِ ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ حتَّى القطرَ والرَّملَ.

عن النبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأ سورةَ الجنِّ كانَ له بعددِ كلِّ جنيٍّ صدَّقَ محمَّدًا أو كذَّبَ بهِ عتقُ رقبةٍ»[1].

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤١٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦١)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سورة الجن(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِيٓ إِلَى
ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا
وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا
مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ
ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن
نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ
بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ
أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَلَّوِ
ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ
يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ
ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي
لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ

---

(١) مكية وهي ثمان وعشرون آية.

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ .

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها [٥٥٨/أ] أنه لمّا حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان أول رسول إلى الأرض كما أنّ محمداً ﷺ آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذين[١] هو منهم عليه السلام كانوا عبّاد أصنام كقوم نوح، حتى أنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء، وكان ما جاء به محمد عليه السلام من القرآن هادياً إلى الرشد، وقد سمعَتْه العرب، وتوقّف عن الإيمان به أكثرهم - أنزل الله تعالى سورة الجنّ إثر سورة نوح تبكيتاً لقريش والعرب، في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيراً منهم، وأقبل إلى الإيمان. هذا وَهُمْ من غير جنس الرسول عليه السلام، ومع ذلك فبنفس[٢] ما سمعوا القرآن استعظموه، وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس، بخلاف العرب؛ فإنه نزل بلسانهم، وعرفوا كونه معجزاً، وهم مع ذلك مكذّبون له ولمن جاء به حسداً وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عبادة.

و﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، أي: استماع نفر من الجن. والمشهور أن هذا الاستماع هو المذكور في الأحقاف[٣]، وهي قصة واحدة، وقيل قصتان. والجن الذين أتوه بمكة جنّ نصيبين، والذين[٤]

(١) ق: الذي.

(٢) النفس: بمعنى عند.

(٣) انظر الآية ٢٩ وما بعدها.

(٤) ق: الذي، في الموضعين.

أتوه بنخلة جنّ نينوى[1]. والسورة التي استمعوها قال عكرمة: سورة اقرأ باسم ربك، وقيل سورة الرحمن. ولم تتعرض الآية لا هنا ولا في الأحقاف إلى أنه رآهم وكلّمهم عليه السلام. ويظهر من الحديث أن ذلك كان مرتين:

إحداهما في مبدأ مبعثه عليه السلام، وهو في الوقت الذي أخبر فيه عبدالله بن مسعود أنه لم يكن معهم ليلة الجن، وقد كانوا فقدوه عليه السلام، فالتمسوه في الأودية والشعاب، فلم يجدوه، فلما أصبح إذا هو [جاءٍ] من قِبَل حراء. وفيه[2] «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نارهم».

والمرة الأخرى كان معه ابن مسعود[3] «وقد انتدب[4] الرسول عليه السلام من يقوم معه إلى أن يتلو القرآن على الجن، فلم يقم أحد غير عبدالله فذهب معه إلى الحجون عند الشِّعب، فخطّ عليه خطّاً، وقال: لا تُجاوزه. فانحدر[عليه] عليه السلام أمثال الحجل، يجرّون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفهن، حتى غَشُوه فلا أراه. فقمت فأومأ إليّ بيده أن اجْلِسْ. فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع، واختفوا بالأرض حتى ما أراهم» الحديث. ويدلّ على أنهما قصّتان اختلافهم في العدد فقيل سبعة وقيل [٥٥٨/ ب] تسعة وقيل غير ذلك.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا﴾ أي: قالوا لقومهم لمّا رجعوا إليهم. ووصفوا «قرآناً» بقولهم «عجباً» وصفاً بالمصدر على سبيل المبالغة، أي: هو عجب في

(١) انظر في نصيبين ونخلة ونينوى، الروض المعطار: ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٨٥.
(٢) أخرجه مسلم ١: ٣٣٢. من حديث ابن مسعود.
(٣) انظر مسند أحمد ١: ٤٥٨.
(٤) ق: استندب.

نفسه، لفصاحة كلامه، وحسن مبانيه، ودقّة معانيه، وغرابة أسلوبه، وبلاغة مواعظه، وكونه مبايناً لسائر الكتب. والعَجَب: ما خرج عن حدّ أشكاله ونظائره.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالقرآن. ولمّا كان الإيمان به متضمناً الإيمان بالله وبوحدانيّته وبراءته من الشرك، قالوا «ولن نشرك بربنا أحدا».

وقرى: وإنّه، بكسر الهمزة من قوله «وأنه تعالى» وما بعده، وهي اثنتا[1] عشرة آخرها: «وأنا منّا المسلمون»[2]. وباقي السبعة بالفتح. فأما الكسر فواضح لأنها معطوفات على قوله «إنّا سمعنا» فهي داخلة في معمول القول. وأما الفتح فقال أبو حاتم: هو [عطف] على «أوحي» فهو كلّه في موضع رفع على ما لم يُسمَّ فاعله انتهى.

وهذا لا يصح؛ لأن من المعطوف ما لا يصحّ دخوله تحت «أوحي» وهو كلّ ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله «وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع»[3]. ألا ترى أنه لا يلائم: أوحي إليّ أنّا كنا نقعد منها مقاعد؟، وكذلك باقيها؟. وخُرّجت قراءة الفتح على أن تلك كلها معطوفة على الضمير المجرور في «به» من قوله «فآمنا به»، أي: وبأنه، وكذلك باقيها. وهذا جائز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح.

وقد تقدّم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله تعالى﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ

(١) ق: اثنتي.
(٢) الآية ١٤.
(٣) الآية ٩.

﴿ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة]. ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: عظمته.

﴿سَفِيهُنَا﴾ هو إبليس، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه، وإبليس مقدّم السفهاء. والشّطط: التعدّي وتجاوز الحدّ.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: كنّا حسّنّا الظّن بالإنس والجن واعتقدنا أن أحداً لا يجترىء على أن يكذب على الله تعالى، فينسب[1] إليه الصاحبة والولد، فاعتقدنا صحة ما أغوانا به إبليس ومردته، حتى سمعنا القرآن، فتبيّنّا كذبهم.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾ روى الجمهور أن الرجل [كان] إذا أراد المبيت أو الحلول في وادٍ نادى بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي، إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك. فيعتقد بذلك أن الجني الذي بالوادي يمنعه ويحميه. فروي أن الجن كانت تقول عند ذلك: لا نملك[2] لكم ولا لأنفسنا من الله تعالى شيئاً.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: كفار الإنس. ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الجن، يخاطب به بعضهم بعضاً. و«ظنّوا» و«ظننتم» كلّ منهما يطلب «أن لن يبعث» فالمسألة من باب الإعمال، و«أن» هي المخففة من الثقيلة. وقيل: الضمير في «وأنهم» يعود على الجنّ، والخطاب في «ظننتم» لقريش. وهذه والتي قبلها هما من الموحى به لا من كلام الجن.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [٥٥٩/ أ] الظاهر أنه بعثة الرسالة إلى الخلق، وهو أنسب لما تقدّم من الآي ولما تأخر.

---

(١) ق: فنسب.

(٢) ق: أدفع.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أصل اللمس المسّ، ثم استعير للتّطلب والمعنى: طلبنا بلوغ السماء، لاستماع كلام أهلها. ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ﴾ الظاهر أن وجد هنا بمعنى صادف وأصاب. وتعدّت إلى واحد، والجملة من «ملئت» في موضع الحال. وأجيز[1] أن يكون تعدّت إلى اثنين، «فملئت» في موضع المفعول الثاني.

والظاهر أن المراد بالحرس الملائكة، أي: حافظين من أن تقربها الشياطين. ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب وهو ما يُرجم به الشيطان إذ استمع. وقوله ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا﴾ يدلّ على أنها كانت قبل ذلك يطرقون السماء، ولا يجدونها قد ملئت.

و﴿مَقَـٰعِدَ﴾ جمع مقعد. وقد فسّر الرسول عليه السلام صورة قعود الجن أنهم كانوا واحداً فوق واحد، فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهّان، ويزيدون معها، ثم تزيد الكهّان الكلمة مئة كذبة.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾ ظرف زمان للحال، و«يستمع» مستقبل، فاتُّسع في الظرف واستعمل للاستقبال. ﴿رَّصَدًا﴾ أي: يرصده فيحرقه، هذا لمن استمع. وأما السمع فقد انقطع كما قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

ولمّا رأوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ وهو كفرهم بهذا النبي فينزل بهم الشر ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ﴾ فيؤمنون به فيرشدون. وحين ذكروا الشّر، لم يسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا

---

(١) ق: وأخبر.

الرَّشَد، أسندوه إليه تعالى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أخبروا بما هم عليه من الصلاح وغيره. و﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون صالح. وتقع «دون» في مواضعَ موقعَ غير، فكأنه قال: ومنّا غير صالحين.

﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: لن نعجزه هرباً من الأرض إلى السماء. و«في الأرض» و«هرباً» حالان أي: قارّين أو هاربين.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو القرآن. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن. ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف. والبخس: قال ابن عباس: نقص الحسنات. والرَّهَق: زيادة في السيئات.

و﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: الكافرون الحائدون عن الحق. والظاهر أن ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ - إلى آخر الشرطين - من كلام الجنّ. و«من أسلم»[1] مخاطبة من الله تعالى للرسول عليه السلام، ويؤيده ما بعده من الآيات.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ الآية، هذا من جملة الموحى المندرج تحت «أوحي إليّ»[2]. و«أن» مخففة من الثقيلة. والضمير في «استقاموا» عائد على القاسطين، والمعنى: على طريقة الإسلام والحق لأنعمنا عليهم. [وقيل: الضمير في «استقاموا» عائد على الخلق كلهم] و«أن» هي المخففة من الثقيلة. ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [٥٥٩/ ب] كناية عن توسعة الرزق لأنه أصل المعاش.

(١) هذه العبارة من كلام ابن عطية ملخصاً، انظر البحر ٨: ٣٥٠.
(٢) الآية ١.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم كيف يشكرون ما أنعم عليهم به. و«صَعَداً» مفعول «يسلكه». و«عذاباً» مفعول من أجله.

﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ هي البيوت المعدّة للصلاة والعبادة في كل ملّة. قال ابن جبير: نزلت لأن الجن قالت: يا رسول الله، كيف نشهد الصلاة معك على نأينا عنك؟ فنزلت الآية[1] ليخاطبهم بها، على معنى أن عبادتكم حيث كنتم مقبولة.

و﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هو محمد ﷺ. ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يدعو الله. ﴿كَادُواْ﴾ أي: كاد الجن ينقضّون عليه لاستماع القرآن.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ أي: أعبده. قال للجن عند ازدحامهم متعجبين: «ليس ما ترون من عبادة الله تعالى بأمر يُتعجّب منه، إنما يُتعجّب، ممّن يعبد غيره»[2].

﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك، وهم إما الجن وإما المشركون، على اختلاف القولين في ضمير «كادوا». ثم أمره تعالى أن يقول لهم ما يدلّ على تبرُّئه من القدرة على إيصال خير أو شرّ إليهم. وجعل الضرّ مقابلاً للرشد تعبيراً به عن الغيّ إذ ألغى ثمرته الضرّ. ويمكن أن يكون المعنى: ضرّاً ولا نفعاً ولا غيّاً ولا رشداً، فحذف من كلٍّ ما يدلّ مقابله عليه.

نفى عليه السلام أن يجيره أحد مما يريد الله تعالى به[3]، ونفى أن يجد

(١) انظر لباب النقول ص٢٢٢.

(٢) انظر الكشاف ٤: ١٧١، ولم يخرّجه ابن حجر في الكافي الشّاف.

(٣) فوقها في ق: كذا.

ملتحداً أي: مرجعاً من دون الله.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء منقطع أي: لكن إن بلّغتُ رحمني بذلك. وجمع «خالدين» حملاً على معنى «مَن» وذلك بعد الحمل على اللفظ في قوله «يعص» و«فإن له».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ «حتى» هنا حرف ابتداء يصلح أن يجيء بعدها جملة الابتداء والخبر. ومع ذلك فيها معنى الغاية. ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم. و«ناصراً» و«عدداً» تمييزان.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ قال مكحول: لم ينزل هذا إلاّ في الجن، أسلم منهم من وُفّق، وكفر من خُذل كالإنس. قال: وبلغ من بايع النبي ﷺ ليلة الجن سبعين ألفاً[١]، وفرغوا عند انشقاق الفجر. ثم أمره تعالى أن يقول لهم إنه لا يدري وقت حلول ما وُعدوا به، أهو قريب أم بعيد. و«إن» نافية. و«أدري» فعل قلبي معلّق عن جملة الاستفهام وما بعدها، فالجملة في موضع نصب. و﴿أَمْ يَجْعَلُ﴾ وما بعده مقابل لقوله «أقريب» لأنّ معناه: أم بعيد يجعل ربي له أمداً.

(١) انظر بالنسبة للعدد ما ورد في تفسير الآية الأولى وقارن مع ها هنا ومع ما ورد في البحر ٨: ٣٤٧، ٣٥٥.

﴿عَٰلِمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو عالم. ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦ﴾ عام، و﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ استثناء منقطع كأنه قال: فلا يظهر على غيبه المخصوص أحداً إلا من ارتضى من رسول، فله حفظة يحفظونه من شرّ مردة الإنس والجنّ.

ولأبي عبد الله الرازي كلام في علم الغيب مذكور [٥٦٠/أ] هو والردّ عليه في البحر[١]. قال ما نصّه[٢]: واعلم أنه لا بدّ من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يُطلع أحداً على شيء من المغيّبات إلا الرّسل. والذي يدلّ عليه وجوه:

أحدها أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقّاً[٣] وسطيحاً كانا كاهنين، يخبران بظهور محمد ﷺ قبل زمان ظهوره. وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم، حتى رجع إليهما كسرى في تعرّف أخبار رسولنا عليه السلام.

وثانيها إطباق الأمم على صحّة علم التعبير فيخبر المعبّر عمّا يأتي في المستقبل ويكون صادقاً.

وثالثها أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه[٤] من بغداد إلى خراسان، سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها. وقد رأيت أناساً محقّقين في علوم الكلام والحكمة، حكوا

---

(١) انظر ٨: ٣٥٦.

(٢) بل نقله وتصرّف فيه، انظر تفسير الرازي ٣٠: ١٦٩.

(٣) ق: شقيحاً.

(٤) ق: مالك شاه.

عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت كذلك. وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها في كتاب التعبير وقال: فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقّنت أنها كانت تخبر عن المغيّبات أخبارا[١] مطابقة موافقة.

ورابعها أنّا نشاهد [ذلك في] أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصاً بالأولياء فقد يوجد في السّحرة. وفي الأحكام النجومية ما يوافق الصدق وإن كان الكذب يقع فيه[٢] كثيراً. وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً فالقول بأن القرآن يدلّ على خلافه ممّا يجرّ الطعن إلى القرآن وذلك باطل، فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص.

وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذة المسألة لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه. أما قصّة شق[٣] وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه ممّا يخبر به رئيّ[٤] الكّهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في الحديث[٥] أنهم يسمعون الكلمة، ويكذبون ويلقون إلى الكهنة، ويزيد الكهنة للكلمة مئة كذبة. وليس هذا من علم الغيب، إذ تكلّمت به الملائكة، وتلقّفها الجنّي، وتلقّفها منه الكاهن، فالكاهن لم يعلم الغيب.

وأما تعبير المنامات فالمعبّر غير المعصوم لا يعبّر بذلك على سبيل البتّ والقطع، بل على سبيل التحّزر والتخمين، فقد يقع ما يعبّر وقد لا يقع.

---

(١) ق: أخبار.

(٢) ق: منه.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) ق: ربن.

(٥) انظر البخاري ٣: ١١٧٥، و٤: ١٨٠٤.

وأما الكاهنة البغدادية وما حكى عنها فحسبه عقلاً أن يستدلّ بأحوال امرأة لم يشاهدها. ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز أنه لبّس عليه هذا وهو العالم المنصف الذي طبق ذكره الآفاق، وهو الذي شكّك في دلائل الفلاسفة وسامهم[1] الخسف. وأما نقل الملك سنجر الكاهنة إلى خراسان وإشهارها [٥٦٠/ب] أنها تعلم الغيب، وأنه سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها، فإن الملوك لهم أذهان لطيفة ومقاصد خفيّة وفِكَر دقيقة في تدبير المملكة، فاستصحب هذه المرأة ليوهم بذلك أهل مملكتِه وحاشيتَه[2] أن عنده من يعلم الغيب، وأخبرهم بما رتّب معها. فَمَن عندَه من أهل مملكتة خائفون دائماً أن يظهر عنهم ما يشوش على الملك. ولذا استخدم عقلاء الملوك المنجّمين وضُرّاب الرمل، وإن كانوا يعتقدون أنهم ليس لهم اطّلاع على شيء من الغيب، ذلك إيهام منهم لأهل مملكتهم، فإنهم رعاع همج يصدّقون بالمستحيلات[3] وتؤثر فيهم الأوهام. وأما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودي أظهر الإسلام، وهو منتحل طريقة الفلاسفة.

وأما مشاهدته أصحاب الإلهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثمانين سنة أصحب العلماء، وأتردد إلى من ينتمي إلى الصلاح، فلم أَرَ أحداً منهم صاحب إلهام صادق.

وأما الكرامات فإني لا أشكّ في صدور شيء منها، لكن ذلك على سبيل النّدرة، وذلك فيمن سلف من صلحاء هذه الأمة. وربما قد يكون في أعصارنا من تصدر منه الكرامة، ولله تعالى أن يخصّ من شاء بما شاء.

---

(١) ق: شكل.. وساقهم.

(٢) ق: حاشية ومملكته.

(٣) ق: فالمستحيلات.

﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام؛ إذ تقدّم ذكره في قوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ ١٩﴾ [الجن] أن الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل عليه السلام وخلفه قد أبلغوا رسالات ربهم. ﴿وَأَحَاطَ﴾ فيه ضمير فاعل عائد على «ربهم»، وكذلك الضمير في «أحصى». و«عدداً» تمييز.

مفردات سورة الجن*

الجَدُّ لغة: العَظَمَةُ[1] والجَلال[2]، وجَدَّ في عَيْني: عَظُمَ وجَلَّ.

وقال أبو عُبيدة والأخفش: المُلْكُ والسُّلطان[3]، والجَدُّ: الحَظُّ، والجَدُّ: أبو الأب.

الحَرَسُ: اسم جمع الواحد: حارس، كغَيَب، واحده: غائب[4]، وقد جمع على أحراس؛ قال الشاعر:

تجاوَزْتُ أحراساً وأهْوالَ معشرٍ[5]

كشاهد وأشهاد، والحارس: الحافظُ للشيء يرقُبُه.

القِدَدُ: السِّيَرُ المختلفة، الواحدة: قِدَّة، قال الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي بطاعتِهِ ... في فتنةِ الناسِ إذْ أهْوَاؤُهُمْ قِدَدُ[6]

وقال الكُمَيْت:

بالرأي منهم كلَّ رافضةٍ ... إذْ هُمْ طرائقُ في أهوائهم قِدَدُ[7]

---

* تفسير السور من «الجنّ» إلى «المرسلات» من تحقيق محمد رضوان عرقسوسي، ومن سورة «النَّبأ» إلى سورة «البلد» من تحقيق محمد معتز كريم الدين، ومن سورة «الشمس» إلى سورة «الناس» من تحقيق محمد أنس الخن.

(١) في (ت): الغلبة.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨١ وقال: ومنه قول أنس ﷺ: كان الرجلُ إذا حفظ البقرةَ وآل عمران جَدَّ في عيوننا، أي: عَظُمَ وجَلَّ.

(٣) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢، والمصدر السالف.

(٤) ومثل أيضاً: خَدَم وخادم. ينظر الدر المصون ٨/ ٤٨٩.

(٥) هو صدر بيت لامرئ القيس، وعجزُه: عليَّ حِراصٍ لو يُشرُّون مقتلي. وهو في ديوانه. وقوله يُشرُّون، أي: يُظهرون.

(٦) البيت للراعي النُّميري، وهو في ديوانه ص٦٣.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.

تَحرَّى الشيءَ: طلبَه باجتهاد وتوخَّاه وقصَدَه. الغَدَق: الكثير.

اللِّبَدُ جمع لِبْدَة، وهو ما تراكَمَ بعضُه على بعض، ومنه لِبْدةُ الأسد، ويقال للجراد الكثير المتراكم: لِبَد، ومنه اللِّبْدُ الذي يُفرش يُلبَّدُ[1] صوفُه، دخل بعضُه في بعض.

* * *

سورة الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ
فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا
مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا
ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن
يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾.

هذه السورةُ مكيَّة، وَوَجْهُ مناسبتِها[2] لِما قبلَها أنه لمَّا حَكَى تَمادِيَ قومِ نوح في الكفر وعكوفَهم[3] على عبادة الأصنام، وكان عليه الصلاة والسلام أوَّلَ رسول إلى الأرض كما أنَّ محمداً ﷺ آخِرَ رسولٍ إلى الأرض، والعربُ الذين هو منهم عليه

(١) في (ع): تلبَّد.

(٢) في (ع) و(يه): ومناسبتها، بدل: ووجه مناسبتها.

(٣) في (يه): وفي كونهم.

الصلاة والسلام كانوا عُبَّادَ أصنامٍ كقوم نوح، حتى إنهم عبدُوا أصناماً مثلَ أصنام أولئك في الأسماء، وكان ما جاء به محمد ﷺ من القرآن هادياً إلى الرُّشد، وقد سمعته العربُ وتوقَّف عن الإيمان به أكثرُهم = أنزلَ الله تعالى سورة الجنّ إثْرَ سُورةِ نوح تبكيتاً لقريش والعربِ في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كانت الجنُّ خيراً منهم وأقبلَ للإيمان، هذا وهُم من غير جنس الرسولِ ﷺ، ومع ذلك فبنفسِ ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلامِ الناس، بخلاف العرب، فإنه نزلَ بلسانِهم وعرفُوا كونَه معجزاً وهم مع ذلك مكذِّبون له ولمن جاء به حَسَداً وبغيًا أن ينزِّلَ الله من فضله على من يشاء من عبادِه[(١)].

وقرأ الجمهور: «قل أُوحِيَ» رباعيًّا، وابنُ أبي عَبْلة والعَتَكيّ عن أبي عَمرو وأبو أُناس جُوَيَّةُ بنُ عائذ[(٢)] الأسَديّ: «وُحِيَ» ثلاثياً[(٣)]، يقال: وَحَى وأَوْحَى بمعنًى واحد، قال العَجَّاج:

وَحَى لها القَرَارَ فاستقرَّتِ[(٤)]

وقرأ زيد بنُ عليّ وجُوَيَّة ـ فيما روى عنه[(٥)] الكسائيُّ ـ وابنُ أبي عَبْلَة أيضاً: «أُحِيَ» بإبدال الواوِ همزة[(٦)] كما قالوا في وُعِدَ: أُعِدَ.

وقال الزمخشري[(٧)]: وهو من القلب المطلقِ جوازُه في كل واو مضمومة. انتهى.

---

(١) قوله: بغياً أن ينزل الله من فضله. . .الخ، تضمين لبعض الآية (٩٠) من سورة البقرة.
(٢) في غاية النهاية: بن عاتك، ويقال: بن عائذ. وينظر توضيح المشتبه ١/ ٢٨٦، و٢/ ٥٠٨.
(٣) نُسبت في الكشاف ٤/ ١٦٦ لابن أبي عبلة، وينظر القراءات الشاذة ص١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨.
(٤) ديوان العجّاج ص٢٦١.
(٥) في (أ) والمطبوع: عن. وهو خطأ، وينظر المحرر الوجيز٥/ ٣٧٨.
(٦) ينظر المحتسب ٢/ ٣٣١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨.
(٧) الكشاف ٤/ ١٦٦.

وليس كما ذكر، بل في ذلك تفصيل، وذلك أنَّ الواو المضمومة قد تكون أولاً وحَشْواً وآخِراً، ولكلٍّ منها أحكام، وفي بعضها خلاف وتفصيل مذكور في النحو.

قال الزمخشري: وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً، كإشاح وإسادة و«إعاء أخيه» انتهى.

وهذا تكثير وتبجُّح، وكان يذكر هذا في «وعاء أخيه» في سورة يوسف[1]، وعن المازني في ذلك قولان: أحدُهما القياس كما قال، والآخر قَصْرُ ذلك على السماع.

و﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾في موضع المفعول الذي لم يُسمَّ فاعلُه، أي: استماعُ نفرٍ من الجنّ، والمشهورُ أنَّ هذا الاستماع هو المذكور في «الأحقاف» [٢٩] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وهي قصة واحدة، وقيل: قصَّتان، والجنُّ الذين أتَوْه بمكَّة جنُّ نَصِيبين، والذين أتَوْه بنخلة جِنُّ نِينَوَى.

والسورةُ التي استمعوها قال عكرمة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[2] وقيل: سورة الرحمن. ولم تتعرَّض الآيةُ لا هنا ولا في سورة الأحقاف إلى أنه رآهم وكلَّمهم عليه الصلاة والسلام[3].

ويظهر من الحديث أنَّ ذلك كان مرَّتين: إحداهما في مبدأ مبعث رسول الله ﷺ، وهو في الوقت الذي أخبر فيه عبدُ الله بنُ مسعود أنه لم يكن معه[4] ليلة الجنّ، وقد كانوا فقدوه عليه الصلاة والسلام، فالتمسوه في الأودية والشِّعاب فلم يجدوه، فلما أصبح إذا هو جاء من قِبَلِ حِراءَ وفيه: «أتاني داعي الجنّ فذهبتُ معه وقرأت عليهم القرآنَ» فانطلقَ بنا وأرانا آثارَهم وآثارَ نارِهم[5].

(١) الآية (٧٦)، وقرأ «إعاء» ابنُ جُبير في الشواذ كما سلف في موضعه من سورة يوسف.
(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٤.
(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٢.
(٤) في (يه): معهم.
(٥) الحديث في مسند أحمد (٤١٤٩) وصحيح مسلم (٤٥٠). وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٥.

والمرَّة الأخرى كان معه ابنُ مسعود وقد استندبَ ﷺ من يقومُ معه إلى أن يتلوَ القرآنَ على الجنّ، فلم يقم أحدٌ غيرُ عبد الله بن مسعود، فذهبَ معه إلى الحَجُون عند الشِّعْب، فخطَّ عليه خطًّا وقال: «لا تُجاوِزْه». فانحدرَ عليه ﷺ أمثالُ الحَجَل يُجْرُونَ[١] الحجارةَ بأقدامهم يمشون يقرعُون في دفوفهم كما تقرعُ النسوة في دُفوفهنَّ حتى غَشَوْهُ فلا أَرَاه، فقمتُ، فأومأ إليَّ بيده أنِ اجلس، فتلا القرآنَ، فلم يزل صوته يرتفع، واختَفَوْا في الأرض حتى ما أراهم. الحديث.

ويدلُّ على أنهما قصَّتان اختلافُهم في العدد، فقيل: سبعة، وقيل: تسعة، وعن زرّ: كانوا ثلاثةً من أهل حَرَّان وأربعةً من أهل نَصِيبين؛ قريةٍ باليمن غيرِ القرية التي بالعراق[٢].

وعن عكرمة: كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل[٣]. وأين سبعة من اثني عشر ألفاً؟!

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ أي: قالوا لقومهم لمَّا رجَعوا إليهم، ووصفوا «قرآناً» بقولهم: «عَجباً» وصفاً بالمصدر على سبيل المبالغة أي: هو عَجَبٌ في نفسه لفصاحةِ كلامِه وحُسن مبانيه، ودقَّةِ معانيه، وغرابةِ أسلوبِه، وبلاغةِ مواعظِه، وكونهِ مبايناً لسائر الكتب. والعَجَبُ: ما خرجَ عن حَدِّ أشكاله ونظائره.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب، وقيل: إلى التوحيد والإيمان.

وقرأ الجمهور «الرُّشْد» بضمِّ الراء وسكون الشين، وعيسى بضمِّهما[٤]، وعنه أيضاً فتحُهما[٥].

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ أي: بالقرآن، ولمَّا كان الإيمان به متضمِّناً الإيمانَ بالله وبوحدانيَّته وبراءةً من الشِّرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾.

---

(١) في أخبار مكة للفاكهي (٢٣١٩) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٦ والخبر فيهما بنحوه: يَحْدُرُونَ.
(٢) ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٤.
(٣) المصدر السالف ٢١/ ٢٧٦.
(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٩.

وقرأ الحِرْمِيَّان والأبَوان بكسر الهمزة[١] من قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَىٰ﴾ وما بعدَه، وهي اثنتا عشرة آية آخِرُها: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ وباقي السبعة بالفتح[٢].

فأما الكسرُ فواضحٌ لأنها معطوفاتٌ على قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ فهي داخلةٌ في معمول القول.

وأمَّا الفتح؛ فقال أبو حاتم: هو على«أُوحِيَ» فهو كلُّه في موضع رفع على ما لم يُسمَّ فاعلُه. انتهى[٣].

وهذا لا يصحُّ لأنَّ من المعطوف ما لا يصحُّ دخولُه تحت «أُوحِيَ» وهو كلُّ ما كان فيه ضمير المتكلِّم كقوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ ألا ترى أنه لا يلائم: أُوحِيَ إليَّ أنَّا كنَّا نقعدُ منها مقاعدَ للسَّمع؟ وكذلك باقيها.

وخُرِّجت قراءة الفتح على أنَّ تلك كلَّها معطوفة على الضمير المجرور في «به» من قوله: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: وبأنه، وكذلك باقيها. وهذا جائزٌ على مذهب الكوفيِّين، وهو الصحيح، وقد تقدَّم احتجاجُنا على صحة ذلك في قوله: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال مكّيّ: هو أجودُ في «أنَّ» منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجرّ مع «أنَّ».

وقال الزجاج[٤]: وجهُه أن يكون محمولاً على «آمنا به» لأنَّ معناه: صدَّقْناهُ وعلمناه، فيكون المعنى: فآمنَّا به أنه تعالى جَدُّ ربِّنا. وسبقَه إلى نحوه الفرَّاء[٥]،

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: بفتح الهمزة، وهو خطأ. وينظر السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥. الحِرْميَّان: نافع المدني وابن كثير المكي، والأبوان: أبو عمرو البصري وأبو بكر بن عياش.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: بالكسر، وهو خطأ. وينظر التعليق قبله.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٠.

(٤) معاني القرآن ٥/ ٢٣٦.

(٥) معاني القرآن ٣/ ١٩١.

قال: فُتحت «أنَّ» لوقوع الإيمان عليها، وأنت تجدُ الإيمانَ يحسُنُ في بعض ما فُتح دون بعض، فلا يمنعُك ذلك من إمضائهنَّ على الفتح، فإنه يحسُنُ فيه ما يوجب فتح «أنَّ»، نحو: صدَّقنا وشَهِدْنا.

وأشار الفرَّاء إلى أنَّ بعضَ ما فُتح لا يُناسبُ تسليطَ «آمنَّا» عليه، نحو قوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾.

وتبعَهما الزمخشريّ[١]؛ قال: ومَنْ فتحَ كلَّهنَّ فعطفاً على محلِّ الجارِّ والمجرور في «آمنَّا به» كأنه قيل: صدَّقناهُ وصدَّقنا أنه تعالى جدُّ ربِّنا، وأنه كان يقولُ سفيهُنا، وكذلك البواقي. انتهى.

ولم يتفطَّن لما تفطَّن له الفرَّاء من أنَّ بعضها لا يحسُنُ أن يعمل فيه «آمنَّا».

وقراءة الجمهور: «جَدُّ ربِّنا» بفتح الجيم ورفع الدال مضافاً إلى «ربِّنا» أي: عَظَمَتُه. قاله الجمهور، وقال أنس والحسن: غِناهُ، وقال مجاهد: ذِكْرُه، وقال ابن عباس: قَدَرُه وأمرُه[٢].

وقرأ عكرمة: «جَدٌّ» منوناً «رَبُّنا» مرفوعَ الباء، كأنه قال: عظيمٌ هو ربُّنا، فـ «ربُّنا» بدل[٣]، والجَدُّ في اللغة: العظيم.

وقرأ حُميد بنُ قيس: «جُدُّ» بضم الجيم مضافاً، ومعناه العظيم، حكاه سيبويه[٤]، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: تعالى ربُّنا العظيم.

وقرأ عكرمة أيضاً: «جَدًّا ربُّنا» بفتح الجيم والدال منوَّناً، ورفع «ربُّنا»،

---

(١) الكشاف ٤/ ١٦٦.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٢-٣١٥، والنكت والعيون ٦/ ١١٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨١.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٢.
قال ابن جنّي: أراد: وأنه تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا، على البدل، ثم حَذف الثاني وأقام المضاف إليه مقامه.

(٤) الكتاب ٢/ ٣١٥، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.

وانتصب «جَدًّا» على التمييز المنقول من الفاعل أصلُه[١]: تعالى جَدُّ رَبِّنا[٢].

وقرأ قتادة وعكرمة أيضاً: «جِدًّا» بكسر الجيم والتنوين نصباً «ربُّنا» رفع؛ قال ابنُ عطية[٣]: نصب «جِدًّا» على الحال، ومعناه: تعالى حقيقةً ومتمكِّناً.

وقال غيره: هو صفة لمصدر محذوف تقديره: تعالياً جِدًّا، و«ربُّنا» مرفوع بـ «تعالى».

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «جَدَى ربِّنا» أي: جَدْوَاه ونفعُه[٤].

وقال الجمهور: «يقولُ سفيهُنا» هو إبليس، وقيل: هو اسمُ جنسٍ لكلِّ سفيه، وإبليس مقدَّم السُّفهاءِ.

والشَّطَطُ: التعدِّي وتجاوزُ الحدّ؛ قال الأعشى:

أتـنـتـهـون ولـن يَـنْـهَـى ذوي شَـطَـطٍ كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ[٥]

ويقال: أَشَطَّ في السَّوْمِ: إذا أبعدَ فيه، أي: قَوْلاً هو في نفسه شَطَطٌ، وهو نسبةُ الصاحبةِ والولدِ إلى الله تعالى[٦].

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ الآية أي: كنَّا حَسَنَّا الظَّنَّ بالإنس والجنِّ واعتقَدْنا أنَّ أحداً لا يجترئُ على أنْ يكذبَ على الله فيَنسُبَ إليه الصاحبةَ والولد، فاعتقَدْنا صحَّة ما أغوانا به إبليسُ ومَرَدَتُهُ حتى سمعنا القرآن فتبيَّنَّا كذبَهم.

وقرأ الجمهور: «أن لن تقولَ» مضارع «قال».

---

(١) في (به): على أصله.

(٢) قال السمين في الدُّرّ ٨/ ٤٨٧: التقدير: تعالى جَدُّ ربِّنا، ثم صار: تعالى رَبُّنا جَدًّا، أي: عظمةً، نحو: تَصبَّبَ زيدٌ عرقاً. وقال ابن جنِّي في المحتسب ٢/ ٣٣٢: أي: تعالى ربُّنا جَدًّا، ثم قُدِّم المميِّز، على قولك: حَسُنَ وجهاً زيدٌ.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩، والقراءة المذكورة فيه.

(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٢، ونُسب في المصدر السالف لابن السميفع: جِدُّ.

(٥) ديوان الأعشى ص١١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، ورواية الديوان: هل تنتهون ولا ينهى. . .، وسلف عند تفسير الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٦٧.

والحسنُ والجحدريّ وعبدُ الرحمن بن أبي بكرة ويعقوبُ وابنُ مِقْسَم: «تَقَوَّلَ»[١] مضارع «تَقَوَّلَ»[٢] حُذف إحدى التاءين.

وانتصب «كَذِباً» في قراءة الجمهور بـ «تقُولَ» لأنَّ الكذبَ نوعٌ من القول، أو على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: قَوْلاً كذباً، أي: مكذوباً فيه، وفي قراءة الشاذّ على أنه مصدر لـ «تَقَوَّلَ» لأنه هو الكذب، فصار كقعدتُ جلوساً.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾ رَوَى الجمهور أنَّ الرجلَ كان إذا أرادَ المبيتَ أو الحلول في وادٍ نادَى بأعلى صوته: يا عزيزَ هذا الوادي إني أعوذُ بك من السُّفهاء الذين في طاعتك. فيعتقدُ بذلك أنَّ الجنِّيَّ الذي بالوادي يمنعُه ويحميه[٣]. فرُويَ أنَّ الجنَّ كانت تقولُ عند ذلك: لا نملك لكم ولا لأنفسنا من الله شيئاً.

قال مقاتل: أوّلُ من تعوَّذَ بالجنِّ قومٌ من اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[٤].

والظاهر أن الضمير المرفوع في «فزادوهم» عائد على «رجالٌ من الإنس» إذْ هم المحدَّثُ عنهم، وهو قولُ مجاهد والنَّخَعيّ وعُبيد بن عُمير «فزادوهم» أي: الإنسَ «رَهَقاً» أي: جَرَاءةً وانتخاءً وطغياناً وغشيان المحارم وإعجاباً بحيث قالوا سُدْنا الإنس والجنّ. وفسَّر قوم الرَّهَق بالإثم، وأنشد الطبريّ في ذلك بيتَ الأعشى:

---

(١) قراءة يعقوب هذه من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٩٢، وينظر القراءات الشاذة ص١٦٢، والمحتسب ٢/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٣، والأصل: أن لن تَتقوّلَ.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: يتقوّل. وأثبتُّ اللفظة على الجادة، وهي: تَقَوَّلَ، ماضي: تَتَقَوَّل، الذي حُذف منه إحدى التاءين (كما ذكر المصنف) في لفظ الآية: «أن لن تَقَوَّلَ» على هذه القراءة. وينظر الدُّرّ المصون ٩/ ٢٨٨.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ (والكلام منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٣.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٣.

لا شيءَ ينفعُني من دونِ رؤيتِها لا يَشْتَفي وامِقٌ ما لم يُصِبْ رَهَقًا[(١)]

قال: معناه ما لم يَغْشَ محرَّماً، فالمعنى: زادتِ الإنسُ الجنَّ مأثماً لأنهم عظَّموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى.

وقال قتادة وأبو العالية والرَّبيع وابنُ زيد: «فزادوهم» أي: الجنُّ زادتِ الإنسَ مخافةً يتخيَّلُون لهم بمنتهى طاقتِهم ويُغْوُونَهم لما رأَوْا من خِفَّة أحلامهم، فازدَرُوهم واحتقرُوهم[(٢)].

وقال ابنُ جُبير: «رَهَقاً»: كفراً[(٣)].

وقيل لا يطلقُ لفظُ الرِّجال على الجنِّ، فالمعنى: وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون من شرِّ الجنِّ برجالٍ من الإنس، وكان الرجلُ يقولُ مثلاً: أعوذُ بحذيفة بن بدر[(٤)] من جِنِّ هذا الوادي. وهذا قولٌ غريب.

«وأنَّهم» أي: كفارَ الإنس «ظنُّوا كما ظننتُم» أيُّها الجنُّ، يخاطبُ به بعضهُم بعضاً، و«ظنُّوا» و«ظننتُم» كلٌّ منهما يطلبُ «أنْ لن يبعثَ» فالمسألةُ من باب الإعمال، و«أنْ» هي المخفَّفةُ من الثقيلة.

وقيل: الضمير في «وأنَّهم» يعودُ على الجنِّ، والخطاب في «ظننتُم» لقريش. وهذه والتي قبلَها هما من الموحَى به لا من كلامِ الجنّ.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ الظاهر أنه بِعثة الرسالة إلى الخلق، وهو أنسبُ لِما تقدَّم من الآي ولِما تأخَّر.

وقيل: بعثُ القيامة.

---

(١) ديوان الأعشى ص٤١٥، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ (والكلام قبله وبعده منه). وقوله: وامقٌ، أي: مُحِبّ.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٤.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١١١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٤.

(٤) في (أ) والمطبوع: بن اليمان! والقول في تفسير القرطبي. وحذيفة بن بدر هو جدُّ عُيينة بن حصين أحدِ المؤلفة قلوبهم.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أصلُ اللمس المَسُّ، ثم استُعير للتطلُّب، والمعنى: طلبنا بلوغ السماء لاستماعِ كلامِ أهلِها ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ﴾ الظاهرُ أنَّ «وَجَدَ» هنا بمعنى: صادَفَ وأصابَ، وتعدَّت إلى واحد، والجملةُ من «مُلئت» في موضع الحال[1]، وأُجيز أن تكون تعدَّتْ إلى اثنين فـ«مُلئت» في موضع المفعول الثاني[2].

وقرأ الأعرج: «مُليت» بالياء دون همز والجمهور بالهمز[3].

و«شديداً» صفة للحَرَس على اللفظ لأنه اسم جمع، كما قال:

أخشى رُجَيْلاً أو رُكَيْباً عَادِيَا[4]

ولو لُحظ المعنى لقال: شِداداً، بالجمع.

والظاهر أنَّ المراد بالحَرَس الملائكة، أي: حافظين من أن يقربَها الشياطين.

و«شُهُباً» جمع شِهاب وهو ما يُرجَمُ به الشيطانُ إذا استمع. قيل: ويحتمل أن تكون الشُّهب هم الحرس، وكرَّر المعنى لما اختلف اللفظ نحو:

وهندٌ أتى من دونها النأْيُ والبُعْدُ[5]

وقوله: ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ﴾ يدلُّ على أنها كانت قبل ذلك يطرُقون السماء ولا يجدونها قد مُلئت.

«مقاعد» جمع مقعد، وقد فسَّر رسولُ الله ﷺ صورة قعود الجنّ أنهم كانوا واحداً فوق واحد، فمتى أُحرق الأعلى طلعَ الذي تحتَه مكانَه، فكانوا يستَرِقُون

---

(١) وذلك على إضمار «قد»، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) وهو أولى عند النحاس كما في إعرابه ٥/ ٤٨، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨١، وقرأ بها أبو جعفر من العشرة كما في النشر ١/ ٣٩٦، وقرأ بها أيضاً حمزة حالة الوقف.

(٤) الرَّجز لأُحَيْحَة بن الجُلَاح كما في المُنْصف ٢/ ١٠١، واللسان (رجل)، وشرح المفصَّل ٥/ ٧٧، وخزانة الأدب ٣/ ٣٥٩. وفي بعضها: رُجيلاً ورُكيباً. والبيت في قصره المشهور باسم: الضَّحيان؛ وقبله: بنيتُه بعُصبة من ماليا. وفيه قصة طريفة.

(٥) وصدرُه: ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ. وهو للحطيئة في ديوانه ص١٤٠.

الكلمةَ فيُلقُونها إلى الكُهَّان، ويزيدون معها، ثم يزيدُ الكُهَّانُ الكلمةَ مئةَ كَذْبَة[١].

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾ «الآن» ظرف زمان للحال، و«يستمع» مستقبل، فاتُّسِعَ في الظرف واستُعمل للاستقبال، كما قال:

سأسعى الآنَ إذْ بلغَتْ أناها[٢]

فالمعنى: فمن يقعْ منه استماعٌ في الزمان الآتي ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي يَرْصُدُهُ فيُحرِقُه، هذا لمن استمعَ، وأمَّا السَّمْع فقد انقطع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢].

والرَّجْمُ كان في الجاهِليّة وذلك مذكور في شعر أهل الجاهلية[٣]، ويدلُّ عليه الحديث حين رأى عليه الصلاة والسلام نجماً قد رُميَ به قال: «ما كنتُم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنَّا نقولُ: يموتُ عظيم، أو يُولَد عظيم[٤]، قال أوس بنُ حَجَر[٥]:

وانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ ... نَقْعٌ يَثُورُ تَخالُهُ طُنُبا

وقال عوف بن الخَرِع[٦]:

فرَدَّ علينا العَيْرَ من دون إلْفِهِ ... أو الثَّورَ كالدُّرِّيِّ يتبعُهُ الدَّمُ

وقال بشر بن أبي خازم:

(١) ينظر في هذا المعنى حديث أبي هريرة في صحيح البخاري (٤٨٠٠)، والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨١.

(٢) هو عجز بيت لعنترة، وصدرُه: فإني لستُ خاذلكم ولكن. وهو في ديوانه ص٧٧. وقوله: أناها، أي: منتهاها.

(٣) في (أ) و(ت) والمطبوع: أشعارهم، بدل: شعر أهل الجاهلية.

(٤) هو قطعة من حديث ابن عباس ﷺ أخرجه أحمد (١٨٨٢)، ومسلم (٢٢٢٩) وغيرهما.

(٥) ديوانه ص٣، وينظر النكت والعيون ٦/ ١١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٧. والطُّنُب: حَبْلُ الخِباء.

(٦) الخَرِع، بالخاء المعجمة، كَكَتِف، كما في القاموس، والبيت في الحيوان للجاحظ ٦/ ٢٧٥، والكشاف ٤/ ١٦٨.

والعَيْرُ يُرْهِقُها الغبارُ وجَحْشُها يَنْقَضُّ خلفَهما انقضاضَ الكَوْكَبِ[١]

قال التَّبريزيّ: وهؤلاء الشُّعراءُ كلُّهم جاهليُّون ليس فيهم مخضرم.

وقال مَعْمَر: قلت للزُّهْريّ: أكان يُرْمَى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيتَ قولَه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فقال: غُلِّظَتْ وشُدِّدَ أمرُها حين بُعث رسولُ الله ﷺ[٢].

وقال الجاحظ: القولُ بالرَّمي أصحُّ لقوله: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ﴾[٣] وهذا إخبارٌ عن الجنِّ أنه زِيدَ في حَرَسِ السماء حتى امتلأت، ولِما رَوَى ابنُ عبَّاس، وذكرَ الحديث السابق.

وقال الزمخشريّ تابعاً للجاحظ: وفي قوله: «مُلئت» دليلٌ على أنَّ الحادثَ[٤] هو المَلْءُ والكثرة، وكذلك «نقعدُ منها مقاعِدَ» أي: كنّا نجدُ فيها بعضَ المقاعد خاليةً من الحَرَس والشُّهُب، والآن مُلئت المقاعدُ كلُّها انتهى.

وهذا كلُّه يُبطِلُ قولَ من قال: إنَّ الرَّجْم حَدَثَ بعد مبعثِ رسولِ الله ﷺ، وهو إحدى آياته.

والظاهر أن «رَصَداً» على معنى الرَّاصد. وقال الزمخشري: والرَّصَد مثل الحَرَس، اسم جمع للرَّاصد، على معنى ذوي شهابٍ راصدين بالرَّجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشُّهب ويمنعونهم من الاستماع.

---

(١) ديوان بِشر ص٨١، والحيوان ٦/ ٢٧٥، والكشاف ٤/ ١٦٨، وفيها: الخَبَار، بدل: الغبار. والخَبَار (كما في القاموس): ما لانَ من الأرض واستَرْخَى.

(٢) هذا في رواية حديث ابن عباس عند أحمد (١٨٨٢) الذي سلف قطعة منه، وهو أيضاً في رواية البيهقي له في دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) هذا قول القرطبي في تفسيره ٢١/ ٢٨٨ قاله بعدَ ما نقلَ عن الجاحظ قولَه: كل شعرٍ رُويَ فيه (أي الانقضاض) فهو مصنوع، وإنَّ الرَّمْيَ لم يكن قبل المبعث، وينظر النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٤) في المطبوع: الحرس، وهو خطأ، والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩.

ولما رأوا ما حدثَ من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهو كفرُهم بهذا النبي ﷺ فينزلُ بهم الشَّرُّ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فيؤمنون به فيرشُدون.

وحين ذكروا الشَّرَّ لم يُسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا الرَّشَد أسندُوه إليه تعالى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أخبروا بما هم عليه من صلاحٍ وغيرِه ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون الصالحين، وتقع «دون» في مواضع موقع «غير» فكأنه قال: ومنَّا غيرُ صالحين.

ويجوز أن يريدوا: ومنَّا دون ذلك في الصلاح، أي: فيهم أبرار، وفيهم من هو غيرُ كامل في الصلاح. و«دون» في موضع الصفة لمحذوف، أي: ومنَّا قومٌ دون ذلك، ويجوزُ حذف هذا الموصوف في التفصيل بـ «مِنْ» حتى في الجُمل، قالوا: منَّا ظَعَنَ ومنَّا أقامَ، يريدون: منَّا فريقٌ ظَعَنَ ومنَّا فريقٌ أقام.

والجملة من قوله: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ تفسيرٌ للقِسْمة المتقدِّمة، قال ابن عباس وعكرمة وقتادة: أهواء مختلفة، وقيل: فِرَقاً مختلفة[١].

وقال الزمخشري: أي: كنَّا ذوي مذاهبَ مختلفة، أو: كنَّا في اختلافِ أحوالِنا مثلَ الطرائقِ المختلفة، أو: كنَّا في طرائقَ مختلفة كقوله:

كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ[٢]

أو: كانت طرائقُنا طرائقَ[٣] قِدَداً، على حذف المضاف الذي هو الطرائق، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.

(٢) هو قطعة من بيت لساعدة بن جُويَّة، وهو بتمامه:

لَدْنٌ بهزِّ الكفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ ... فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

وهو في الكتاب ١/ ٣٦. وسلف عند تفسير الآية (١٦) من سورة الأعراف.

(٣) كلمة «طرائق» سقطت من المطبوع، والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩.

وفي تقدِيرَيْهِ الأوَّلَيْن حذفُ المضاف من «طرائق» وإقامة المضاف إليه مقامه إذْ حُذف «ذوي» و«مثل».

وأما التقدير الثالث وهو أن ينتصبَ على إسقاط «في» فلا يجوزُ ذلك إلا في الضرورة، وقد نصَّ سيبويهِ على أنَّ عَسْلَ الطريقِ شاذّ، فلا يُخَرَّجُ القرآنُ عليه.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: أيقنَّا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كائنين في الأرض ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي: من الأرض إلى السماء.

و«في الأرض» و«هَرَباً» حالان، أي: فارِّين، أو هاربين.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف.

وقرأ ابنُ وثَّاب والأعمش: «فلا يَخَفْ» وخُرِّجت قراءتُهما على النهي[١].

وقيل: الفاء زائدة، و«لا» نفيٌ، وليس بشيء، وكان الجواب بالفاء أجودَ من المجيء بالفعل مجزوماً دون الفاء لأنه إذا كان بالفاء كان على إضمار مبتدأ، أي: فهو لا يخافُ، والجملة الاسمية أدلُّ وآكدُ من الفعلية على تحقق مضمون الجملة.

﴿بَخْسًا﴾ قال ابنُ عباس: نَقْصَ الحسنات ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ قال: زيادة في السيئات[٢].

وقيل: ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: تحميل ما لا يُطاق.

وقال الزمخشري: أي: جزاء بخس ولا رهق، لأنه[٣] لم يَبْخَسْ أحداً حقًّا ولا رهقَ ظلمَ أحد، فلا يخاف جزاءهما، ويجوزُ أن يُرادَ فلا يخافُ أن يُبخَسَ بل

---

(١) المثبت من (يه). وعبارة النسخ الأخرى والمطبوع: «وقرأ ابنُ وثاب والأعمش والجمهور: فلا يخاف، وخرِّجت قراءتهما على النفي». وهو خطأ. وينظر القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٣٢، والنكت والعيون ٦/ ١١٣-١١٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ (ولفظه منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٢.

(٣) في (ت): أي، بدل: لأنه، والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩.

يُجزَى الجزاءَ الأوفى، ولا أن ترهقَه ذلةٌ، من قوله عز وجل ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [المعارج: ٤٤] انتهى.

وقرأ الجمهور: «بَخْساً» بسكون الخاء، وابنُ وثَّاب بفتحها.

﴿ومنا القاسطون﴾ أي: الكافرون الجائرون عن الحق. قال مجاهد وقتادة والناس[1]: القاسطُ الظالم، ومنه قول الشاعر:

قومٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوةً عَمْراً وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمَانِ[2]

وجاء هذا التقسيم وإن كان قد تقدَّم ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ليذكر حال الفريقين من النَّجاة والهلكة ويرغِّب من يدخلُ في الإسلام.

والظاهر أن ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ إلى آخر الشرطين من كلام الجنّ، وقال ابن عطيَّة: الوَجْهُ أن يكون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ مخاطبةً من الله تعالى لمحمد ﷺ، ويؤيِّدُه ما بعده من الآيات.

وقرأ الأعرج: «رُشْداً» بضمّ الراء وسكون الشين[3]، والجمهور بفتحهما.

وقال الزمخشريّ: وقد زعمَ مَنْ لا يرى للجنّ ثواباً أنَّ الله تعالى أوْعَدَ قاسطيهم وما وعد مسلميهم، وكفى به وَعْداً أن[4] [قال:] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾فذكرَ سببَ الثوابِ ومُوجِبَه، واللهُ أعدلُ من أن يُعاقب القاسطَ ولا يثيبَ الراشد. انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال في قوله: «ومُوجِبَه».

❁ ❁ ❁

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ

(١) تحرفت في المطبوع إلى: البأس. والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.
(٢) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣.
(٤) المثبت من (يه)، وتحرَّف في النسخ (أ) و(ت) و(ع) إلى: «وعيداً أي» والكلام في الكشاف ٤/ ١٦٩، وكلمة «قال» بعدها بين حاصرتين منه.

يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ
يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن
رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ
بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ هذا من جملة المُوحَى المندرِجِ تحت «أُوحِيَ إليَّ» و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، والضمير في «استقاموا» قال الضحَّاك والربيع بنُ أنس وزيد بنُ أسلم وأبو مِجْلَز: هو عائد على قوله: «فمَنْ أَسْلَم»، و«الطريقة» طريقةُ الكفر، أي: لو كفرَ من أسلَمَ من الناس لأسقيناهُم إملاءً لهم واستدراجاً، واستعارةُ الاستقامة للكفر قلقة لا تُناسب(١).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابنُ جُبير: هو عائد على القاسطين، والمعنى: على طريقة الإسلام والحقِّ لأنعمنا عليهم، نحو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [المائدة: ٦٥] الآية(٢).

وقيل: الضمير في «استقاموا» عائد على الخلق كلِّهم و«أنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة(٣).

﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾كنايةٌ عن توسعة الرِّزق لأنه أصلُ المعاش، وقال بعضُهم: المالُ حيث الماء.

وقرأ الجمهور: «غَدَقاً» بفتح الدال، وعاصم في رواية الأعشى بكسرها(٤)،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣-٣٨٤. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٦، والنكت والعيون ٦/ ١١٦، والكشاف ٤/ ١٧٠، وزاد المسير ٨/ ٣٨١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٥.

(٢) المصادر السالفة، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٣) سلفت هذه العبارة قريباً.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

ويقال: غَدِقَتِ العينُ تَغْدَقُ غَدَقاً، فهي غَدِقة: إذا كثُر ماؤها.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾أي: لنختبرَهم كيف يشكرون ما أنعمَ عليهم به، أو لنمتحنَهم ونستدرجَهم، وذلك على الخلاف في من يعودُ عليه الضمير في «استقاموا».

وقرأ الأعمش وابنُ وثّاب بضمِّ واو «لو»[(١)]، والجمهور بكسرها.

وقرأ الكوفيون: «يَسْلُكْهُ» بالياء، وباقي السبعة بالنون[(٢)]، وابنُ جندب بالنون من: أَسْلَكَ[(٣)]، وبعضُ التابعين بالياء من أَسْلَكَ أيضاً[(٤)]، وهما لغتان: سَلَكَ وأَسْلَكَ، قال الشاعر:

حتى إذا أسلكوهُم في قُتائدةٍ[(٥)]

وقرأ الجمهور: «صَعَداً» بفتحتين، وهو مصدر صَعِدَ، وُصف به العذاب، أي: يعلو المعَذَّبَ ويغلبُه، وفُسِّرَ بـ: شَاقّ، يقال: فلان في صَعَدٍ من أمره، أي: في مشقَّة.

وقال عمر: ما يَتَصعَّدني شيء كما يَتَصعَّدني خِطْبةُ النكاح[(٦)]، أي: ما يَشُقُّ عليَّ.

وقال أبو سعيد الخُدري وابنُ عباس: «صَعَدٌ» جبلٌ في النار، قال الخُدري: كلَّما وضعوا أيديَهم عليه ذابت[(٧)].

---

(١) المصدران السالفان، والمحتسب ٢/ ٣٣٣.

(٢) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥. والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٦، واسم ابن جندب: مسلم. ونُسبت القراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ لابن جبير.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٥) هو صدرُ بيت، وعجزُه: شَلًّا كما تطردُ الجمَّالةُ الشُّرُدا، وهو في ديوان الهُذليين ٢/ ٤٢، وأدب الكاتب ص٤٣٤، ونُسب فيهما لعبد مناف بن ربع الهُذلي. وقُتائدة، أي: ثَنِيَّة أو عَقَبة، وشلًّا، أي: طرداً.

(٦) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٦، واللسان (صعد).

(٧) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٣٩، والنكت والعيون ٦/ ١١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٦.

وقال عكرمة: هو صخرةٌ ملساءُ في جهنم يُكلَّفُ صعودَها، فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِرَ إلى جهنَّم[١].

فعلى هذا يجوزُ أن يكون بدلاً من «عذاب» على حذف مضاف، أي: عذابَ صَعَدٍ، ويجوز أن يكون «صَعَداً» مفعول «يَسْلُكه»، و«عذاباً» مفعول من أجله.

وقرأ قوم: «صُعُداً» بضمتين، وابنُ عبَّاس والحسنُ بضمِّ الصاد وفتح العين، قال الحسن معناه: لا راحةَ فيه[٢].

وقرأ الجمهور: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾بفتح الهمزة عطفاً على﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾فهو من جملة المُوحَى، وقال الخليل: معنى الآية: ولأنَّ المساجد لله فلا تدعوا، أي: لهذا السبب، وكذلك عنده: «لإيلافِ قريشٍ فليعبدوا» وكذلك ﴿وأنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢] أي: ولأنَّ هذه[٣].

وقرأ ابنُ هُرْمُز وطلحة: «وإنَّ المساجد» بكسرها على الاستئناف، وعلى تقدير الخليل فالمعنى: فلا تَدْعُوا مع الله أحداً في المساجد لأنها للهِ خاصة ولعبادته.

والظاهر أنَّ «المساجد» هي البيوت المُعَدَّةُ للصلاة والعبادة في كل ملَّة.

وقال الحسن: كلُّ موضع سُجِدَ فيه فهو مَسْجِدٌ كان مخصوصاً لذلك أو لم يكن، إذِ[٤] الأرضُ كلُّها مسجدُ هذه[٥] الأمة.

وأبعَد ابنُ عطاء في قوله: إنها الآراب التي يُسجدُ عليها، واحدُها مَسْجَد،

---

(١) تفسير القرطبي ٢١/٢٩٧، وهو بنحوه أطول منه في تفسير الثعلبي ٦/٢٩٦ وتفسير القرطبي أيضاً عن الكلبي في الوليد بن المغيرة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٣٨٣، والقراءتان فيه، ووقع في مطبوعه خطأ في لفظ القراءة الأولى.

(٣) المصدر السالف، وقرأ «وأنَّ» بفتح الهمزة وتشديد النون نافع وابن كثير وأبو عمرو.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: لأن، بدل: إذ، وقول الحسن في المحرر الوجيز٥/ ٣٨٣، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧.

(٥) في المحرر الوجيز (والقول فيه): لهذه.

بفتح الجيم[(١)]، وهي: الجبهة والأنف واليدان والرُّكبتان والقَدَمان، عَدَّ الجبهةَ والأنفَ واحداً.

وأبعدَ أيضاً من قال: المرادُ المسجدُ الحرامُ لأنه قِبْلَةُ المساجد، ومن قال: إنه جمعَ مَسْجَد، وهو السُّجود[(٢)]. ورُوِيَ أنها نزلت حين تغلَّبت قريشٌ على الكعبة، فقيل لرسول الله ﷺ: المواضعُ كلُّها لله، فاعْبُدْهُ حيث كُنْتَ.

وقال ابنُ جُبير: نزلت لأنَّ الجنَّ قالت: يا رسول الله، كيف نشهدُ الصلاةَ معك على نَأْيِنا عنك؟ فنزلت الآية ليخاطبهم بها على معنى أنَّ عبادتَكم حيثُ كنتُم مقبولة[(٣)].

وعن قتادة: كان اليهودُ والنصارى إذا دخلُوا كنائِسهم أشركوا بالله، فأُمِرْنا أن نُخلصَ للهِ الدَّعوةَ إذا دَخَلْنا المساجد[(٤)].

وقرأ الجمهور: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ بفتح الهمزة عطفاً على قراءتهم ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ بالفتح، وقرأ ابنُ هُرْمُز وطلحة ونافع وأبو بكر بكسرها على الاستئناف[(٥)].

و«عبد الله» هو محمدٌ رسول الله ﷺ «يدعوه» أي: يدعُو اللهَ «كادوا» أي: كادَ الجنُّ ـ قاله ابن عباس والضحَّاك ـ يَتَقَصَّفُون[(٦)] عليه لاستماع القرآن.

---

(١) المصدر السالف، وقاله أيضاً غيرُ ابن عطاء، ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧، والنكت والعيون ٦/ ١١٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٨.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٠. وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٣: يقال: سجدتُ سجوداً ومَسْجِداً كما يقال: ضربتُ في الأرض ضرباً ومَضْرِباً، ثم يُجمع فيقال: المَسَاجِد والمَضَارِب، قال ابن قُتيبة: فعلى هذا يكون واحدُها: مَسْجَداً، بفتح الجيم، والمعنى: أخْلِصُوا له ولا تسجدوا لغيره.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٩٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٧٠، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧، وسقط شطر كبير من هذا الخبر من (أ) والمطبوع.

(٥) قراءة نافع وأبي بكر (وهو شعبة) في السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥.

(٦) المثبت من (يه)، وهو كذلك في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣. وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: ينقضُّون.

وقال الحسن وقتادة: الضمير في «كادُوا» لكفارِ قريشٍ والعرب في اجتماعهم على رَدِّ أمره[١].

وقال ابنُ جُبير: المعنى أنها قولُ الجنّ لقومهم يحكون، والضميرُ في «كادُوا» لأصحابه الذين يطُوعُون له ويقتدُون به في الصلاة[٢].

قال الزمخشريّ: فإن قلت: هلَّا قيل: رسولُ الله أو النبيُّ؟

قلت: لأنَّ تقديرَه: وأوحِيَ إليَّ أنه لمَّا قام عبدُ الله، فلمَّا كان واقعاً في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه جيءَ به على ما يقتضيه التواضع والتذلُّل، وأو لأنَّ المعنى أنَّ عبادةَ عبدِ اللهِ للهِ ليست بأمرٍ مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لِبَداً. ومعنى «قام يدعوه» قام يَعْبُدُهُ. يريدُ قيامَه لصلاةِ الفجرِ بنخلة حين أتاه الجنُّ فاستمعوا لقراءته عليه الصلاة والسلام ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي: يزدحمون عليه متراكمين[٣] تعجُّباً ممَّا رَأَوْا من عبادتِه واقتداءِ أصحابه به قائماً وراكعاً وساجداً، وإعجاباً بما تلا من القرآن؛ لأنهم رَأَوْا ما لم يَرَوْا مثلَه وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيرِه. انتهى. وهو قولٌ متقدِّم[٤] كثَّرهُ الزمخشريّ بخطابته.

وقرأ الجمهور: «لِبَداً» بكسر اللام وفتح الباء جمع لِبْدَة، نحو كِسْرَة وكِسَر، وهي الجماعات، شُبِّهَتْ بالشيء المُتلبِّدِ بعضُه فوقَ بعض، ومنه قول عبد مناف بنِ رِبْع:

صافُوا بستَّةِ أبياتٍ وأربعةٍ حتى كأنَّ عليهم جابِياً لِبَدَا[٥]

---

(١) هو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣-٣٨٤ دون نسبة، وبنحوه عن الحسن وقتادة في تفسير الطبري ٢٣/ ٣٤٥ واختاره، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٢.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٧-٢٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤ ولفظُه منه، ورواه الترمذي (٣٣٢٣) مطولاً من طريق ابن جبير عن ابن عباس ﷺ.

(٣) المثبت من (ت) وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٧٠ والكلام منه، وفي (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: متراكبين.

(٤) سلف مختصراً من قول ابن جُبير.

(٥) ديوان الهُذليين ٢/ ٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤. ورواية الديوان: صابوا، أي: وقعوا، والجابي الجراد.

وقال ابنُ عباس: أعواناً.

وقرأ مجاهد وابنُ مُحيصن وابنُ عامر بخلاف عنه بضمِّ اللام جمع لُبْدَة كزُبْرَة وزُبَر[(١)].

وعن ابن مُحَيْصِن أيضاً تسكين الباء وضمّ اللام «لُبْداً»[(٢)].

وقرأ الحسن والجَحْدَريّ وأبو حَيْوَة وجماعة عن أبي عَمرو بضمتين جمعُ «لَبْد»، ك: رَهْن ورُهُن، أو جمعُ لَبُود، ك: صَبُور وصُبُر[(٣)].

وقرأ الحسن والجَحْدَريّ بخلافٍ عنهما: «لُبَّداً» بضم اللام وشدِّ الباء جمعُ لابِدٍ[(٤)]، وأبو رجاء بكسرها وشدِّ الباء المفتوحة[(٥)].

قال الحسنُ وقتادةُ وابنُ زيد: لمَّا قامَ الرسولُ للدعوةِ تَلَبَّدَتِ الإنسُ والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصرَه ويُتمَّ نورَه. انتهى[(٦)].

وأبعدَ مَنْ قال: «عبدُ الله» هنا نوحٌ عليه السلام[(٧)]، كادَ قومُه يقتلونه حتى استنقذَه الله منهم. قاله الحسن، وأبعدُ منه قولُ من قال: إنه عبدُ الله بنُ سَلَام[(٨)].

---

(١) قراءة ابن عامر هي من رواية هشام عنه، وهي في السبعة ص٦٥٦ والتيسير ص٢١٥، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ عن مجاهد وابن محيصن. وقوله: الزُّبْرَة، أي: القطعة من الحديد.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣. ويجوز أن تكون هذه القراءة مخفَّفة من لُبُد، بضمتين، وسترد بعدها. وينظر الدر المصون ٩/ ٤٩٩.

(٣) ينظر المحتسب ٢/ ٣٣٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٢-٣٠٣، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٣.

(٤) مثل: راكع وركَّع. وينظر القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحتسب ٢/ ٣٣٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٣.

(٥) استغربَها السمين في الدر المصون ٩/ ٤٩٩. ومن قوله: جمع لابِد... إلى قوله: وشدِّ الباء، سقط من (أ) والمطبوع.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٢. وسلف نحوه عن الحسن وقتادة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٨) لم أقف عليه، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ٥٠٥ وقال: ولعمري إنه لا ينبغي القول بذلك ولا أظنُّ له صحَّةً بوجهٍ من الوجوه.

وقرأ الجمهور: «قال إنما أدعُو ربِّي» أي: أعبدُه: أي: قال للمتظاهرين عليه: إنما أدعُو ربِّي، أي: لم آتِكُم بأمرٍ يُنْكَر، إنما أعبد ربِّي وحدَه، وليس ذلك ممَّا يوجبُ إطباقَكم على عداوتي. أو قال للجنِّ عند ازدحامِهم متعجِّبين: ليس ما تَرَوْنَ من عبادة الله بأمرٍ يُتعجَّبُ منه إنما يُتعجَّبُ ممَّن يعبدُ غيرَه. أو قال الجنُّ لقومهم ذلك حكايةً عن رسول الله ﷺ[1]. وهذا كلُّه مترتِّبٌ على الخلاف في عَوْدِ الضمير في «كادُوا».

وقرأ عاصم وحمزة وأبو عَمْرو بخلاف عنه: «قُلْ»[2] أي: قُلْ يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك، وهم إمَّا الجنُّ وإما المشركون على اختلاف القولين في ضمير «كادوا».

ثم أمرَه تعالى أن يقولَ لهم ما يدلُّ على تَبرُّئِهِ من القدرة على إيصال خيرٍ أو شرٍّ إليهم، وجعلَ الضُّرَّ مقابلاً للرَّشَد تعبيراً به عن الغَيِّ إذِ الغَيُّ ثمرتُه الضُّرّ، ويمكن أن يكونَ المعنى: ضَرًّا ولا نفعاً ولا غَيًّا ولا رَشَداً، فحذف من كلٍّ ما يدلُّ مقابِلُهُ عليه.

وقرأ الأعرج: «رُشُداً» بضمتين[3].

ولمَّا تبرَّأ عليه السلام من قدرته على نفعهم وضرِّهم أُمِرَ بأن يُخبرَهم أنَّه مربوبٌ للهِ تعالى يفعلُ فيه ربُّه ما يريد، وأنه لا يمكن أن يُجيرَه منه أحد، ولا يجدُ من دونه ملجأً يركُنُ إليه. قال قريباً منه قتادة. وقال السُّدِّيُّ: حِرْزاً، وقال الكلبيّ: مَدْخلاً في الأرض، وقيل: ناصراً، وقيل: مَذْهباً ومَسْلَكاً، ومنه قول الشاعر:

يا لَهْفَ نفسي ونفسي[4] غيرُ مجديةٍ عنِّي وما من قضاءِ اللهِ مُلْتَحَدُ

---

(١) الكشاف ٤/ ١٧١.

(٢) السبعة ص٦٥٧، والتيسير ص٢١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٤) في (يه): ولهفي، بدل: ونفسي. وهو كذلك في النكت والعيون ٦/ ١٢١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥، والبيت فيهما دون نسبة، وتنظر الأقوال السالفة فيهما.

وقيل: في الكلام حذف، وهو قالوا له: اترك ما تدعُو إليه ونحن نُجيرُك، فقيل له: قل: إني لن يجيرني.

وقيل: هو جواب لقولِ وَرْدَانَ سيِّدِ الجنّ وقد ازدَحَمُوا عليه؛ قال وَرْدَانُ: أنا أُرْحِلُهم[١] عنك، فقال: إني لن يجيرني من الله أحد. ذكره الماورديّ.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ قال الحسن: هو استثناءٌ منقطع؛ أي: لن يُجِيرَني أحدٌ لكن إنْ بلَّغْتُ رَحِمَني بذلك. والإجارةُ للبلاغ مستعارةٌ، إذ هو سببُ إجارةِ الله تعالى ورحمتِه.

وقيل: على هذا المعنى هو استثناء متصل، والمعنى: لن أجِدَ شيئاً أمِيلُ إليه وأعتصمُ به إلا أن أُبلِّغَ وأُطيعَ فيجيرَني الله[٢]، فيجوزُ نصبُه على الاستثناء من «مُلْتَحَداً» وعلى البدَل، وهو الوجه، لأنَّ قبلَه نفياً، وعلى البدَل خرَّجه الزجَّاج[٣].

وقال أبو عبد الله الرازيّ[٤]: هذا الاستثناء منقطع، لأنه لم يقل: ولن أجِدَ ملتحداً، بل قال: من دونه، والبلاغُ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: «من دونه ملتحداً» لأنه لا يكونُ من دون الله، بل يكون من الله وبإعانتِه وتوفيقِه.

وقال قتادة: التقدير: لا أملكُ إلا بلاغاً إليكم، فأمَّا الإيمانُ والكفرُ فلا أملكُه. انتهى[٥]. وفيه بُعدٌ لطولِ الفصلِ بينَهما.

وقيل: «إلَّا» في تقدير الانفصال: «إنْ» شرطية، و«لا» نافية، وحُذف الفعل بعدَها لدلالة المصدر عليه، والتقدير: إنْ لم أُبلِّغْ بلاغاً من الله ورسالاتِه[٦]. وهذا كما تقول: إنْ لا قياماً فقعوداً[٧]، أي: إنْ لم تَقُم قياماً فاقْعُدْ قُعوداً، وحذفُ هذا

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ١٢١ وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥ (والخبر فيهما): أرجلهم.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٦.
(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.
(٤) تفسيره ٢٩/ ١٦٥.
(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.
(٦) أي: إن لم أُبلِّغ بلاغاً من الله ورسالاته فلن يُجيرَني منه أحد. وينظر الدر المصون ٩/ ٥٠١.
(٧) في (أ) والمطبوع: قعوداً. وينظر الكشاف ٤/ ١٧١.

الفعل قد يكون لدلالةِ عليه بعده أو قبله كما حذف في قوله:

فطلِّقها فلستَ لها بكُفْءٍ   وإلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ[١]

التقدير: وإنْ لا تطلِّقها، فحذف «تُطَلِّقها» لدلالة «فطَلِّقْها» عليه.

و«مِنْ» لابتداء الغاية، وقال الزمخشري تابعاً لقتادة[٢]: أي: لا أملكُ إلا بلاغاً من الله، و«قُلْ إني لن يُجيرني» جملة معترضة اعتُرض بها لتأكيدِ نفي الاستطاعة عن نفسه وبيانِ عجزه، على معنى أنَّ الله إنْ أرادَ به سوءاً من مرضٍ أو موتٍ أو غيرِهما لم يصحَّ أن يُجيرَهُ منه أحدٌ أو يجدَ من دونه مَلَاذاً يأوي إليه. انتهى.

و«رسالاتِه» قيل: عطف على «بلاغاً» أي: إلا أنْ أُبلِّغَ عن الله أو أُبلِّغَ رسالاتِه[٣]. الظاهرُ أنَّ «رسالاتِه» عطفٌ على «الله» أي: إلا أن أُبلِّغَ عن الله وعن رسالاتِه.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: بالشِّركِ والكفر، ويدلُّ عليه قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

وقرأ الجمهور: «فإنَّ له» بكسر الهمزة، وقرأ طلحة بفتحها، والتقدير: فجزاؤه أنَّ له[٤]؛ قال ابن خالويه: وسمعتُ ابنَ مجاهد يقول: ما قرأ به أحدٌ، وهو لحنٌ، لأنه بعد فاء الشرط، وسمعتُ ابنَ الأنباريِّ يقول: هو صواب، ومعناه: فجزاؤه أنَّ له نارَ جهنم. انتهى.

وكان ابنُ مجاهد إماماً في القراءات، ولم يكن متَّسِعَ النقل فيها كابنِ شَنَبوذ[٥]، وكان ضعيفاً في النحو، وكيف يقول: ما قرأ به أحدٌ، وهذا طلحةُ بنُ

---

(١) البيت للأحْوَص، وسلف في تفسير الآية (٥٤) من البقرة، و(٥٣) من النحل.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧١، وسلف قول قتادة.

(٣) المصدر السالف.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥، وقراءة طلحة أيضاً في القراءات الشاذة ص١٦٣، وفيه كلام ابن خالويه الآتي.

(٥) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شَنَبُوذ، أبو الحسن إمام في القراءة، متصوِّف، =

مصرِّف قرأ به؟ وكيف يقول: وهو لحن، والنحويُّون قد نصُّوا على أنَّ «إنَّ» بعد فاء الشرط يجوزُ فيها الفتحُ والكسرُ[1]؟

وجمع «خالدين» حملاً على معنى «مَنْ» وذلك بعد الحمل على لفظ «مَنْ» في قوله: «يَعْصِ» «فإنَّ له».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ﴾ «حتَّى» هنا حرف ابتداء، أي: يصلُحُ أن يجيءَ بعدَها جملة الابتداء والخبر، ومع ذلك فيها معنى الغاية.

قال الزمخشريّ: فإن قلتَ: بِمَ تَعلَّقَ «حتى» وجُعِلَ ما بعدَه غايةً له؟

قلت: بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا﴾ على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوةِ ويستضعفون أنصارَه ويستقلُّون عددَه[2]، حتى إذا رَأَوْا ما يوعدون من يوم بدر وإظهارِ اللهِ له عليهم، أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذٍ أنهم أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً.

ويجوز أن يتعلَّقَ بمحذوف دَلَّتْ عليه الحالُ من استضعافِ الكفارِ له واستقلالِهم لعددِهِ، كأنه [قال:] لا يزالون على ما هُم عليه حتى إذا رأَوْا ما يوعدون قال المشركون: متى يكونُ هذا الموعودُ؟ إنكاراً له، فقيل: قل إنه كائنٌ لا ريبَ فيه، فلا تُنكروه، فإنَّ الله قد وَعَدَ ذلك، وهو لا يُخلِفُ الميعاد، وأمَّا وقتُه فما أدري متى يكون لأنَّ الله لم يُبَيِّنْهُ لما رأى في إخفاء وقتِه من المصلحة. انتهى.

وقوله: «بِمَ تَعلَّقَ» إنْ عَنَى تعلُّقَ حرف الجرّ فليس بصحيح لأنها حرفُ ابتداء، فما بعدَها ليس في موضع جرّ خلافاً للزجَّاج وابنِ درستويه فإنهما زعما أنها إذا كانت حرفَ ابتداء فالجملةُ الابتدائيةُ بعدَها في موضع جرّ.

= لكن كان له رأي في القراءة بالشواذّ تخالف رسم الإمام، فنقموا عليه لذلك. مات سنة (٣٢٨هـ) ينظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٤.

(١) تعجَّب السمين الحلبي من ابنِ مجاهد ـ مع أنه إمامٌ في القراءات ـ كيف غفلَ عن قراءة قوله تعالى: «فأنه غفور رحيم» من الأنعام (٥٤) بالفتح لعاصم وابنِ عامر. ينظر الدر المصون ٩/ ٥٠٣. قلت: وقرأ الجميع: «فأنه يُضِلُّه» بالفتح، في الآية (٤) من الحجّ.

(٢) في مطبوع البحر والكشاف ٤/ ١٧٢: عددهم.

وإنْ عَنَى بالتعلُّق اتصالَ ما بعدَها بما قبلَها وكونَ ما بعدَها غايةً لِما قبلَها؛ فهو صحيح.

وأمَّا تقديرُه أنها تتعلَّق بقوله: «يكونون عليه لِبَداً» فهو بعيدٌ جدًّا لطُولِ الفصل بينهما بالجُمل الكثيرة.

وقال التبريزيّ: «حتى» جازَ أن تكون غاية لمحذوف. ولم يُبَيِّن ما المحذوف.

وقيل: المعنى: دَعْهُم حتى إذا رأَوْا ما يُوعدون من الساعة فسيعلمونَ مَنْ أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً أهُم، أم أهلُ الإيمان؟

والذي يظهرُ لي أنَّها غايةٌ لِما تضمَّنته الجملة التي قبلَها من الحُكم بكينونةِ النَّارِ لهم، كأنه قيل: إنَّ العَاصِيَ يُحْكَم له بكينونةِ النارِ لهم[1]، والحُكم بذلك هو وعيدٌ، حتى إذا رَأَوْا ما حَكَمَ بكينونتِه لهم فسيعلمون، فقوله: «فإنَّ له نارَ جهنَّم» هو وعيدٌ لهم بالنار.

و«مَنْ أضْعَفُ» مبتدأ وخبر في موضع نصب لما قبلَه، وهو معلّق عنه، لأنَّ «مَنْ» استفهام، ويجوزُ أن تكون «مَنْ» موصولة في موضع نصب[2] بـ «سيعلمون» و«أضْعَفُ» خبر مبتدأ محذوف، والجملةُ صلة لـ «مَنْ» وتقديرُه: هو أضْعَفُ، وحسَّنَ حذفَه طولُ الصِّلة بالمعمول[3]، وهو «ناصراً».

قال مكحول: لم ينزل هذا إلا في الجنّ، أسلمَ منهم مَنْ وُفِّقَ، وكفرَ مَنْ خُذل كالإنس.

قال: وبلغَ من بايعَ[4] النبيَّ ﷺ ليلة الجنّ سبعين ألفاً وفرغوا عند انشقاق الفجر[5].

---

(١) لفظة «لهم» لم ترد في الدر المصون ٩/ ٥٠٤ والكلام فيه عن البحر.
(٢) من قوله: لما قبله وهو معلق. . . إلى هذا الموضع، سقط من (ت) و(يه).
(٣) يعني التمييز.
(٤) في (أ) والمطبوع: تابع.
(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠١-٣٠٢.

ثم أمرَه تعالى أن يقولَ لهم: إنه لا يدري وقتَ حُلُولِ ما وُعِدُوا به، أهو قريبٌ أم بعيد؟

قال الزمخشريّ[١]: فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ والأمدُ يكون قريباً وبعيداً، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]؟

قلت: كان رسولُ الله ﷺ يستقربُ الموعدَ، فكأنه قال: ما أدري أهو حالٌّ متوقَّع في كلِّ ساعة، أم مؤجَّلٌ ضُربت له غاية. أي: هو عالِمُ الغيب «فلا يُظهِرُ»: فلا يُطْلِعُ. و«من رسول» تبيين لـ «مَن ارتضى» يعني أنه لا يُطلِعُ على الغيب إلا المرتَضَى الذي هو مصطَفًى للنبوَّة خاصة لا كلُّ مُرْتَضًى. وفي هذا إبطالٌ للكرامات لأنَّ الذين تُضاف إليهم - وإنْ كانوا أولياء - مرتَضَيْنَ، فليسوا برسل، وقد خَصَّ اللهُ الرُّسُلَ من بين المرتَضَينَ بالاطِّلاع على الغيب وإبطالِ الكَهانة والتنجيم لأن أصحابَهما أبعدُ شيء من الارتضاء وأدخلَه في السُّخط. انتهى.

وقال ابن عباس: عالم الغيب[٢].

قال الحسن: ما غابَ عن خلقه[٣].

وقيل: الساعة[٤].

وقال ابنُ عباس «إلَّا» بمعنى «لكنْ» فجعلَه استثناءً منقطعاً[٥].

وقيل: «إلَّا» بمعنى «ولا» أي: ولا مَنِ ارتَضَى من رسول.

و«عالم» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو عالمُ الغيب، أو بدل من «ربِّي».

---

(١) الكشاف ٤/ ١٧٢-١٧٣.
(٢) كذا في (أ) و(ت) و(ع)، ولم يرد في (يه). وفي النكت والعيون ٦/ ١٢٢ عن ابن عباس: عالم الغيب، أي: عالم السّرّ.
(٣) بنحوه في المصدر السالف.
(٤) نقله الماوردي في المصدر السالف عن ابن أبي حاتم.
(٥) لم أقف عليه، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ١٢٢.

وقرئ: «عالِمَ» بالنصب على المدح.

وقرأ السُّدِّيّ: «عَلِمَ الغَيْبَ» فعلاً ماضياً ناصباً «الغيبَ»[١]، والجمهورُ: «عالِمُ» اسمُ فاعل مرفوعاً.

وقرأ الجمهور: «فلا يُظْهِرُ» من «أَظْهَرَ». والحسنُ: «يَظْهَرُ» بفتح الياء والهاء من «ظَهَرَ»[٢].

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ استثناء من «أحداً» أي: فإنه يُظْهِرُه على ما شاء من ذلك، فإنه يسلكُ اللهُ من بين يدي ذلك الرسول ومن خلفه رَصَداً، أي: حَفَظَةً يحفظُونه من الجنّ ويحرُسُونه في ضبط ما يُلقيه تعالى إلى ذلك الرسولِ من علمِ الغيب.

وعن الضحَّاك: ما بُعِثَ نبيٌّ إلا ومعه ملائكةٌ يحرُسُونه من الشياطين أن يتشبَّهوا بصورة المَلَك[٣].

وقال القرطبيّ: قال العلماء: لمَّا تَمدَّح سبحانَه بعلم الغيب واستأثرَ به دونَ خلقِه كان فيه دليلٌ على أنه لا يعلمُ الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى مَنِ ارتضاهُ من الرُّسل، فأودَعَهم ما شاء من غيبِه بطريق الوحي إليهم وجعلَه معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوَّتهم[٤]. ثم ذكر استدلالاً على بطلان ما يقولُه المنجِّم، ثم قال باستحلال دمِ المنجِّم.

وقال الواحديّ: في هذا دليلٌ على أنَّ من ادَّعى أنَّ النُّجوم تدلُّ على ما يكونُ من حياةٍ أو موتٍ أو غيرِ ذلك فقد كفرَ بما في القرآن.

قال أبو عبد الله الرازي[٥]: والواحديُّ يُجَوِّزُ الكراماتِ، وأنَّ اللهَ يُعَرِّفُ أولياءَه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ (ووقع في مطبوعه خطأ) ونُسبت في القراءات الشاذة ص١٦٣ لبعض أهل مكة.

(٢) أي: و«أحدٌ» بالرفع، والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٣ وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٨.

(٥) تفسيره ٢٩/ ١٦٨، وكلام الواحدي السالف قبله فيه، وما سيرد بين حاصرتين منه.

وقوعَ الوقائع في المستقبل، ونسبةُ الآية إلى الصورتين واحدة، فإنْ جَعَلَ الآية دالَّةً على المنع من أحكام النجوم فليجعلْها دالةً على [المنع من] الكرامات على ما قال صاحب «الكشاف»، فجَعْلُها تدلُّ على المنع من الأحكام النُّجومية ولا تدلُّ على الإلهامات مجردُ تَشَهٍّ.

وعندي أنَّ الآية لا تدلُّ على شيء ممَّا قالوه، لأنَّ قولَه: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ ليس فيه صيغة عموم، فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يُظهِرَ خَلْقَه تعالى على غيبٍ واحدٍ من غيُوبِه ويحملَه على وقتِ قيام القيامة، فلا يبقى دليلٌ في الآية على أنه لا يُظهر شيئاً من الغيوب لأحد، ويُؤكِّدُه أنه ذكرَ هذه الآيةَ عَقِيبَ قوله: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ الآية أي: لا أدري وقتَ وقوعِ القيامة، إذْ هي من الغيب الذي لا يُظهِرُه اللهُ لأحد، و﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ استثناءٌ منقطع، كأنه قال: فلا يُظْهِرُ على غيبه المخصوصِ أحداً إلا مَنِ ارتضَى من رسول فلَه حَفَظَةٌ يحفظُونه من شَرِّ مَرَدَةِ الإنس والجنّ.

ثم قال أبو عبد الله الرازيّ: واعلم أنه لا بدَّ من القطع بأنه ليس المرادُ من هذه الآية أنه لا يُطْلِعُ أحداً على شيء من المغيَّبات إلا الرُّسلَ عليهم الصلاة والسلام، والذي يدلُّ عليه وجوه:

أحدُها: أنه ثبتَ بالأخبار القريبة من التواتر أنَّ شِقًّا وسَطِيحاً كانا كاهنَيْن يُخبِرانِ بظهورِ محمد ﷺ قبلَ زمانِ ظهورِه، وكانا في العرب مشهورَيْنِ بهذا النوع من العلم حتى رَجَعَ إليهما كِسْرَى في تعرُّفِ أخبارِ رسولنا ﷺ.

وثانيها: إطباقُ الأمم على صحَّةِ علم التعبير، فيُخبِرُ المعبِّرُ عن ما يأتي في المستقبل ويكون صادقاً.

وثالثها: أنَّ الكاهنة البغدادية التي نقلَها السلطانُ سنجر بن ملكشاه من بغداد إلى خُراسان سألَها عن أشياءَ في المستقبل فأخبرَتْ بها، ووقَعَتْ على وَفْقِ كلامِها.

وقد رأيتُ أناساً محقِّقين في علوم الكلام والحكمةِ حَكَوْا عنها أنها أخبرَتْ عن

الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل، وجاءت كذلك، وبالغَ أبو البركات[1] صاحب «المعتبر» في شرح حالها في كتاب التعبير وقال: فحصتُ عن حالها منذ[2] ثلاثين سنة حتى تيقَّنتُ أنها كانت تُخبر عن المغيَّبات أخباراً مطابقةً موافقة.

ورابعها: أنَّا نشاهدُ أصحابَ الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصًّا بالأولياء، فقد يوجد في السَّحَرة، وفي الأحكام النُّجومية ما يُوافقُ الصِّدقَ وإن كان الكذبُ يقعُ منهم كثيراً، وإذا كان ذلك مُشاهَداً محسوساً فالقولُ بأنَّ القرآنَ يدلُّ على خلافه ممَّا يجرُّ الطعنَ إلى القرآن، وذلك باطل، فعَلِمْنا أنَّ التأويلَ الصحيحَ ما ذكرناه. انتهى، وفيه بعضُ تلخيص، وإنَّما أورَدْنا كلامَ هذا الرجلِ في هذه المسألة ليُنظرَ فيما ذكرَ من تلك الوجوه.

أمَّا قصةُ شِقٍّ وسَطِيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه ممَّا يخبر[3] به رَئيٌّ إلى الكُهَّان من الشياطين مسترقةً السمع كما جاء في الحديث أنهم يستمعون الكلمةَ ويكذبون ويُلقون إلى الكَهَنَة، وتزيدُ الكَهَنَةُ للكلمة مئةَ كَذْبة، وليس هذا من علم الغيب، إذ تكلَّمت به الملائكة، وتلقَّفها الجنّي، وتلقَّفها منه الكاهن، فالكاهنُ لم يعلم الغيبَ.

وأمَّا تعبيرُ المنامات فالمعبِّر غير المعصوم لا يعبِّر بذلك على سبيل البتّ والقطع، بل على سبيل الحَزْرِ والتخمين، وقد يقع ما يعبِّر به وقد لا يقع.

وأمَّا الكاهنةُ البغدادية وما حكَى عنها فحسبُه عقلاً أن يستدلَّ بأحوال امرأة لم يشاهدها، ولو شاهدَ ذلك لكان في عقله ما يجوز أنه لُبسَ عليه، هذا وهو العالمُ المُصنف الذي طبَّق ذِكرُه الآفاق، وهو الذي شكَّكَ في دلائل الفلاسفة وسامَهم الخسف.

---

(١) هو هبةُ الله بنُ علي بن ملكا البَلَديّ، علَّامة فيلسوف، له قصة غريبة في إسلامه ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٩، وقال: برع في علم الفلسفة إلى الغاية، مات سنة نيِّف وخمسين وخمس مئة.

(٢) في تفسير الرازي ٢٩/ ١٦٩: تفحَّصتُ عن حالها مدَّة.

(٣) في (يه): يخبره.

وأمَّا حكايتُه عن صاحب «المعتبر» فهو يهوديٌّ أظهرَ الإسلام، وهو منتحلٌ طريقةَ الفلاسفة.

وأمَّا مشاهدتُه أصحابَ الإلهامات الصادقة؛ فلي من العمر نحوٌ من ثلاث وسبعين سنة أصْحَبُ العلماءَ وأترَدَّدُ إلى من ينتمي إلى الصلاح، فلم أرَ أحداً منهم صاحبَ إلهام صادق.

وأمَّا الكرامات فإني لا أشكُّ في صدور شيء منها، لكن ذلك على سبيل النُّدرة، وذلك فيمن سلفَ من صلحاء هذه الأمة، وربَّما قد يكون في أعصارنا من تَصْدُرُ منه الكرامة، وللهِ تعالى أن يَخُصَّ مَنْ شاءَ بما شاء، واللهُ الموفِّق.

وقرأ الجمهور: «ليَعْلَم» مبنيًّا للفاعل، قال قتادة: ليعلم محمدٌ ﷺ أنَّ الرُّسُلَ قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم وحفظوا.

وقال ابنُ جُبير: ليَعلمَ محمدٌ أنَّ الملائكةَ الحَفَظَةَ الرَّصَدَ النازلينَ بين يَدَيْ جبريلَ وخلفَه قد أبلغُوا رسالاتِ ربهم.

وقال مجاهد: ليعلمَ مَنْ أشركَ وكذَّب أنَّ الرُّسُلَ قد بلَّغت. وعلى هذا القول لا يقعُ لهم هذا العلم إلا في الآخرة[1].

وقيل: ليَعْلَم اللهُ رسالتَهُ[2] مبلَّغةً خارجةً إلى الوجود، لأنَّ عِلْمَه بكلِّ شيء قد سبقَ.

واختار الزمخشريّ هذا القول الأخير فقال: ليعلمَ اللهُ أنْ قد أبلغُوا رسالاتِ ربِّهم، يعني الأنبياء، وَحَّدَ أوَّلاً على اللفظ في قوله ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ ثم جمعَ على المعنى، كقوله: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا﴾ [التوبة: ٦٣] والمعنى: ليبلِّغوا رسالاتِ ربِّهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان، وذَكَرَ العلمَ كذِكْرِهِ في قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١]. انتهى.

---

(١) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٥، والنكت والعيون ٦/ ١٢٣، وزاد المسير ٨/ ٣٨٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١١.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: رسله، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ والقول فيه.

وقيل: ليعلم أيْ: أيُّ رسولٍ كان أنَّ الرسلَ سِواه بلَّغوا.

وقيل: ليعلم إبليس أنَّ الرُّسلَ قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطِه واستراقِ أصحابه.

وقيل: ليعلمَ الرسلُ أنَّ الملائكةَ بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم.

وقيل: ليعلمَ محمدٌ أنْ قد بلَّغَ جبريلُ ومَنْ معَه إليه رسالةَ ربِّه.

وقيل: ليعلمَ الجنُّ أنَّ الرُّسُلَ قد بلَّغوا ما أنزلَ الله إليهم، ولم يكونوا هم المتلقِّين باستراقِ السمع[١].

وقرأ ابنُ عبَّاس وزيد بنُ علي: «ليُعْلَمَ» بضمّ الياء مبنيًّا للمفعول[٢]، والزُّهريُّ وابنُ أبي عَبْلَة بضمّ الياء وكسرِ اللام[٣]، أي: ليُعْلِمَ اللهُ، أي: مَنْ شاءَ أن يُعْلِمَهُ أنَّ الرُّسُلَ قد أبلغُوا رسالاتِه.

وقرأ الجمهور: «رسالات» على الجمع، وأبو حَيْوَة على الإفراد[٤].

وقرأ الجمهور: «وأحاط بما لديهم» مبنيًّا للفاعل، أي: اللهُ «وأَحْصَى» مبنيًّا للفاعل، أي: اللهُ «كلَّ» نصباً.

وابنُ أبي عَبْلَةَ: «وأُحِيطَ» «وأُحْصِيَ» مبنياً للمفعول «كلُّ»[٥] رفعاً. ولمَّا كان «ليَعْلَم» مضمَّناً معنى «عَلِمَ» صارَ المعنى: قد عَلِمَ ذلك، فعُطف «وأحاطَ» على هذا المضمر، والمعنى: أحاطَ بما عند الرُّسل من الحُكم والشرائع لا يفوتُه منها شيء.

---

(١) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦، والنكت والعيون ٦/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣١١-٣١٢، وهي قراءة يعقوب من رواية رُويس كما في النشر ٢/ ٣٩٢. وينظر التعليق التالي.

(٣) ضبطت بالشكل في القراءات الشاذة ص١٦٣ عنهما بفتح اللام.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥.

(٥) المصدران السالفان، دون ذكر «أُحْصِيَ» في المحرر.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: معدوداً محصوراً، وانتصابُه على الحال من «كلّ شيء» وإن كان نكرة لاندراج المعرفة في العموم.

ويجوز أن ينتصبَ نصبَ المصدر لـ «أَحْصَى»، لأنه في معنى: إحصاء.

وقال أبو البقاء[1]: ويجوزُ أن يكون تمييزاً. انتهى. فيكون منقولاً من المفعول، إذ أصلُه: وأَحْصَى عَدَدَ كلِّ شيء، وفي كونه ثابتاً من لسان العرب خلاف.

(١) الإملاء ٢/ ٢٧١.

(٧٢) سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ، أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى: ﴿ قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد﴾ أي إلى السداد والنجاح ﴿ فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ كقوله تعالى: ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾، وقوله تعالى: ﴿ وأنه تعالى جد ربنا﴾ قال ابن عباس ﴿ جد ربنا﴾ آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه، وقال مجاهد: جلال ربنا، وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي: تعالى أمر ربنا، وقال سعيد بن جبير: ﴿ تعالى جد ربنا﴾ أي تعالى ربنا، وقوله تعالى: ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي قالت الجن: تنزه الرب جلَّ جلاله عن اتخاذ الصاحبة والولد، ثم قالوا: ﴿ وإنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً﴾، قال مجاهد ﴿ سفيهنا﴾ يعنون إبليس، ﴿ شططاً﴾ أي جوراً، وقال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: سفيهنا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولداً، ولهذا قالوا: ﴿ وإنه كان يقول سفيهنا﴾ أي قبل إسلامه، ﴿ على الله شططاً﴾ أي باطلاً وزوراً، ولهذا قالوا: ﴿ وإنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ أي ما حسبنا أن الإنس والجن، يتمالأون على الكذب على الله تعالى، في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾، كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون

بهم من خوفهم منهم ﴿زادوهم رهقاً﴾ أي خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم، كما قال قتادة ﴿فزادوهم رهقاً﴾ أي إثماً، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، وقال الثوري ﴿فزادوهم رهقاً﴾ أي ازدادت الجن عليهم جرأة، وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه ومالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك، وعن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس، فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾ أي إثماً[1]، وقال أبو العالية ﴿رهقاً﴾ أي خوفاً، وقال ابن عباس: أي إثماً، وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً. روى ابن أبي حاتم، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتهى صف الليل جاء ذئب، فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي، فقال: يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه، يقول: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً﴾ أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً.

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها لئلا يسترقون شيئاً من القرآن، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ۝ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم، يجد له شهاباً مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه، ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ أي ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عزَّ وجلَّ، وقد ورد في الصحيح: «والشر ليس إليك» وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

وتمرد في طغيانه من بني، كما تقدم حديث ابن عباس عند قوله في سورة الأحقاف: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ الآية. ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، فأتوا إبليس فحدَّثوه بالذي كان من أمرهم فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه، فشم فقال: صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام، يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ[1]

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى مخبراً عن الجن ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾ أي غير ذلك، ﴿كنا طرائق قدداً﴾ أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد ﴿كنا طرائق قدداً﴾ أي منا المؤمن ومنا الكافر، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال، سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد:

قلوب براها الحب حتى تعلقت مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً﴾ أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا، ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع، وصفة حسنة، وقولهم: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ قال ابن عباس وقتادة: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾، ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ أي منا المسلم ومنا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط، فإنه العادل، ، ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً﴾ أي طلبوا لأنفسهم النجاة، ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ أي وقوداً تسعر بهم، ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً * لنفتنهم فيه﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: (**أحدهما**): وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، واستمروا عليها ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أي كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

(١) هذه بعض رواية ذكرها السدي.

من السماء والأرض﴾، وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية. قال ابن عباس: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يعني بالاستقامة الطاعة، وقال مجاهد: يعني الإسلام[١]. وقال قتادة: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. قال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين، (**والقول الثاني**): ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ الضلال ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ وهذا قول أبي مجلز، وحكاه البغوي عن الربيع، وزيد بن أسلم، والكلبي، وله اتجاه ويتأيد بقوله ﴿لنفتنهم فيه﴾، وقوله: ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً﴾ أي عذاباً مشقاً موجعاً مؤلماً، قال ابن عباس ومجاهد ﴿عذاباً صعداً﴾ أي مشقة لا راحة معها، وعن ابن عباس: جبل في جهنم.

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحّده وحده، وقال ابن عباس: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام، ومسجد إيليا بيت المقدس[٢]، وروى ابن جرير، عن سعيد بن جبير قال، قالت الجن لنبي الله ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون؟ أي بعيدون عنك، وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[٣]. وقال عكرمة: نزلت في المساجد كلها، وقوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾ قال ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن، كادوا يركبونه من الحرص لمّا سمعوه يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه: ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن﴾ يستمعون القرآن، وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعاً، وقال قتادة: تلبّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه[٤]، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه، وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به

(١) وكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والسدي وابن المسيب ومحمد بن كعب القرظي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير.

(٤) هذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير.

من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿إنما أدعوا ربي﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿ولا أشرك به أحداً﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ أي إنما أنا عبد من عباد الله، ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عزّ وجلّ، ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجيره من الله أحد، أي لو عصيته، فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ قال مجاهد: لا ملجأ، وقال قتادة: أي لا نصير ولا ملجأ، وفي رواية: لا ولي ولا موئل، وقوله تعالى: ﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ مستثنى من قوله: ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً﴾ ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لن يجيرني من الله أحد﴾ أي لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ أي أنا رسول الله أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء ﴿نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها، وقوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون ما يوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومئذ ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؛ أي بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عدداً من جنود الله عزّ وجلّ .

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً﴾ أي مدة طويلة، ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول﴾ هذه كقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ثم قال تعالى: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ ، وقد اختلف المفسرون في الضمير في قوله ﴿ليعلم﴾ إلى من يعود ؟ فقيل: إنه عائد إلى النبي ﷺ، روى ابن جرير، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ﴿ليعلم﴾ محمد ﷺ ﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾[1] ، وقال قتادة: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد

(١) حكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير .

بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها[1] ، وقيل المراد: ليعلم أهل الشرك أن قـد أبلغوا رسالات ربهم، قال مجاهد: ليعلم من كذب الرسل أن قـد أبلغوا رسالات ربهم، وفي هذا نظر ، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عزَّ وجلَّ[2] ؛ ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾، وكقوله تعالى: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ إلى أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعـاً لا محـالة ، ولهـذا قال بعد ذلك : ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ .

[آخر تفسير سورة الجن، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ، واختاره ابن جرير .

(٢) حكاه ابن الجوزي في (زاد المسير) .

تفسير سورة الجن

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) ﴾ .

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يخبر قومه : أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ﴾ أى : إلى السداد والنجاح ، ﴿ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [الأحقاف:٢٩] . وقد قدمنا الأحاديث الواردة فى ذلك بما أغنى عن إعادتها هاهنا .

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ : قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أى : فعلُه وأمره وقدرته .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه .

وروى عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالى جلاله وعظمته وأمره . وقال السدى : تعالى أمر ربنا . وعن أبى الدرداء ، ومجاهد أيضا وابن جريج : تعالى ذكره . وقال سعيد ابن جبير : ﴿ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أى : تعالى ربنا .

فأما ما رواه ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ (١) ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد: أب. ولو علمت الجن أن فى الإنس جدا ما قالوا : تعالى جَدَ ربنا .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ؛ ولعله قد سقط شىء ، والله أعلم.

وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ أى : تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد ، أى : قالت

---

(١) فى م : « عبد الله بن سويد الكوفى » .

الجن : تنزه الرب تعالى جلاله وعظمته ، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

ثم قالوا : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾، قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسُّدِّى: ﴿ سَفِيهُنَا ﴾ يعنون : إبليس، ﴿ شَطَطًا ﴾، قال السُّدِّى ، عن أبى مالك : ﴿ شَطَطًا ﴾ أى : جورا . وقال ابن زيد : ظلما كبيرا .

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم : ﴿ سَفِيهُنَا ﴾ : اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا. ولهذا قالوا : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ أى : قبل إسلامه ﴿ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ أى: باطلا وزورا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أى :ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون على الكذب على الله فى نسبة الصاحبة والولد إليه . فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك .

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس ؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أى : إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البرارى وغيرها كما كان عادة العرب فى جاهليتها . يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون [1] بهم من خوفهم منهم ،﴿ زَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : خوفا وإرهابا وذعرا ، حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : إثما ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة .

وقال الثورى ، عن منصور عن إبراهيم : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : ازدادت الجن عليهم جراءة .

وقال السدى : كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضَرّ أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى ، قال : فإذا عاذ بهم من دون الله ، رَهقَتهم الجن الأذى عند ذلك .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان ،حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى، حدثنا الزبير بن الخرِّيت ، عن عِكْرِمة قال : كان الجن يَفْرَقُون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : نعوذ بسيد أهل هذا الوادى . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخَبَل والجنون ، فذلك قول الله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : ﴿ رَهَقًا ﴾ أى : خوفا . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : إثما . وكذا قال قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانا .

---

(١) فى م : « سيعوذون » .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا فروة بن أبى المغراء الكندى ، حدثنا القاسم بن مالك ــ يعنى المزنى ــ عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كَردم بن أبى السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبى من المدينة فى حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة ، فآوانا المبيت إلى راعى غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَمَلا من الغنم ، فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى ، جارك . فنادى مناد لا نراه ، يقول : يا سرْحان ، أرسله . فأتى الحملَ يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ .

ثم قال : ورُوى عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبى العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النَّخَعى ، نحوه .

وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل ــ وهو ولد الشاة ــ كان جنّيا حتى يُرهب الإنسى ويخاف منه ، ثم ردَّه عليه لما استجار به ، ليضله ويهينه ، ويخرجه عن دينه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا** ﴾ أى : لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله الكلبى ، وابن جرير .

﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)** ﴾ .

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وكان من حفظه له أن السماء مُلئَت حرسا شديداً ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك ؛ لئلا يسرقوا شيئا من القرآن . فيلقوه على ألسنة الكهنة ، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق . وهذا (١) من لطف الله بخلقه(٢) ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ أى : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يمحقه ويهلكه ، ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ أى : ما ندرى هذا الأمر الذى قد حدث فى السماء ، لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدا ؟ وهذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل ، والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد فى الصحيح : « والشر ليس إليك » . وقد كانت الكواكب يُرمَى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل فى الأحيان بعد الأحيان ، كما فى حديث ابن عباس (٣) : بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار ،فقال : « ما كنتم تقولون

(١) فى م : « فكان هذا » . (٢) فى م : « عليه » . (٣) فى م : « كما فى حديث العباس » .

فى هذا ؟ » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر فى السماء » ،وذكر تمام الحديث ، وقد أوردناه فى سورة « سبأ » بتمامه (١). وهذا هو السبب الذى حمَلهم على تطلب السبب فى ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه فى الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذى حُفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم ، وتمرد فى طغيانه من بقى ، كما تقدم حديث ابن عباس فى ذلك، عند قوله فى سورة «الأحقاف » : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية[الأحقاف:٢٩] . ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ،وهو كثرة الشهب فى السماء والرمى بها ، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم ــ كما قال السدى: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون فى الأرض نبى أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد فى السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر . فلما بعث الله محمداً نبيا ، رُجموا ليلة من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ، لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب . فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف . أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم النجوم ،فإن رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبى كبشة ــ يعنى: محمداً ﷺ ــ وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين فى تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذى كان من أمرهم ، فقال : ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب أشمها. فأتوه فشَم فقال : صاحبكم بمكة .فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله (٢) ﷺ قائما يصلى فى المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كَلاكلَهم تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل الله تعالى أمرهم على نبيه ﷺ ،وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى فى أول البعث من (كتاب السيرة) المطول ، والله أعلم ، ولله الحمد والمنة .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ﴾ .

يقول مخبرا عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أى : غير ذلك، ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

(١) عند تفسير الآية :٢٣ .

(٢) فى م : « نبى الله » .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : منا المؤمن ،ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النَّجاد فى أماليه ، حدثنا أسلم بن سَهل بَحْشَلُ ، حدثنا على بن الحسن ابن سليمان ــ وهو أبو الشعثاء الحضرمى ، شيخ مسلم ــ حدثنا أبو معاوية [١] قال : سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جنى ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال الأرز . قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا . فقلت : فيكم من هذه الأهواء التى فينا ؟ قال : نعم. قلت : فما الرافضة فيكم [٢] ؟ قال [٣] : شرنا . عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبى الحجاج المِزِّى فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش .

وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة العباس بن أحمد الدمشقى قال[٤] : سمعتُ بعض الجنّ وأنا فى منزلى بالليل ينشد :

قُلوبٌ بَرَاها الحبّ حَتى تعلَّقت ... مَذَاهبُها فى كُلّ غَرب وشَارقِ
تَهيم بحب الله ، واللهُ رَبُّها ... مُعَلَّقَةٌ بالله دُونَ الخَلائقِ [٥]

وقوله : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ أى : نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه فى الأرض ،ولو أمعنا فى الهرب، فإنه علينا قادر [٦] ، لا يعجزه أحد منا .

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾: يفتخرون بذلك ،وهو مفخر [٧]لهم،وشرف رفيع،وصفة حسنة.

وقولهم : ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما : فلا يخاف أن يُنقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته ، كما قال تعالى : ﴿ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢] .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أى : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق الناكب عنه ، بخلاف المقسط فإنه العادل ، ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ أى : طلبوا لأنفسهم النجاة ، ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أى : وقوداً تُسعر بهم .

وقوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ ، اختلف المفسرون فى معنى هذا على قولين :

أحدهما : وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ، ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أى : كثيراً . والمراد بذلك سَعَة الرزق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة:٦٦] ، وكقوله :

---

(١) فى أ : « أبو عوانة » . (٢) فى أ :« منكم » . (٣) فى م :« قالوا » .
(٤) فى م : « أنه قال » .
(٥) تاريخ دمشق (٨/ ٨٨٧ « المخطوط ») .
(٦) فى م :« فإنه قادر علينا » . (٧) فى أ : « وهو مفتخر » .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] . وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أى : لنختبرهم ، كما قال مالك ، عن زيد بن أسلم: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنبتليهم ، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ؟ .

ذكر من قال بهذا القول : قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يعنى بالاستقامة : الطاعة . وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ قال : الإسلام . وكذا قال سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدى ، ومحمد بن كعب القرظى .

وقال قتادة : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يقول : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا .

وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أى : طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله : ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أى : لنبتليهم به .

وقال مقاتل : فنزلت فى كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين .

والقول الثانى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ : الضلالة ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ أى : لأوسعنا عليهم فى الرزق استدراجا ، كما قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] ، وكقوله : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥ ، ٥٦] ،وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حُميد؛ فإنه فى قوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أى : طريقة الضلالة . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وحكاه البغوى عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبى ، وابن كيسان . وله اتجاه ،ويتأيد بقوله : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : عذاباً شاقاً شديداً موجعاً مؤلما .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : مشقة لا راحة معها .

وعن ابن عباس : جبل فى جهنم . وعن سعيد بن جبير : بئر فيها .

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا

يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) ﴾ .

يقول تعالى آمراً عباده أن يُوَحِّدوه فى مجال عبادته ، ولا يُدْعى معه أحد ولا يشرك به (١) ، كما قال قتادة فى قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ . قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم ، أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر على بن الحسين : حدثنا إسماعيل ابن بنت السدى ، أخبرنا رجل سماه ، عن السدى ، عن أبى مالك ـ أو أبى صالح ـ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إيليا : بيت المقدس .

وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول الله ، ائذن لنا نشهد معك الصلوات فى مسجدك . فأنزل الله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ يقول : صلوا ، لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهْران ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن محمود ، عن سعيد بن جبير ، : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾ قال : قالت الجن لنبى الله (٢) ﷺ : كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن ناؤون [عنك] (٣) ؟ ، وكيف نشهد الصلاة نحن ناؤون عنك ؟ فنزلت: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ (٤) .

وقال سفيان ، عن خُصَيْف ، عن عكرمة : نزلت فى المساجد كلها .

وقال سعيد بن جبير . نزلت فى أعضاء السجود ، أى : هى لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :« أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ـ أشار (٥) بيديه إلى أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين » (٦) .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ ، قال العَوفى ، عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبى ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه ؛ من الحرص ، لما سمعوه يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ** ﴾ ، يستمعون القرآن .

هذا قول ، وهو مروى عن الزبير بن العوام ، رضى الله عنه .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن مَعْمَر ، حدثنا أبو مسلم ، عن أبى عَوَانة ، عن أبى بشر ،

---

(١) فى م : « ولا يشرك به أحداً » . (٢) فى م: « قالت الجن للنبى » . (٣) زيادة من م .
(٤) تفسير الطبرى (٢٩/٧٣) .
(٥) فى م :« وأشار » .
(٦) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٨١٢) ، صحيح مسلم برقم (٤٩٠) .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ ، قال : لما رأوه يصلى وأصحابه، يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قالوا : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : ﴿ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ .

وهذا قول ثان ، وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا .

وقال الحسن : لما قام رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله » ، ويدعو الناس إلى ربهم ، كادت العرب تَلبُد عليه جميعاً .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال :تَلَبَّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويُمضيه (١) ويظهره على من ناوأه .

وهذا قول ثالث ، وهو مَروىّ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختيار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ أى : قال لهم الرسول ــ لما آذوه (٢) وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ، ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته : ﴿ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى ﴾ أى : إنما أعبد ربى وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه، ﴿وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّى لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ أى : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ، وعبد من عباد الله ليس إلىّ من الأمر شىء فى هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع فى ذلك كله إلى الله عز وجل .

ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد ، أى : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذى من عذابه ، ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ، قال مجاهد ، وقتادة ، والسدى : لا ملجأ . وقال قتادة أيضا : ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أى : لا نصير ولا ملجأ . وفى رواية : لا ولىّ ولا مَوئلَ .

وقوله تعالى : ﴿ إِلا بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ ﴾ : قال بعضهم : هو مستثنى من قوله : ﴿ لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ ، ﴿ إِلا بَلاغًا﴾ ، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله :﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ أى: لا يجيرنى منه ويخلصنى إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها علىّ ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن (٣) لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧] .

وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أى: إنما أبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج

---

(١) فى م :« ويعينه » . (٢) فى م : « لما نادوه » . (٣) فى م :« فإن » وهو خطأ .

لهم منها .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ أى : حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصراً وأقل عدداً ، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل ، أى : بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل .

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة ، ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد ؟ ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا ﴾ ؟ أى : مدة طويلة .

وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه السلام ، لا يؤلف تحت الأرض ، كذب لا أصل له ، ولم نره فى شىء من الكتب . وقد كان ﷺ يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ، ولما تَبدَّى له جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله أن قال: يا محمد، فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » [١]. ولما ناداه ذلك الأعرابى بصوت جَهورىّ فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال : « ويحك . إنها كائنة ، فما أعددت لها ؟ » . قال : أما إنى لم أعد لها كثير [٢] صلاة ولا صيام ، ولكنى أحب الله ورسوله . قال : «فأنت مع من أحببت » . قال أنس : فَمَا فرح المسلمون بشىء فرحهم بهذا الحديث [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن مُصَفّى ، حدثنا محمد بن حمير [٤] ، حدثنى أبو بكر بن أبى مريم ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى سعيد الخُدرى ، عن النبى ﷺ قال: « يا بنى آدم ، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده ، إنما توعدون لآت » [٥] .

وقد قال أبو داود فى آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسى بن سهيل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جُبَير ، عن أبيه ، عن أبى ثَعلبة الخُشنى قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » [٦] .

---

(١) هو جزء من حديث جبريل الطويل ، رواه مسلم فى صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) فى م : « كبير » .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٦٣٩) من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٤) فى أ : « محمد بن جبير » .

(٥) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (١٠٥٦٤) من طريق الحسن بن سفيان ، عن محمد بن المصفى ، به.

(٦) سنن أبى داود برقم (٤٣٤٩) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٤٢٤) من طريق ابن وهب ، به . وقال الحاكم :« صحيح على شرطهما ولم يخرجاه » .

انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود :

حدثنا عمرو بن عثمان . حدثنا أبو المغيرة ، حدثني صفوان ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال : « إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود (١) .

وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ ،هذه كقوله تعالى : ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] . وهكذا قال هاهنا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ ، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري .

ثم قال : ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ أي : يَخْتَصّه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ، ويساوقونه على ما معه من وحي الله ؛ ولهذا قال : ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله : ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ ، إلى من يعود ؟ فقيل : إنه عائد على النبي ﷺ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمِّي (٢)، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ محمد ﷺ ﴿ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي (٣) ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدي ، ويزيد بن أبي حبيب .

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة : ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ﴾ ، قال : ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها . وكذا رواه سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير .

وقيل غير ذلك ، كما رواه العَوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ ، قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي من الشيطان ، حتى يتبين الذي أرسل به إليهم ، وذلك حين يقول ، ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وكذا قال ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ﴾ قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفي هذا نظر .

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٣٥٠) ، وشريح بن عبيد لم يدرك سعد بن أبي وقاص ، فهو منقطع .
(٢، ٣) في أ : « العمي » .

وقال البغوى : قرأ يعقوب : « ليُعلَم » بالضم ، أى : ليعلم الناس أن الرسل بُلّغوا .

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل ، وهو قول حكاه ابن الجوزى فى « زاد المسير» (١) . ويكون المعنى فى ذلك : أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما يُنزّل إليهم من الوحى ؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ** ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، وكقوله : ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ** ﴾ [العنكبوت: ١١]، إلى أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ؛ولهذا قال بعد هذا : ﴿ **وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ .

(١) زاد المسير (٨/ ٣٨٦) .

تفسير سورة الجن

وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ
صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن
لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يخبر قومه : إن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالىٰ : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدي إلىٰ الرشد** ﴾ ، أي : إلىٰ السداد والنجاح ، ﴿ **فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا** ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن** ﴾ . وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادتها هاهنا .

وقوله : ﴿ **وأنه تعالىٰ جد ربنا** ﴾ : قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **جد ربنا** ﴾ ، أي : فعلُه وأمره وقدرته . وقال الضحاك عن ابن عباس : جد اللَّه : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه . وروي عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالىٰ جلاله وعظمته وأمره . وقال السدي : تعالىٰ أمر ربنا . وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضًا وابن جريج : تعالىٰ ذكره . وقال سعيد بن جبير : ﴿ **تعالىٰ جد ربنا** ﴾ أي : تعالىٰ ربنا .

فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن[١] عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد أب ، ولو علمت الجن أن في الإنس[٢] جدًّا[٣] ما قالوا : ﴿ **تعالىٰ جَدّ ربنا** ﴾ .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ، ولعله قد سقط شيء ، واللَّه أعلم .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - في ز : الأرض .
[٣] - في ز : جد .

وقوله : ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا ﴾ ، أي : تعالىٰ عن اتخاذ الصاحبة والأولاد [أي : قالت][١] الجن : تنزه الرب تعالىٰ جلاله وعظمته حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

ثم قالوا : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا علىٰ الله شططًا ﴾ ، قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي : ﴿ سفيهنا ﴾ يعنون إبليس ﴿ شططًا ﴾ ، قال السدي : عن أبي[٢] مالك : ﴿ شططًا ﴾ ، أي : جورًا . وقال ابن زيد : ظلمًا كبيرًا[٣].

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم ﴿ سفيهنا ﴾ : اسم جنس لكل من زعم أن للّٰه صاحبة أو ولدًا ، ولهذا قالوا : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا ﴾ ، أي : قبل إسلامه ﴿ علىٰ الله شططًا ﴾ ، أي : باطلًا وزورًا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن علىٰ الله كذبًا ﴾ ، أي : ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون علىٰ الكذب علىٰ اللّٰه في نسبة الصاحبة والولد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به ، علمنا أنهم كانوا يكذبون علىٰ اللّٰه في ذلك .

وقوله : ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا﴾ أي : كنا نرى أن لنا فضلًا علىٰ الإنس ، لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أي : إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ، أن يصيبهم بشيء[٤] يسوؤهم ، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿ زادوهم رهقًا ﴾ ، أي : خوفًا وإرهابًا وذعرًا ، حتىٰ تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ فزادوهم رهقًا ﴾ ، أي : إثمًا ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة .

وقال الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ فزادوهم رهقًا ﴾ ، أي : ازدادت الجن عليهم جرأة . وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي ، قال : فإذا عاذ بهم من دون اللّٰه ، رَهَقتهم الجنّ الأذىٰ عند ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد [ ][٥] يحيىٰ بن سعيد القطان ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، حدثنا الزبير بن الخرّيت[٦] ، عن عكرمة قال : كان الجن يَفْرَقُون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : نعوذ [بسيد أهل][٧] هذا الوادي . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز : ابن .
[٣] - في خ : كثيرًا .
[٤] - في ز : شيء .
[٥] - في ز ، خ : ابن .
[٦] - في ز ، خ : حرب .
[٧] - في ز ، خ : بأهل .

الإِنس فأصابوهم بالخَبَل والجنون ، فذلك قول اللّٰه : ﴿ **وأنه كان رجال من الإِنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : ﴿ **رهقًا** ﴾ ، أي : خوفًا . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **فزادوهم رهقًا** ﴾ ، أي : إثمًا . وكذا قال قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانًا .

وقال ابن أبي حاتم (١) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي ، حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني[١] - عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كَردم بن أبي السائب الأنصاري قال : خرجت مع أبي من المدينة في حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بمكة ، فآوانا المبيت إلىٰ راعي غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَملا من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي، جارك. فنادى مناد [لا نراه، يقول:][٢] يا سرحان، أرسله. فأتىٰ الحمل يشتد، حتىٰ دخل في الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل اللّٰه تعالىٰ علىٰ رسوله بمكة : ﴿ **وأنه كان رجال من الإِنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ .

ثم قال : ورُوي عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل - وهو ولد الشاة - كان جنيًّا حتىٰ يُرهب الإِنسي ويخاف منه ، ثم رَدّه عليه لما استجار به ، ليضله ويهينه ، ويخرجه عن دينه ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث اللّٰه أحدًا** ﴾ أي: لن يبعث اللّٰه [ ][٣] بعد هذه المدة رسولًا . قاله الكلبي ، وابن جرير .

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالىٰ عن الجن حين بعث اللّٰه رسوله محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وأنزل عليه القرآن ، وكان من[٤] حفظه له أن السماء مُلِئَت حرسًا شديدًا ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت

(١) **ضعيف** ، أخرجه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (١٠١/١) في ترجمة إسحاق بن الحارث الكوفي . والطبراني (١٩١/١٩ - ١٩٢) (٤٣٠) . وأبو الشيخ في « العظمة » (١٦٦٤/٥ - ١٦٦٦) (١١٠٥) . كلهم من طريق القاسم بن مالك ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كردم بن أبي السائب=

[١] - في ز ، خ : المدني .
[٢] - في خ : يقول وهو لا يراه .
[٣] - في ز : أحدًا أي لن يبعث .
[٤] - في ز ، خ : في .

الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك ، لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن فيلقوه علىٰ ألسنة الكهنة ، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرىٰ من الصادق ، و[١] هذا من لطف الله بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ؛ ولهذا قالت الجن : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا** ﴾ ، [أي : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا][٢] له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يمحقه ويهلكه ، ﴿ **وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ ، أي : ما ندري[٣] هذا الأمر الذي قد حدث في السماء ، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدًا ؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلىٰ غير فاعل ، والخير أضافوه إلىٰ الله عز وجل .

وقد ورد في الصحيح(٢) : « **والشر ليس إليك** » . وقد كانت الكواكب يُرمىٰ بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان ، كما في حديث [ابن عباس][٤] (٣) : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا رمي بنجم فاستنار ، فقال : « **ما كنتم تقولون في هذا ؟** » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « **ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضىٰ الأمر في السماء ...** » . وذكر تمام الحديث .

وقد أوردناه في « **سورة سبأ** » بتمامه . وهذا هو السبب الذي حَمَلهم علىٰ تطلب السبب في ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فوجدوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذي حُفظت من أجله السماء ، فآمن من آمن منهم ، وتمرد في طغيانه من بقي ، كما تقدم في[٥] حديث ابن عباس في ذلك ، عند قوله في « **سورة الأحقاف** » : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ...** ﴾ . الآية ،

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها ، هال ذلك الإنس والجن، وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم ، كما قال السدي : لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل

= فذكره ، قال ابن عدي : إسحاق بن الحارث الكوفي ، قال البخاري يتكلمون فيه ، وفيه نظر . قال : وضعف أحمدُ عبدَ الرحمن بن إسحاق . اهـ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣٢/٧) : وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي وهو ضعيف .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، حديث (٧٧١/٢٠١) (٨٢/٦ - ٨٦) .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية : ٢٣.

---

[١] - في ز ، خ : وكان .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : تدرون .

[٤] - في ز ، خ : العباس .

[٥] - سقط من ز .

محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر ، فلما بعث اللّٰه محمدًا نبيًّا ، رُجموا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ؛ لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف ، أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلىٰ معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة - يعني محمدًا صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين في تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها . فأتوه فشمَّ فقال : صاحبكم بمكة . فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قائمًا يصلي في المسجد الحرام يقرأ[١] القرآن ، فدنوا[٢] منه حرصًا علىٰ القرآن حتىٰ كادت كَلاكِلهم تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل اللّٰه تعالىٰ أمرهم علىٰ نبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من[٣] كتاب السيرة المطول ، واللّٰه أعلم ، وللّٰه الحمد والمنة .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ
ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ
بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ
فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا
﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن
يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك** ﴾ [أي : غير ذلك][٤] ﴿ **كنا طرائق قددًا** ﴾ ، أي : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : ﴿ **كنا طرائق قِدَدًا** ﴾ أي : منا المؤمن ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النَّجاد في أماليه : حدثنا أسلم بن سَهل بحشل حدثنا عليّ بن

[١] - في ز : يقرأن .
[٢] - في خ : فقدموا .
[٣] - في ز ، خ : في .
[٤] - سقط من ز ، خ .

الحسن[١] بن سليمان - وهو أبو الشعثاء الحضرمي ، شيخ مسلم - ، حدثنا أبو معاوية قال : سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جني ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز . قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرىٰ اللقم ترفع ولا أرىٰ أحدًا . فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم . قلت : فما الرافضة فيكم ؟ قال : شرنا . عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش .

وذكر الحافظ ابن عساكر(٤) في ترجمة العباس بن[٢] أحمد الدمشقي قال : سمعتُ بعض الجنّ ، [وأنا في منزلي][٣] بالليل ينشد :

قُلوبٌ بَراها الحبّ حَتىٰ تعلّقت مَذَاهِبُها في كُلّ غَرب وشَارِقِ
تَهيم بحب اللّه ، واللّه رَبُّها مُـعَـلّـقـة بـالـلّـه دُونَ الخَلائـقِ

وقوله : ﴿ **وأنا ظننا أن لن نعجز اللّه في الأرض ولن نعجزه هربًا** ﴾ ، أي : نعلم أن قدرة اللّه حاكمة علينا ، وأنا لا نعجزه في الأرض ، ولو أمعنا في الهرب ، فإنه علينا قادر ، لا يعجزه أحد منا .

﴿ **وأنا لما سمعنا الهدىٰ آمنا به** ﴾ : يفتخرون بذلك ، وهو مفخرٌ لهم ، وشرفٌ رفيعٌ ، وصفةٌ حسنةٌ .

وقولهم : ﴿ **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما : فلا يخاف أن يُنقَص من حسناته ، أو يحمل عليه غير[٤] سيئاته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا** ﴾ .

﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون** ﴾ ، أي : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق الناكب عنه ، بخلاف المقسط فإنه العادل ، ﴿ **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا** ﴾ ، أي : طلبوا[٥] لأنفسهم النجاة . ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا** ﴾ أي : وقودًا تُسعر بهم .

وقوله : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة لأسقيناهم ماء غدقًا * لنفتنهم فيه** ﴾ : اختلف المفسرون في معنىٰ هذا علىٰ قولين :

أحدِهما : وأن لو استقام القاسطون علىٰ طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ،

---

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/٨٨٧ مخطوط) .

---

[١] - في ز ، خ : الحسين .
[٢] - في ز : أن .
[٣] - في ز ، خ : زارنا في منزل .
[٤] - في ز : عن .
[٥] - في ز : ظنوا .

﴿ **لأسقيناهم ماء غدقًا** ﴾ ، أي : كثيرًا . والمراد بذلك سَعَة الرزق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ ، وكقوله : ﴿**ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض**﴾ . وعلىٰ هذا يكون معنىٰ قوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، أي : لنختبرهم ، كما قال مالك : عن زيد ابن أسلم : ﴿ **لنفتنهم** ﴾ : لنبتليهم ، مَن يستمر علىٰ الهداية ممن يرتد إلىٰ الغواية ؟

ذكر من قال بهذا القول

قال العوفي عن ابن عباس : ﴿**وألو استقاموا على الطريقة**﴾ : يعني بالاستقامة : الطاعة . وقال مجاهد : ﴿ **وألو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، قال : الإسلام . وكذا قال سعيد بن جُبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدي ، ومحمد بن كعب القرظي .

وقال قتادة : ﴿**وألو استقاموا على الطريقة**﴾ يقول : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا .

وقال مجاهد : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، أي : طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد علىٰ ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، أي : لنبتليهم به . وقال مقاتل[١]: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين .

والقول الثاني : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ : الضلالة ﴿ **لأسقيناهم ماء غدقًا** ﴾ ، أي : لأوسعنا عليهم في الرزق استدراجًا ، كما قال : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ . وكقوله : ﴿**أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون**﴾ وهذا قول أبي مِجْلز لاحق بن حُميد ، فإنه قال في قوله : ﴿ **وألّو استقاموا علىٰ الطريقة** ﴾ ، أي : طريقة الضلالة . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبي ، وابن كيسان . وله[٢] اتجاه ، ويتأيد بقوله : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ .

وقوله : ﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه[٣] عذابًا صعدًا** ﴾ ، أي : عذابًا شاقًّا[٤] شديدًا موجعًا مؤلمًا . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿**عذابًا صعدًا**﴾ أي : مشقة لا راحة معها . وعن ابن عباس : جبل في جهنم ، وعن سعيد بن جبير : بئر[٥] فيها .

---

[١] - في خ : مجاهد .
[٢] - في ز : لا .
[٣] - في ز : نسلكه .
[٤] - في ز : مشقا .
[٥] - سقط من ز .

وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ
أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ
جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ
نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده أن يُوحّدوه في محال عبادته ، ولا يدْعىٰ معه أحد ولا يشرك به ، كما قال قتادة في قوله : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ ، قال : كانت اليهود والنصارىٰ إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ، أشركوا باللّٰه ، فأمر اللّٰه نبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أن يوحدوه وحده .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر علي بن الحسين : حدثنا إسماعيل ابن بنت السدي ، أخبرنا رجل سماه ، عن السدي ، عن أبي مالك - أو : أبي صالح - ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ ، قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إليا : بيت المقدس . وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول اللّٰه ، ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ ، يقول : صلوا ، و[١] لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير(٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن محمود [٢] ، عن سعيد بن جبير : ﴿ **وأن المساجد للّٰه** ﴾ قال : قالت الجن لنبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : كيف لنا أن نأتي المسجد [ونحن ناءون ؟ وكيف نشهد الصلاة][٣]ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت : ﴿ **وأن المساجد للّٰه فلا تدعوا مع اللّٰه أحدًا** ﴾ .

وقال سفيان عن خُصيف عن عكرمة : نزلت في المساجد كلها .

---

(٥) أخرجه الطبري (١١٧/٢٩) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : محمول .

[٣] - سقط من خ .

[قال سعيد بن جبير : نزلت في أعضاء السجود ، أي : هي لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد الله بن طاووس عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) : « **أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين** » .][١]

وقوله : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال العوفي(٧) : عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾ ، يستمعون القرآن .

هذا قوله[٢]، وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وقال ابن جرير (٨) : حدثني محمد بن معمر ، حدثنا [أبو مسلم][٣] ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : ﴿ **لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال : لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قال : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : ﴿ **لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ . وهذا قول ثان ، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضًا . وقال الحسن(٩) : [لما قام][٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **لا إله إلا الله** » ، ويدعو الناس إلى ربهم ، كادت العرب تَلَبَّد عليه جميعًا . وقال قتادة(١٠) في قوله : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، قال : تَلَبَّدت[٥] الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويُمضيه ويظهره على من ناوأه .

---

(٦) أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : السجود على الأنف ، حديث (٨١٢) (٢/٢٩٧) ، ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب ....، حديث (٤٩٠/٢٣٠) (٤/٢٧٦) .

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/١١٨) .

(٨) أخرجه الطبري (٢٩/١١٨) .

(٩) أخرجه الطبري (٢٩/١١٩) .

(١٠) أخرجه الطبري (٢٩/١١٨) .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز : قول .

[٣] - في ز ، خ : ابن هشام .

[٤] - في ز : فأقام .

[٥] - في ز ، خ : يلبدون .

وهذا قول ثالث ، وهو مَروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختيار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : ﴿ **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا** ﴾ ، أي : قال لهم الرسول ، لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ، ليبطلوا ما جاء به من الحق ، واجتمعوا علىٰ عداوته : ﴿ **إنما أدعو ربي** ﴾ ، أي : إنما أعبد ربي وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه ، ﴿ **ولا أشرك به أحدًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا** ﴾ ، أي : إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي وعبد من عباد الله ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع في ذلك كله إلىٰ الله - عز وجل - .

ثم أخبر عن نفسه أيضًا أنه لا يجيره من الله أحد ، أي : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد علىٰ إنقاذي من عذابه ، ﴿ **ولن أجد من دونه ملتحدًا** ﴾ ، [قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : لا ملجأ . وقال قتادة أيضًا : ﴿ **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا** ﴾ ،][١] أي : لا نصير ولا ملجأ . وفي رواية : لا وليّ ولا مَوْئِلَ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا بلاغًا من الله ورسالاته** ﴾ ، قال بعضهم : هو مستثنى من قوله : ﴿ **لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا... إلا بلاغًا** ﴾ ، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله : ﴿ **لن يجيرني من الله أحد** ﴾ ، أي : لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا** ﴾ أي : إنما أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء علىٰ ذلك نارُ جهنم خالدين فيها أبدًا ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا** ﴾ ، أي : حتىٰ إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة ، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا ، هم أم المؤمنون الموحدون لله- عز وجل - أي : بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عددًا من جنود الله عز وجل .

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ

[١] - سقط من ز ، خ .

يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد، **﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدًا ﴾**، أي: مدة طويلة.

وفي هذه الآية الكريمة دليل علىٰ أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه - عليه السلام - لا يؤلّف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب. وقد كان صلىٰ اللَّه عليه وسلم يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدىٰ له جبريل في صورة أعرابي، كان فيما سأله أن قال له[1]: يا محمد، فأخبرني عن الساعة؟ قال: « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** »(١١). ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جَهوريّ فقال: يا محمد، متىٰ الساعة؟ قال: « **ويحك! إنها كائنة، فما أعددت لها؟** » قال: أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب اللَّه ورسوله. قال: « **فأنت مع من أحببت** ».

قال أنس: فَمَا فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث(١٢).

وقال ابن أبي حاتم(١٣): حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مصفّىٰ، حدثنا محمد بن حمير[2]، حدثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخُدْريّ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: « **يابني آدم، إن كنتم تعقلون[3] فعدوا أنفسكم من الموتىٰ، والذي نفسي بيده، إنما توعدون لآت**.

(١١) تقدم تخريجه في سورة الأعراف، آية ١٨٧.

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في اللَّه، حديث (٦١٧١) (١٠/٥٥٧)، وطرفه في [٧١٥٣]. ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، حديث (١٦١ - ٢٦٣٩/١٦٤) (١٦/٢٨٥ - ٢٨٨). كلاهما من حديث أنس بنحو هذا اللفظ من طريق سالم بن أبي الجعد دون قول أنس. وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء أن المرء مع من أحب، حديث (٢٣٨٦) (٧/١١٦ - ١١٧). وأحمد (٣/ ١٠٤) (١٢٠٣١)، كلاهما من طريق حميد عن أنس بنحو حديث البخاري ومسلم وفيه إيراد قول أنس.

(١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص ٢٨ - ٢٩) حديث (٦). وأبو نعيم في الحلية (٦/٩١). والبيهقي في « شعب » الإيمان (٧/٣٥٥) (١٠٥٦٤) كلهم من حديث أبي سعيد. قال أبو نعيم: غريب من حديث عطاء وأبي بكر، تفرد به محمد. =

[١] - سقط من ت.
[٢] - في ز: جبير.
[٣] - في ز: تعلمون.

وقد قال أبو داود(١٤) في آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسىٰ بن سهل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عبدالرحمن بن جُبَير ، عن أبيه ، عن أبي ثَعلبة الخُشني قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لن يعجز**[١] **الله هذه الأمة**[٢] **من نصف يوم** » . انفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود(١٥) : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثني صفوان ، عن شُريح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- أنه قال : « **إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم** » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود .

وقوله : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾ ، هذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه علىٰ شيء من علمه إلا مما[٣] أطلعه تعالىٰ عليه ، ولهذا قال : ﴿ **فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري .

ثم قال : ﴿ **فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، أي [٤]: يَخْتَصّه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله . ويساوقونه علىٰ ما معه من وحي الله ؛ ولهذا قال : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله : ﴿ **ليعلم** ﴾ : إلىٰ من يعود ؟ فقيل : إنه عائد علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

قال ابن جرير(١٦) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّي[٥] ، عن جعفر ، عن سعيد بن

= وقال في تخريج أحاديث الإحياء (٢٤٨٢/٦) (٣٩٠٥) : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بسند ضعيف .

(١٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب : قيام الساعة ، حديث (٤٣٤٩) (١٢٥/٤) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٤٣) .

(١٥) أخرجه أبو داود في الموضع السابق حديث (٤٣٥٠) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٥٦) .

(١٦) أخرجه الطبري (١٢٣/٢٩) بهذا الإسناد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به .

---

[١] - في ز : نعجز .
[٢] - في ز : الآية .
[٣] - في ز : بما .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : القيمي .

جبير في قوله : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، ﴿ **ليعلم** ﴾ محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ﴿ **أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي[١] ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدي ، ويزيد بن أبي حبيب . وقال عبدالرزاق عن معمر ، عن قتادة : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ ، قال : ليعلم نبي اللّٰه أن الرسل قد بلغت عن اللّٰه ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت[٢] عنها[٣] .

وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير . وقيل غير ذلك ، كما رواه العَوفي عن ابن عباس(١٧) في قوله : ﴿ **إلا من ارتضىٰ من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾ ، قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي من الشيطان ، حتىٰ يتبين الذي[٤] أرسل به[٥] إليهم ، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وكذا قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ ، قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفي هذا نظر .

وقال البغوي : قرأ يعقوب : ﴿ **لِيُعْلَم** ﴾ بالضم ، أي : ليعلم الناس أن الرسل قد بَلَّغُوا .

ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا إلىٰ اللّٰه - عز وجل - وهو قول حكاه ابن الجوزي في « **زاد المسير** » ويكون المعنىٰ في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ؛ ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما يُنزّ إليهم من الوحي ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب علىٰ عقبيه** ﴾ وكقوله : ﴿ **وليعلمن[٦] اللّٰه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** ﴾ ، إلىٰ أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالىٰ يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالة ولهذا قال بعد هذا : ﴿ **وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ .

آخر تفسير سورة الجن ، وللّٰه الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

(١٧) أخرجه الطبري (٢٩/١٢٢) .

[١] - في خ : القيمي .
[٢] - في ز : ودفعتها .
[٣] - في خ : عن الله .
[٤] - في ز ، خ : الذين .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : وليعلم .

سورة الجنّ

مكّيّة، وهي ثمان وعشرون آيةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥﴾

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وقُرئ: "أُحِيَ"[1] أصله وُحِيَ، وقد قُرئ كذلك،[2] مِن "وَحَى إليه"، فقُلبت "الواو" المضمومة همزة كـ"أُعِد" و"أُزِن" في "وُعِد" و"وُزِن". ﴿أَنَّهُ﴾ بالفتح لأنّه فاعل ﴿أُوحِيَ﴾، والضمير للشأن. ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾ أي: القرآن كما ذُكر في "الأحقاف"[3] وقد حُذف لدلالة ما بعده عليه. ﴿نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ النفرُ ما بين الثلاثة والعشرة، والجنّ: أجسام عاقلة خفيّة يغلب عليهم الناريّة أو الهوائيّة. وقيل: نوع مِن الأرواح المجرّدة. وقيل: هي النفوس البشريّة المفارقة عن أبدانها.[4] وفيه دلالة على أنّه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم، وإنّما اتّفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك، وقد مرّ ما فيه مِن التفصيل في "الأحقاف".[5]

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم عند رجوعهم إليهم ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا﴾ كتابًا مقروًا ﴿عَجَبٗا﴾ بديعًا مُباينًا لكلام الناس في حُسن النظم ودِقّة المعنى، وهو مصدر وُصف به للمبالغة.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة وجُؤيّة بن عائذ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة والعتكي عن أبي عمرو. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

٣ في الآية التاسعة والعشرين منها.

٤ القولان في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٥٤/٣.

٥ في تفسير الآية التاسعة والعشرين منها.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحقّ والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بذلك القرآن ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ حسبما نطق به ما فيه مِن دلائل التوحيد.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ بالفتح، قالوا: هو وما بعده مِن الجُمل المصدّرة بأنّ في أحدَ عشرَ موضعًا عطفٌ على محلّ الجارّ والمجرور في ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، كأنّه قيل: فصدّقناه وصدّقنا أنّه تعالى جَدُّ ربّنا، أي: ارتفع عظمته، مِن "جَدّ فلان في عيني"، أي: عظُم تمكُّنه أو سلطانه أو غِناه، على أنّه مستعار مِن الجَدّ الذي هو البَخْت، والمعنى وَصْفُه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغِناه. وقُرئ بالكسر،[1] وكذا الجمل المذكورة عطفًا على المحكيّ بعد القول.[2] وهو الأظهرُ لوضوح اندراج كلّها تحت القول، وأمّا اندراج الجُمل الآتية تحت الإيمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محلّ الجارّ والمجرور، ففيه إشكال، كما ستُحيط به خُبرًا.

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لحُكم تعالِي جدِّه. وقُرئ:
[٢٣٢و] "جَدًّا رَبُّنَا"[3] على التميز و"جِدُّ رَبِّنَا"[4] / بالكسر، أي: صِدق ربوبيّته وحقّ إلهيّته عن اتّخاذ الصاحبة والولد، وذلك أنّهم لمّا سمعوا القرآن ووُفّقوا للتوحيد والإيمان تنبّهوا للخطأ فيما اعتقده كفَرة الجنّ مِن تشبيه الله تعالى بخَلْقه في اتّخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزّهوه تعالى عنه.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ أي: إبليسُ أو مَرَدة الجنّ ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: قولًا ذا شَطَط، أي: بُعدٍ عن القَصْد ومُجاوزةٍ للحدّ، أو هو شطَط في نفسه لفَرْط بُعده عن الحقّ، وهو نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى، وتعلُّق الإيمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه، فإنّهم كانوا عالمين بقول سفهائهم مِن قبلُ أيضًا؛ بل باعتبار كونه شطَطًا كأنّه قيل: وصدّقنا أنّ ما كان يقوله سفيهنا في حقّه تعالى كان شطَطًا.

---

[1] قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢.

[2] انظر تفصيله في النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢-٣٩٢.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة وزيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

وأمّا تعلّقهما بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فغيرُ ظاهر، وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم، أي: كنّا نظنّ أنّه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدًا، ولذلك اتّبعنا قوله. و﴿كَذِبًا﴾ مصدر مؤكِّد لـ﴿تَقُولَ﴾ لأنّه نوع مِن القول أو وصفٌ لمصدره المحذوف، أي: قولًا كذبًا، أي: مكذوبًا فيه. وقُرئ: "لَنْ تَقَوَّلَ"[1] بحذف إحدى التاءين فـ﴿كَذِبًا﴾ مصدر مؤكِّد له؛ لأنّ الكذب هو التقوّل.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ كان الرجل مِن العرب إذا أمسى في وادٍ قَفْر وخاف على نفسه يقول: أعوذ بسيّد هذا الوادي مِن سفهاء قومه، يريد الجنّ وكبيرهم، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سُدنا الإنسَ والجنّ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الرجال العائذون الجنَّ ﴿رَهَقًا﴾ أي: تكبّرًا وعُتوًّا، أو فزاد الجنُّ العائذين غيًّا بأن أضلّوهم حتّى استعاذوا بهم.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: الإنس ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيّها الجنّ على أنّه كلام بعضهم لبعض ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾. وقيل: المعنى أنّ الجنّ ظنّوا كما ظننتُم أيّها الكفرة... إلخ، فيكون هذه الآية وما قبلها مِن جملة الكلام المُوحى به.[2] والأقربُ أنّهما كذلك على كلّ تقدير عطفًا على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾؛ إذ لا معنى لإدراجهما تحت ما ذُكر مِن الإيمان والتصديق.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ وما بعده مِن الجمل المصدَّرة بـ﴿أَنَّا﴾ ينبغي أن تكون معطوفةً على ذلك، على أنّ المُوحى عين عبارة الجنّ بطريق الحكاية، كأنّه قيل: قل أوحيَ إليّ كيت وكيت وهذه العبارات، أي:

---

[1] قرأ بها يعقوب. النشر لابن الجزري، ٣٩٢/٢. [2] الكلام بمعناه في الكشّاف للزمخشري، ٤٧١/٤.

[٢٣٢ظ] طلبنا بلوغ السماء أو خبرها. واللَّمس مستعار مِن المَسّ / للطلب كـ"الجَسّ". يقال: "لمسَه والتمسه وتلمَّسه" كـ"طلَبه واطّلبه وتطلّبه".

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ أي: حرّاسًا اسم جَمْع كـ"خَدَم"، مفرد اللفظ، ولذلك قيل: ﴿شَدِيدًا﴾ قويًّا، وهم الملائكة يمنعونهم عنها، ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع "شِهاب"، وهي الشُّعلة المقتبَسة مِن نار الكواكب.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ قبل هذا ﴿مِنْهَا﴾ مِن السماء ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ خاليةً عن الحرَس والشُّهب، أو صالحةً للترصّد والاستماع، و﴿لِلسَّمْعِ﴾ متعلِّق بـ﴿نَقْعُدُ﴾، أي: لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لـ﴿مَقَٰعِدَ﴾، أي: مقاعدَ كائنةً للسمع. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ﴾ في مقعَد مِن المقاعد ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: شِهابًا راصدًا له ولأجله يصدّه عن الاستماع بالرَّجم، أو ذوي شِهاب راصدين له، على أنّه اسم مفرد في معنى الجمع كـ"الحَرَس".

قيل: حدَث هذا عند مَبعَث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والصحيحُ أنّه كان قبل البعث أيضًا، لكنّه كثُر الرجم بعد البعثة وزاد زيادةً حتّى تنبّه لها الإنس والجنّ، ومُنع الاستراق أصلًا، فقالوا: ما هذا إلّا لأمر أراده الله تعالى بأهل الأرض، وذلك قولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسة السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيرًا، ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشرّ مِن الآداب الشريفة القرآنيّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء، ٢٦/٨٠] ونظائرِه.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أي: الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة،

لا إلى الشرّ والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة. ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قوم دون ذلك، فحُذف الموصوف وهم المقتصِدون في صلاح الحال على الوجه المذكور، لا في الإيمان والتقوى كما تُوهِّم،[١] فإنّ هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن، كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، وأمّا حالهم بعد استماعه فسيُحكى بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾،[٢] أي: كنّا قبل هذا ذوي طرائق، أي: مذاهبَ، أو مثلَ طرائق في اختلاف الأحوال، أو كانت طرائقنا طرائقَ قِدَدًا، أي: متفرِّقةً مختلفةً جمع "قِدّة" مِن "قَدّ" كـ"القِطعة" مِن "قَطَع".

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: علِمنا الآن ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: أنّ الشأن لن نعجز الله كائنين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أينما كنّا مِن أقطارها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ هاربين منها إلى السماء، أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا ولن نعجزه هربًا / إن طلبَنا. [٢٣٣و]

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: القرآن الذي هو الهدى بعينه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ مِن غير تلعثُم وتردُّد ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ وبما أنزله ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف ﴿بَخْسًا﴾ أي: نقصًا في الجزاء ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ولا أن ترهَقه ذِلّة، أو جزاءَ بخسٍ ولا رَهَقٍ؛ إذ لم يبخس أحدًا حقًّا ولا رَهِق ظلم أحد، فلا يخاف جزاءهما. وفيه دلالة على أنّ مِن حقّ مَن آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم. وقُرئ: "فَلَا يَخَفْ"،[٣] والأوّل أدلّ على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن طريق الحقّ الذي هو الإيمان والطاعة، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى مَن أسلَم، والجمع باعتبار المعنى، ﴿تَحَرَّوْا۟﴾ توخّوا ﴿رَشَدًا﴾ عظيمًا يبلِّغهم إلى دار الثواب.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن سنَن الإسلام ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوقَد بهم كما تُوقَد بكفَرة الإنس.

---

[١] ما وقفت عليه فيما بين يديّ مِن المظانّ.

[٢] في الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن وثّاب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣.

﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ "أنْ" مخففة مِن الثقيلة، والجملة معطوفة قطعًا على ﴿أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ﴾،[1] والمعنى وأُوحيَ إليّ أنّ الشأن لو استقام الجنّ والإنس أو كلاهما ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ التي هي مِلّة الإسلام ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ أي: لوسّعنا عليهم الرزق، وتخصيصُ الماء الغَدَق -وهو الكثير- بالذِّكر، لأنّه أصل المعاش والسَّعة، ولعِزّة وجوده بين العرب. وقيل: لو استقام الجنّ على الطريقة المُثلى، أي: لو ثبت أبوهم الجانّ على ما كان عليه مِن عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبّر عن السجود لآدمَ عليه السلام ولم يكفرِ وتبِعه ولده في الإسلام لأنعمنا عليهم ووسّعنا رزقهم.[2]

﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه. وقيل: معناه أنّه لو استقام الجنّ على طريقتهم القديمة ولم يُسلِموا باستماع القرآن لوسّعنا عليهم الرزق استدراجًا لنُوقعهم في الفتنة ونعذّبهم في كفران النعمة.[3] ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه ﴿يَسۡلُكۡهُ﴾ يُدخله ﴿عَذَابٗا صَعَدٗا﴾ أي: شاقًّا صعبًا يعلو المعذَّب ويغلِبه، على أنّه مصدر وُصف به مبالغةً.

﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ۝١٩﴾

[٢٣٣ظ] / ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ عطفٌ على قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ﴾،[4] أي: وأُوحيَ إليّ أنّ المساجد مختصّة بالله تعالى. وقيل: معناه ولأنّ المساجد لله[5] ﴿فَلَا تَدۡعُواْ﴾ أي: لا تعبدوا فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ غيره. وقيل: المراد بـ﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾ المسجد الحرام، والجَمْعُ لأنّ كلّ ناحية منه مسجِد، له قبلة مخصوصة، أو لأنّه قبلة المساجد.[6] وقيل: الأرضُ كلّها؛ لأنّها جُعلت مسجدًا للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[7] وقيل:

---

١ في الآية الأولى مِن هذه السورة.
٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤.
٣ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤.
٤ في الآية الأولى مِن هذه السورة.
٥ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤.
٦ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٥؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٥٧.
٧ مرويّ عن الحسن في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٤٢؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤-٤٧٥.

مواضعُ السجود، على أنّ المراد نهي السجود لغير الله تعالى.[١] وقيل: أعضاءُ السجود السبعة. وقيل: السجدات، على أنّه جَمْع المصدر الميمي.[٢]

﴿وَأَنَّهُۥ﴾ مِن جملة المُوحى، أي: وأوحيَ إليّ أنّ الشأن ﴿لَّمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ أي: النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإيراده بلفظ العبد للإشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع؛ لأنّه واقع موقع كلامه عن نفسه. ﴿يَدۡعُوهُ﴾ حال مِن فاعل ﴿قَامَ﴾، أي: يعبده، وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة، كما مرّ تفصيله في "الأحقاف".[٣]

﴿كَادُواْ﴾ أي: الجنّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ متراكِمين مِن ازدحامهم عليه تعجُّبًا ممّا شاهدوا مِن عبادته وسمعوا مِن قراءته واقتداءِ أصحابه به قِيامًا وركوعًا وسجودًا؛ لأنّهم رأوا ما لم يروا مِثلَه وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره. وقيل: معناه لمّا قام عليه السلام يعبد الله وحدَه مخالِفًا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين. واللِّبد جمع لِبْدة: وهي ما تلبّد بعضه على بعض، ومنها لِبْدة الأسَد. وقُرِئ: "لُبَدًا"[٤] جمع "لُبْدة" وهي بمعنى اللِّبدة، و"لُبَّدًا"[٥] جمع "لابِد" كـ"ساجد" و"سُجَّد"، و"لُبُدًا"[٦] بضمّتين جمع "لَبُود" كـ"صَبور" و"صُبُر"، وعن قتادة: تلبَّدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلّا أن يُظهره على مَن ناوأه.[٧]

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ﴾ أي: أعبد ﴿رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ﴾[٨] بربّي في العبادة ﴿أَحَدٗا﴾ فليس ذلك ببِدع ولا مستنكَر يوجِب التعجّب أو الإطباق على عداوتي. وقُرِئ:

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٥٧/٣.

٢ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٥/٤.

٣ في تفسير الآية التاسعة والعشرين منها.

٤ قرأ بها هشام بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٩٢/٢.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدريّ والحسن وابن محيصن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٩؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٤٣.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٩.

٧ مَرويّ عن الحسن وقتادة وابن زيد في جامع البيان للطبري، ٣٤٤/٢٣-٣٤٥؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٤٣/٨؛ وعن قتادة في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٥/٤.

٨ م س - به

"قَالَ"،[١] على أنّه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكِمين عليه.[٢] والأوّل هو الأظهر والأوفَق لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ كأنّه أريدَ: لا أملِك ضرًّا ولا نفعًا ولا غيًّا ولا رَشدًا، فتُرك مِن كلا المتقابلَين ما ذُكر في الآخر.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ مُلتجَأ ومَعدِلًا، هذا بيان لعجزه عليه السلام / عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شئون غيره. [٢٣٤و]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء مِن قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ فإنّ التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّد لنفي الاستطاعة أو مِن ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن أجد مِن دونه مَنجًى إلّا أن أبلّغ عنه ما أرسلني به، وقيل: ﴿إِلَّا﴾ مركّبة مِن "إن" الشرطيّة و"لا" النافية، ومعناه: "إنْ لا أبلّغ بلاغًا مِن الله"، والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه.[٣] ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطفٌ على ﴿بَلَٰغًا﴾، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صفته لا صلته، أي: لا أملك لكم إلّا تبليغًا كائنًا منه تعالى ورسالاتِه التي أرسلني بها.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالتوحيد، إذ الكلام فيه، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقُرئ بفتح "الهمزة"[٤] على "فحقُّه" أو "فجزاؤه أنّ له نار جهنّم". ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ في النار أو في جهنّم، والجمع باعتبار المعنى. ﴿أَبَدًا﴾ بلا نهاية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

---

١ قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي ويعقوب وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٢.

٢ الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٦.

٣ القول بإيجاز في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٦؛ وهو مع ذِكر تقدير الجواب في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٥٧.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة وزيد بن عليّ وعيسى بن عمر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٩.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية لمحذوف يدلّ عليه الحال مِن استضعاف الكفّار لأنصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده، كأنّه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتّى إذا رأوا ما يوعدون مِن فنون العذاب في الآخرة ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾.[1] وحَمْلُ ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ على ما رأوه يوم بدر،[2] يأباه قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾؛ فإنّه ردّ لِما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكارًا له واستهزاءً به، فقيل: قل إنّه كائن لا محالةَ، وأمّا وقته فما أدري متى يكون.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بالرفع، قيل: هو بدل مِن ﴿رَبِّيٓ﴾، أو بيان له،[3] ويأباه "الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ إذ يكون النظم حينئذ: أم يجعل له عالمُ الغيب أمدًا فلا يُظهِر عليه أحدًا. وفيه مِن الاختلال ما لا يخفى. فهو خبر مبتدأ محذوف، / أي: هو عالم الغيب.[4] والجملة استئناف مقرِّر لِما قبله مِن عدم الدِّراية، و"الفاء" لترتيب عدم الإظهار على تفرُّده تعالى بعِلم الغيب على الإطلاق، أي: فلا يُطلِع على غَيبه إطلاعًا كاملًا ينكشف به جليّةُ الحال انكشافًا تامًّا موجِبًا لعين اليقين أحدًا مِن خَلقه. [٢٣٤ظ]

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ أي: إلّا رسولًا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلِّقة برسالته كما يُعرِب عنه بيانُ مَن ارتضى بالرسول تعلُّقًا ما، إمّا لكونه مِن مبادي رسالته بأن يكون معجزةً دالّةً على صحّتها، وإمّا لكونه مِن أركانها وأحكامها، كعامّة التكاليف الشرعيّة التي أُمِر بها المكلَّفون، وكيفيّاتِ أعمالهم وأجزِيتها المترتِّبة عليها في الآخرة، وما تتوقَّف هي عليه مِن أحوال الآخرة التي مِن جملتها قيامُ الساعة والبعث وغيرُ ذلك مِن الأمور الغيبيّة التي بيانها مِن وظائف الرسالة. وأمّا ما لا يتعلّق بها على أحد الوجهين مِن الغيوب

---

[1] الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٦-٤٧٧.
[2] حمله على ذلك الزمخشري في الكشّاف، ٤/٤٧٦.
[3] الوجهان في اللباب لابن عادل، ١٩/٤٤٢.
[4] وهو ثالث الوجوه المذكورة في اللباب لابن عادل، ١٩/٤٤٢.

التي مِن جملتها وقتُ قيام الساعة، فلا يُظهِر عليه أحدًا أبدًا، على أنّ بيان وقتِه مُخِلّ بالحكمة التشريعيّة التي عليها يدور فلَك الرسالة.

وليس فيه ما يدلّ على نفي كراماتِ الأولياء المتعلِّقة بالكشف،[١] فإنّ اختصاص الغاية القاصية مِن مراتب الكشفِ بالرسل لا يستلزم عدمَ حصول مرتبةٍ ما مِن تلك المراتب لغيرهم أصلًا، ولا يدّعي أحد لأحد مِن الأولياء ما في رُتبة الرسل عليهم السلام مِن الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد مِن الاستثناء وبيانٌ لكيفيّته، أي: فإنّه تعالى يسلك مِن جميع جوانب الرسول عند إظهاره على غيبه حرَسًا مِن الملائكة يُحرسونه مِن تعرُّض الشياطين لِما أظهره عليه مِن الغيوب المتعلِّقة برسالته.

[٢٣٥و] وقوله تعالى: / ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ متعلِّق بـ﴿يَسۡلُكُ﴾، غايةٌ له مِن حيث إنّه مترتِّب على الإبلاغ المترتِّب عليه؛ إذ المراد به العِلم المتعلِّق بالإبلاغ الموجود بالفعل. و"أنْ" مخفَّفة مِن الثقيلة، واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف، والجملة خبرها. و﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ عبارة عن الغيب الذي أُريدَ إظهار المرتضى عليه، والجمع باعتبار تعدُّد أفراده.

وضمير ﴿أَبۡلَغُواْ﴾ إمّا لـ"الرصَد" فالمعنى أنّه تعالى يسلُكهم مِن جميع جوانب المرتضى ليعلم أنّ الشأن قد أبلغوه رسالات ربّهم سالمةً عن الاختطاف والتخليط عِلمًا مستتبعًا للجزاء، وهو أن يعلمه موجودًا حاصلًا بالفعل، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد، ٣١/٤٧]. والغايةُ في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد، وإيرادُ عِلمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحثّ عليهما والتحذير عن التفريط فيهما. وإمّا لـ﴿مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾،[٢] والجمع باعتبار معنى ﴿مَن﴾ كما أنّ الإفراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظهما

---

١ على ما ذهب إليه الزمخشري في الكشّاف، ٤٧٧/٤؛ وردّه البيضاوي في أنوار التنزيل، ٤٥٨/٣، بأنّ كراماتِ الأولياء عن المغيّبات تكون بتوسّط الأنبياء.

٢ السياق: إمّا لـ"الرصَد"... وإمّا لـ﴿مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾...

فالمعنى ليعلم أنّه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربّهم إلى أممهم كما هي مِن غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصَد إليهم كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما عند الرصَد أو الرسل عليهم السّلام، حالٌ مِن فاعل ﴿يَسْلُكُ﴾ بإضمار "قد" أو بدونه على الخِلاف المشهور،[1] جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العِلم بالإبلاغ عمّا ذُكر مِن سَلْك الرَّصَد على الوجه المذكور، أي: يسلكهم بين يديه ومِن خلفه ليترتَّب عليه عِلمه تعالى بما ذُكر، والحال أنّه تعالى قد أحاط بما لديهم مِن الأحوال جميعًا.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ممّا كان وما سيكون ﴿عَدَدًا﴾ أي: فردًا فردًا، وهو تمييز منقول مِن المفعول به، كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر، ١٢/٥٤]. والأصل أحصى عدد كلّ شيء. وقيل: هو حال، أي: معدودًا محصورًا، أو مصدر بمعنى "إحصاءً".[2]

وأيًا ما كان ففائدته بيان أنّ عِلمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلّي إجمالي؛ بل على وجه جزئي تفصيلي، فإنّ الإحصاء قد يُراد به الإحاطة الإجماليّة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم، ٣٤/١٤] / أي: لا تقدروا على حصرها إجمالًا فضلًا عن التفصيل، وذلك لأنّ أصل [٢٣٥ظ] الإحصاء أنّ الحاسب إذا بلغ عَقدًا معيَّنًا مِن عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضَع حصاةً ليحفظ بها كمّيّةَ ذلك العقد، فيبني على ذلك حسابه هذا.

وأمّا ما قيل: مِن أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾... إلى آخره، معطوفٌ على مقدَّر يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾، كأنّه قيل: قد عَلِم ذلك و﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾... إلخ،[3] فبمَعزِل مِن السَّداد.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة الجنّ كان له بعدد كلّ جنّيّ صدّق محمّدًا وكذّب به عِتقُ رقبة».[4]

---

[1] انظر تفصيل المسألة في الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، ٢٥٢/١-٢٥٨.

[2] الوجهان في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٧/٤.

[3] أوردَ هذا الوجه ابن عادل في اللباب، ٤٤٨/١٩.

[4] الكشف والبيان للثعلبي، ٤١٦/٢٧؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٧٧/٤؛ اللباب لابن عادل، ٤٤٨/١٩. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٧٢

سُورَةُ الجِنِّ

مكية، ثمانٍ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أُخبِرتُ بالوحي من الله ﴿أَنَّهُ﴾ ـ الضمير للشأن ـ ﴿استَمَعَ﴾ لِقراءتي ﴿نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾ جِنٌّ نَصِيبِينَ ـ وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلةَ موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى: «وإِذْ صَرَفْنا إِلَيكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ» الآيَةَ ـ ﴿فقالُوا﴾ لقومهم لمّا رجَعوا إليهم:

﴿إِنّا سَمِعْنا قُرآنًا عَجَبًا﴾ يُتعجّب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك، ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ﴿يَهدِي إِلَى الرُّشدِ﴾: الإيمان والصواب، ﴿فآمَنّا بِهِ، ولَن نُشرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنا أحَدًا، وإِنَّهُ﴾ ـ الضميرُ للشأن فيه وفي الموضعين بعده ـ ﴿تَعالَى جَدُّ رَبِّنا﴾: تنزّهَ جلاله.........................

سُورَةُ الجِنِّ

قولُهُ: (للنَّاسِ) التَّخصيصُ لحكايَةِ الجِنِّ، ويمكِنُ عمُومُ الخطابِ؛ لأنَّه أحوالُ بعضِهِم.

قولُهُ: (نَصِيبِينَ) بلَدٌ، قاعدَةُ ديارِ ربيعَةَ[1].

قولُهُ: (بَينَ مَكَّةَ) على ليلَةٍ.

قولُهُ: (يُتعَجَّبُ) أي: كِتاباً أو مَقروءاً يتعَجَّبُ منه، مصدَرٌ وُصِفَ به للمُبالَغَة.

قولُهُ: (بَعدَ اليَومِ) على ما نَطَقَ به الأدلَّةُ القاطِعَةُ على التَّوحيدِ.

قولُهُ: (الضَّمِيرُ) على القِراءَتَين الآتِيَتَينِ.

---

(١) في «معجم البلدان» (٥/ ٢٨٨): مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام.

وعظمته عمّا نُسب إليه، ﴿ما اتَّخَذَ صاحِبَةً﴾: زوجة ﴿ولا وَلَدًا، وإنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا﴾: جاهلُنا ﴿علَى اللهِ شَطَطًا﴾: غلوًّا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد، ٥ ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفةٌ، أي: أنّه ﴿لَن تَقُولَ الإنسُ والجِنُّ علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتّى تبيّنّا كذبهم بذلك.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وإنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ﴾: يستعيذون ﴿بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمَخوف، فيقول كُلّ رجل: «أعوذُ بسيّد هذا المكان مِن شرّ سُفهائه»، ﴿فزادُوهُم﴾ بعَوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾: طغيانًا، فقالوا: «سُدنا الجِنَّ والإنس»، ٧ ـ ﴿وإنَّهُم﴾ أي: الجِنَّ ﴿ظَنُّوا كَما ظَنَنتُم﴾ ـ يا إنسُ ـ ﴿أنْ﴾: مُخففةٌ أي: أنّه ﴿لَن يَبعَثَ اللهُ أحَدًا﴾ بعد موته.

٨ ـ قال الجِنّ: ﴿وإنّا لَمَسْنا السَّماءَ﴾: رُمنا استراقَ السمعِ منها، ﴿فوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا، وشُهُبًا﴾:..

قولُهُ: (وعَظَمَتُهُ) أو سُلطانُهُ، أو غِناهُ.

قولُهُ: (ممَّا نُسِبَ إلَيهِ) من الشَّريكِ وغيرِهِ، أو تفسيرُهُ ما بعدَهُ.

قولُهُ: (جَاهِلُنَا) إبليسُ، أو مَرَدَةُ الجِنِّ.

قولُهُ: (غُلوًّا) أي: قَولاً ذا شَطَطٍ، وهو البُعدُ ومُجاوَزَةُ الحَدِّ.

قولُهُ: (بذَلِكَ) أي: باتِّخاذِ الصَّاحبَةِ والوَلَدِ.

قولُهُ: (تَبيَّنَّا) أي: عَلِمنا.

قولُهُ: (بذَلِكِ) أي: بالقرآنِ، وهذا اعتِذارٌ عن اتباعِهِم للسَّفِيهِ في ذلك بظنِّهِم أنَّ أحداً لا يكذِبُ على الله، و(﴿كذباً﴾) نُصِبَ على المصدَرِ؛ لأنَّهُ نَوعٌ من القَولِ أو الوَصفِ لمَحذوفٍ؛ أي: قَولاً مَكذوباً فيه.

قولُهُ: (يَنْزِلُونَ) أي: حين يَنزِلون؛ يعني: الرِّجالَ من الإنسِ.

قولُهُ: (طُغيَاناً) وكِبراً.

قولُهُ: (يَا إِنسُ) أو بالعكسِ، والآيَتانِ من كَلامِ الجنِّ بعضِهُم لبَعضٍ، أو استئنافُ كلامٍ من الله، ومن فَتَحَ ﴿أن﴾ فيهما جعَلهُما منَ الموحى به.

قولُهُ: (مُخَفَّفَةٌ) سادٌّ مسَدَّ مَفعُولَي: ﴿ظَنُّوا﴾.

قولُهُ: (رُمْنَا) أي: طَلَبنا.

قولُهُ: (اسْتِرَاقَ السَّمعِ) أي: خَبَرَ السَّماءِ، أو بُلوغَ السَّماءِ.

قولُهُ: (مِنَ المَلَائِكَةِ) الذينَ يمنَعونَهُم عنها، اسمُ جَمعٍ كالخَدَمِ.

نُجومًا مُحرِقة ـ وذلك لمّا بُعث النبي ﷺ ـ ٩ ـ ﴿وإنّا كُنّا﴾ أي: قبلَ مَبعثه ﴿نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ﴾ أي: نستمع، ﴿فمَن يَستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا﴾ أُرصِد له ليُرمى به.

١٠ ـ ﴿وإنّا لا نَدرِي: أشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَن في الأرضِ؟ أم أرادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا﴾ خيرًا؟ ١١ ـ ﴿وإنّا مِنّا الصّالِحُونَ﴾ بعد استماع القُرآن، ﴿ومِنّا دُونَ ذلِكَ﴾ أي: قومٌ غير صالحين، ﴿كُنّا طَرائقَ قِدَدًا﴾: فِرَقًا مُختلفة مُسلمين وكافرين.

١٢ ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لَن نُعجِزَ اللهَ في الأرضِ، ولَن نُعجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها إلى السماء، ١٣ ـ ﴿وإنّا لَمّا سَمِعْنا الهُدَى﴾: القُرآن ﴿آمَنّا بِهِ ـ فمَن يُؤمِنْ بِرَبِّهِ فلا يَخافُ﴾، بتقدير «هو» بعد الفاء،..........................

قولُهُ: (أي: نَستَمِعُ) يعني: مقاعِدَ خاليَةً عن الحَرسِ والشُّهُب.

قولُهُ: (أُرْصِدَ) أو راصِداً لأجلِهِ يمنَعهُ عن الاستِماعِ بالرَّجمِ.

قولُهُ: (بعَدَمِ) أو بحراسَةِ السَّماءِ.

قولُهُ: (بَعدَ استِمَاعِ القُرْآنِ) أي: المؤمِنونَ الأبرارُ.

قولُهُ: (أي: قَومٌ) فحَذَفَ الموصوفَ، وهم المقتَصِدونَ.

قولُهُ: (فِرَقاً) أي: ذَوي طرائِقَ؛ أي: مَذاهِب.

قولُهُ: (مُختَلِفَةً) مُتفرِّقةً، جمعُ: قِدَّة، من قَدَّ إذا قَطَعَ.

قولُهُ: (مُسلِمِينَ وكَافِرِينَ) هو قولُ مُجاهدٍ[1]، وقالَ الحسنُ والسُّدِّي: الجنُّ أمثالُكم، فمِنهُم قدَريَّةٌ، ومُرجئَةٌ، ورافضَةٌ[2].

قولُهُ: (أي: أنَّهُ) يعني: عَلِمْنا.

قولُهُ: (في الأَرضِ) أينَ ما كُنّا فيها.

قولُهُ: (أو هَارِبِينَ) أشارَ إلى أنَّ الواو بمعنى: أو؛ للتَّنويعِ أو للتَّخييرِ.

قولُهُ: (بِتَقدِيرِ هُو) وقُرئَ: (فَلا يَخَفْ)[3].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٥٩).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٩)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٧/ ٤٣٣) (٣٢٥٢) عن السدي.

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن وثاب، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٨٨).

﴿بَخْسًا﴾: نقصًا من حسناته ﴿ولا رَهَقًا﴾: ظُلمًا بالزيادة في سيّئاته ـ ١٤ ـ ﴿وإنّا مِنّا المُسلِمُونَ ومِنّا القاسِطُونَ﴾: الجائرون بكُفرهم. ﴿فمَن أسلَمَ فأُولئِكَ تَحَرَّوا رَشَدًا﴾: قصدوا هِداية، ١٥ ـ ﴿وأمّا القاسِطُونَ فكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وَقودًا.

وانا وانهم وانه: في اثني عشر موضعًا ـ هي «وإنه تعالى» و«إنا منّا المسلمون» وما بينهما ـ بكسر الهمزة استئنافًا، وبفتحها بما يُوجّه به. قال تعالى في كُفّار مكّة:

١٦ ـ ﴿وأنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وأنّهم، وهو معطوف على «أنّه استمع» ـ ﴿لَوِ استَقامُوا علَى الطَّرِيقةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأسقَيناهُم ماءً غَدَقًا﴾: كثيرًا من السماء ـ وذلك بعد ما رُفع المطرُ عنهم سبعَ سنين ـ ١٧ ـ ﴿لِنَفتِنَهُم﴾: لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلمَ: كيف شُكرُهم عِلمَ ظهور؟ ﴿ومَن يُعرِضْ عَن ذِكرِ رَبِّهِ﴾: القرآنِ ﴿نَسلُكْهُ﴾، بالنون والياء، ....

قولُهُ: (الجَائِرُونَ) عن طَريقِ العَدلِ، وهو الإيمانُ والطَّاعَةُ.

قولُهُ: (هِدَايَةً) عظيمَةً تُرشِدُهُم إلى الصَّوابِ في الدُّنيا، وتهدِيهِم إلى دارِ الثَّوابِ في العُقبى.

قولُهُ: (وَقُوداً) يوقَدُ بهم، كما يوقَدُ بكفَّارِ الإنسِ.

قولُهُ: (بكَسرِ الهَمزَةِ) نافعٌ ومكّيٌّ وبصريٌّ وشُعبةُ[1].

قولُهُ: (استِئنَافاً) أو من جُملةِ المحكيِّ بعد القَولِ.

قولُهُ: (بمَا يُوجَّهُ بِهِ) بأن ما لم يكُن من مقُولِهِم فمَعطوفٌ على محَلِّ الجار والمجرُور في ﴿بِهِ﴾، كأنَّهُ قيل: صدَّقناهُ وصَدَّقنَا أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا[2].

قولُهُ: (أي: طَرِيقَةِ الإسلامِ) والضَّميرُ للجِنِّ، أو الإنسِ، أو كِلَيهِما.

(كَثِيراً) أي: لوَسَّعنا عليهِمِ الرِّزقَ، وتَخصيصُ الماءِ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أصلُ المعاشِ والسَّعَةِ، ولعِزَّةِ وجودِهِ بين العَرَب.

قولُهُ: (القُرآنِ) أو عبادَتِهِ، أو موعِظَتِه.

قولُهُ: (واليَاء) كُوفيٌّ[3].

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٥١).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

نُدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا، ١٨ ـ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾: مواضعَ الصلاة ﴿لِلَّهِ. فَلَا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تُشركوا كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسَهم وبِيَعَهم أشركوا.

١٩ ـ ﴿وَأَنَّهُ﴾ بالفتح، وبالكسر استئنافًا، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمّد النبيّ ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾: يعبده ببطن نخلةَ ﴿كَادُوا﴾ أي: الجنُّ المُستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، بكسر اللام وضمّها، جمعُ لِبْدة، كاللِّبَد في رُكوب بعضهم بعضًا، ازدحامًا حِرصًا على سماع القُرآن.........

قولُهُ: (شَاقًّا[١]) يَعلو المعَذَّبَ ويَغلِبهُ، مصدرٌ وُصفَ به.

قولُهُ: (مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ) تختَصُّ به تعالى، أو الأرضَ كُلَّها، لأنَّها جُعِلت للنَّبيِّ مَسجِداً، وقيل: المسجِدَ الحَرامَ؛ لأنَّه قِبلَةُ المساجِدِ، أو مواضِعَ السُّجودِ على أنَّ المراد: النَّهيُ عن السُّجودِ لغَيرِ الله، أو عن الخُضوعِ والتَّذلُّلِ لغَيرِ خالِقِها، كما قالَهُ الواسِطيُّ[٢].

قولُهُ: (بِأَن تُشرِكُوا) قالَ القاضِي[٣]: فلا تَعبُدوا فيها غيرَهُ، ولعَلَّ المعنى: معَ وُجودِ الله.

قولُهُ: (والكَسرِ) نافِعٌ وشُعبَةُ[٤].

قولُهُ: (استِئنَافاً) من اللهِ، وأمَّا الفَتحُ فعلى أنَّه من جُملَةِ الموحى به.

قولُهُ: (مُحَمَّدٌ) وإنَّما ذُكِرَ لفظُ العَبدِ للتَّواضُعِ، كذا قالَهُ القاضِي[٥]، وعندِي أنَّه للتَّشريفِ ولله دَرُّ القائِلِ[٦]:

لا تَدْعُنِـــي إلا بِيَـــا عَبْدَهَا ... فَإِنَّـــهُ أَشْـــرَفُ أَســـمَائِي

وقيلَ: للإشعارِ بما هو المقتَضِي لقيامِهِ، ويمكِنُ أن يَكونَ لتَصحِيحِ الإضافَةِ، ولذا قيل: سَمَّاهُ عَبدَ الله؛ لأنَّه هو المظهِرُ لاسمِ الله لا غيرُهُ بالأصالَةِ، وغيرُه إنَّما هو بالتَّبعِيَّةِ.

قولُهُ: (وَضَمِّهَا) هشامٌ بخُلفٍ عنه[٧].

قولُهُ: (جَمعُ: لِبدَةٍ) وهو ما تلبَّدَ بعضُهُ على بَعضٍ.

---

(١) في الأصول: «مشاقاً»، وما أثبته من «الجلالين».

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٥٤) ونقله عن ابن عطاء.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٦) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٦) من قول أبي عبد الله المغربي.

(٧) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٨).

٢٠ ـ ﴿قالَ﴾ مُجيبًا للكُفّار في قولهم: «ارجِع عمّا أنتَ فيه» ـ وفي قِراءةٍ: «قُلْ» ـ ﴿إنَّما أدعُو رَبِّي﴾ إلـٰهًا، ﴿ولا أُشرِكُ بِهِ أحَدًا﴾.

٢١ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لا أملِكُ لَكُم ضَرًّا﴾: غيًّا ﴿ولا رَشَدًا﴾: خيرًا ـ ٢٢ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ﴾: من عذابه إن عصيتُه ﴿أحَدٌ، ولَن أجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مُلتَحَدًا﴾: مُلتجأ ـ ٢٣ ـ ﴿إلاّ بَلاغًا﴾: استثناءٌ من مفعول «أملِكُ» أي: لا أملك لكم إلاّ البلاغَ إليكم ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عنه، ﴿ورِسالاتِهِ﴾: عطفٌ على «بلاغًا». وما بين المُستثنى منه والاستثناء اعتراضٌ لتأكيد نفي الاستطاعة، ﴿ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ﴾ في التوحيد فلم يُؤمن ﴿فإنّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ﴾: حالٌ من ضمير «مَن» في «له» رِعايةً لمعناها، وهي حال مُقدّرة، والمعنى: يدخلونها مُقدَّرًا خلُودُهم ﴿فِيها أبدًا﴾.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لعاصِمٍ وحمزَةَ[1].

قولُهُ: (خَيراً) مُقتَضى حُسنِ المقابَلَةِ: هدايَةً، أو تفسيرُ (ضَرًّا) بشَرٍّ، ولذا قالَ القاضِي[2]: (ضَرًّا ولا رَشَداً): ولا نَفعاً أو غَيًّا ولا رَشداً، عَبَّرَ عن أحدِهما باسمِهِ، وعن الآخَرِ باسمِ سَبَبِهِ، أو مُسبَّبِهِ إشعاراً بالمعنيَينِ، انتهى.

أقولُ: وهذا من ألطَفِ أنواعِ البَديعِ وأبدَعِها ويُسمَّى: بالاحتِباك، وهو أن يحذِفَ من الأوَّلِ ما أُثبِتَ نظيرُهُ في الثَّاني، ومن الثَّاني ما أُثبِتَ نظيرُهُ في الأوَّلِ، على ما ذكرَهُ في «الإتقان»[3].

قولُهُ: (إن عَصَيتُهُ) أو إن أرادَ بي سُوءاً.

قولُهُ: (مُلتَجَأ) ومُنْحَرَفاً.

قولُهُ: (مِن مَفعُولِ: ﴿أَملِك﴾) فإنَّ التَّبليغَ إرشادٌ ونَفعٌ.

قولُهُ: (أي: لا أَملِكُ لَكُم) يعني: شَيئاً من الضَّرِّ والرَّشَدِ.

قولُهُ: (أي: عَنهُ) و﴿من﴾ بمعنى: عن، أو صِفَةُ ﴿بَلاغاً﴾ فإنَّ صلتَهُ عن؛ كقولِهِ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي ولَو آيَة»[4].

قولُهُ: (في التَّوحُّدِ) إذ الكَلامُ فيه.

قولُهُ: (لمَعنَاهَا) في الحالِ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٣) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ٢٠٤).

(٤) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢٤ ـ ﴿حَتَّى إذا رأَوا﴾ حتى: ابتدائيّة فيها معنى الغاية لمُقدّر قبلها، أي: لا يزالون على كُفرهم إلى أن يروا ﴿ما يُوعَدُونَ﴾، من العذاب ﴿فسَيَعلَمُونَ﴾ عِند حُلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة: ﴿مَن أضعَفُ ناصِرًا، وأقَلُّ عَدَدًا﴾: أعوانًا؟ أهم أم المُؤمنون، على القول الأوّل؟ أو أنا أم هم، على الثاني؟ فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل:

٢٥ ـ ﴿قُلْ: إنْ﴾ أي: ما ﴿أدرِي: أقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أم يَجعَلُ لَهُ رَبِّي أمَدًا﴾: غاية وأجلاً لا يعلمه إلاّ هو؟ ٢٦ ـ ﴿عالِمُ الغَيبِ﴾: ما غاب به عن العِباد، ﴿فلا يُظهِرُ﴾: يُطلِع ﴿على غَيبِهِ أحَدًا﴾ من الناس، ٢٧ ـ ﴿إلاّ مَنِ ارتَضَى مِن رَسُولٍ. فإنَّهُ﴾ مع إطلاعه على ما شاء منه مُعجزةً له ﴿يَسلُكُ﴾: يجعل ويُسيّر ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ﴾ أي: الرسولِ ﴿ومِن خَلفِهِ رَصَدًا﴾: ملائكة يحفظونه حتّى يُبلّغه في جُملة الوحي، ٢٨ ـ ﴿لِيَعلَمَ﴾ الله عِلمَ ظُهور ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة أي: أنّه ﴿قد أبلَغُوا﴾ أي: الرسلُ ﴿رِسالاتِ رَبِّهِم﴾ ـ رُوعي بجمع الضمير معنى «مَن» ـ ﴿وأحاطَ بِما لَدَيهِم﴾: عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلم ذلك، ﴿وأحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَدًا﴾: تمييز. وهو مُحوّل عن المفعول، والأصل: أحصى عددَ كُلّ شيء.

قولُهُ: (عَلى القَولِ الأوّلِ) لكن يُشكِلُ بقولِهِ: ﴿أقَلُّ عَدَداً﴾.

قولُهُ: (أَو أنَا) أو هو، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (غَايَةً) تَطولُ مُدَّتُها.

قولُهُ: (وأَجَلاً) أي: بَعيداً.

قولُهُ: (لا يَعلَمُهُ) استِئنافٌ، والضَّميرُ راجِعٌ إلى ما ذُكِر من القُربِ والبُعدِ.

قولُهُ: (مِنَ النَّاسِ) ولعَلَّ المرادَ من: ﴿غَيبِهِ﴾ وَحيُهِ الخاصُّ، فلا يُنافي الكَراماتِ.

قولُهُ: (مِنه) أي: من غَيبِهِ.

قولُهُ: (أي: الرَّسُولِ) أو المرتَضى، فإنَّ ﴿مِن﴾ بيانٌ لـ﴿مَن﴾.

قولُهُ: (يَحفَظُونَهُ) من اختِطافِ الشَّياطينِ وتخاليطِهِم.

قولُهُ: (عِلمَ ظُهُورٍ) أي: ليتعَلَّقَ علمُهُ به مَوجوداً، كما تعَلَّقَ به مَعدوماً.

قولُهُ: (مَعنَى) كما رُوعيَ لفظُها في: ﴿مَنِ ارتَضَى﴾.

قولُهُ: (أي: فَعَلِمَ ذَلِكَ) وأحاطَ بما عِندَ الرُّسلِ.

قولُهُ: (أحصَى) أي: ضَبَطَ وحَفِظَ.

قولُهُ: (عَدَدَ كُلِّ شَيءٍ) حتَّى القَطرَ والرَّملَ، والله تعالى أعلَمُ.

سورة الجن

وتُسمَّى: «قل أوحِيَ إليَّ». وهي مكِّيَّة بالاتِّفاق، وآيها بلا خلاف ثمان وعشرون آيةً، ووجه اتِّصالها قال الجلال السيوطي[1]: فكَّرت فيه مدَّة، فلم يظهر لي سوى أنَّه سبحانه قال في سورة «نوح»: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ وقال عزَّ وجلَّ في هذه السورة لكفَّار مكَّة: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ وهذا وجهٌ بيِّنٌ في الارتباط. انتهى. وفي قوله: لكفَّار مكَّة، شيءٌ ستعلمه إن شاء الله تعالى.

ويجوز أن يضمَّ إلى ذلك اشتمالُ هذه السورة على شيء ممَّا يتعلَّق بالسماء كالسورة السابقة، وذكر العذاب لمن يَعصي الله عزَّ وجلَّ في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية: ٢٣] فإنَّه يناسب قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [الآية: ٢٥] على وجه.

وقال أبو حيان[2] في ذلك: إنَّه تعالى لمَّا حكى تَمَاديَ قوم نوح في الكفر والعكوف على عبادة الأصنام، وكان أوَّلَ رسول إلى أهل الأرض كما أنَّ محمداً ﷺ آخرُ رسول إلى أهل الأرض، والعربُ الذين هو منهم ﷺ كانوا عبَّادَ أصنام كقوم نوح حتى إنَّهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء ـ أي: أو: عينها ـ وكان ما جاء به عليه الصلاة والسلام هادياً إلى الرشد وقد سمعته العربُ، وتوقَّف عن الإيمان به أكثرُهم، أنزل الله تعالى سورةَ «الجِنِّ» وجعلها إثْر سورةِ «نوح»؛ تبكيتاً لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، وكانت الجن خيراً

(١) في تناسق الدرر ص٨٩.
(٢) في البحر المحيط ٨/ ٣٤٦.

منهم إذ أقبل للإيمان مَن أقبل منهم، وهم مِن غير جنس الرسول عليه الصلاة والسلام حتى كادوا يكونون عليه لبداً، ومع ذلك التباطؤ فهم مكذِّبون له ولِمَا جاء به؛ حسداً وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فقال عزَّ مِن قائل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة والعَتَكي عن أبي عمرو وجويَّة[١] بن عائذ الأسدي: «وُحِيَ» بلا همزة[٢]، وهو بمعنى «أوحي» بالهمز، ومنه قول العجَّاج:

وَحَى لها القرارَ فاستقرَّت[٣]

وقرأ زيد بنُ عليٍّ وجوية[٤] - فيما روى عنه الكسائي - وابن أبي عبلة في رواية: «أُحِيَ» بإبدال واو «وُحِيَ» همزة[٥]، كما قالوا في وُعِد أُعِد، قال الزمخشريُّ[٦]: وهو من القلب المطلق جوازه في كلِّ واو مضمومة، وقد أطلقه المازنيُّ في المكسورة أيضاً كإشاح و«إعاء»[٧] وإسادة. وهذا أحد قولين للمازني، والقول الآخر قَصْرُ ذلك على السماع، وما ذكره من إطلاق الجواز في المضمومة تُعقِّب بأنَّ المضمومة قد تكون أوَّلاً وحشواً وآخِراً، ولكلٍّ منها أحكام، وفي بعضها خلافٌ وتفصيلٌ مذكور في كتب النحو فليراجع.

وزاد بعض الأجلَّة: قَلْبَ الواو المضموم ما قبلها، فقال: إنَّه أيضاً مقيس مطَّرد، وأنَّه قد يَرِدُ ذلك في المفتوحة كـ: [وَحَد و][٨] أَحد.

(١) في الأصل و(م): جؤبة. والمثبت هو الصواب. ينظر توضيح المشتبه ٢/٥٠٨.
(٢) البحر المحيط ٨/٣٤٦، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٢ عن ابن أبي عبلة.
(٣) ديوان العجاج ص٢٦١.
(٤) في الأصل و(م): جؤبة. والمثبت هو الصواب.
(٥) المحتسب ٢/ ٣٣١، والبحر ٨/ ٣٤٦.
(٦) الكشاف ٤/ ١٦٦.
(٧) وهي قراءة سعيد بن جبير كما في القراءات الشاذة ص٦٥، والمحتسب ١/ ٣٤٨ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦].
(٨) ما بين حاصرتين من حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٤.

وعلى جميع القراآت الجارُّ متعلِّق بما عنده، ونائب الفاعل ﴿أَنَّهُ﴾ إلخ، على أنَّه في تأويل المصدر، والضمير للشأن.

﴿ٱسْتَمَعَ﴾ أي: القرآن، كما ذكر في «الأحقاف»[1]، وقد حُذف؛ لدلالة ما بعده عليه.

﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ النفر في المشهور: ما بين الثلاثة والعشرة. وقال الحريريُّ في «دُرَّته»[2]: إنَّ النَّفَرَ إنَّما يقع على الثلاثة من الرجال إلى العشرة. وقد وهم في ذلك فقد يُطلَق على ما فوق العشرة في الفصيح، وقد ذكره غيرُ واحد من أهل اللغة، وفي كلام الشعبي: حدَّثني بضعة عشر نفراً. ولا يختصُّ بالرجال بل ولا بالناس؛ لإطلاقه على الجنِّ هنا.

وفي «المجمل»: الرهط والنفر يستعمل إلى الأربعين[3]. والفرق بينهما أنَّ الرهطَ يرجعون إلى أبٍ واحد، بخلاف النفَر، وقد يُطلَق على القوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] وقول امرئ القيس:

فهو لا تَنْمي[4] رَمِيَّتُه ... ما لَه لا عُدَّ مِن نَفَرِه[5]

وقال الإمام الكرماني[6]: للنفر معنى آخَرُ في العُرف وهو الرجل. وأراد بالعُرف عرف اللغة؛ لأنَّه فسّر به الحديث الصحيح[7]، فليحفظ.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية: ٢٩ وما بعدها].

(٢) درة الغواص ص٦٩.

(٣) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٤، وفي مجمل اللغة للفارسي ٢/ ٤٠٢ أن الرهط يستعمل إلى الأربعين، ولم يذكر النفر.

(٤) جاء في هامش الأصل و(م): يقال: أنمى. أي: توارى. انتهى منه.

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٢٥، والرميَّة: الصيد الذي ترميه فتصرعه، وقوله: لا تنمي رميته: أي: لا ترتفع من مكانها الذي أصابها فيه السهم؛ لحذق الرامي. وقوله: لا عُدَّ من نفره: دعاء عليه على وجه التعجب منه.

(٦) في شرحه على صحيح البخاري ٢/ ٢٥.

(٧) وهو ما أخرجه البخاري (٦٦) عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر...، الحديث. وهو عند مسلم (٢٦٩٩).

والجِنُّ: واحده: جِنِّيّ، كـ : روم ورومي، وهم أجسام عاقلة تغلب عليها الناريَّة، كما يشهد له قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥] وقيل: الهوائية، قابلةٌ جميعها أو صِنْف منها للتشكُّل بالأشكال المختلفة، من شأنها الخفاء، وقد تُرى بصور غيرِ صورها الأصليَّة، بل وبصورها الأصليَّة التي خُلقت عليها كالملائكة عليهم السلام، وهذا للأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليه ومَن شاء الله تعالى من خواصِّ عباده عزَّ وجلَّ، ولها قوَّة على الأعمال الشاقَّة، ولا مانع عقلاً من أن تكون بعضُ الأجسام اللطيفة الناريَّة مخالفةً لسائر أنواع الجسم اللطيف في الماهية، ولها قبول لإفاضة الحياة والقدرة على أفعال عجيبة مثلاً، وقد قال أهل الحكمة الجديدة بأجسام لطيفة أثبتوا لها من الخواصِّ ما يُبهر العقول، فلتكن أجسامُ الجِنِّ على ذلك النحو من الأجسام، وعالَمُ الطبيعة أوسعُ مِن أن تحيط بحصر ما أُودع فيه الأفهامُ.

وأكثر الفلاسفة على إنكار الجِنِّ، وفي رسالة «الحدود» لابن سينا: الجِنِّيُّ حيوان هوائي متشكِّل بأشكال مختلفة.

وهذا شرح الاسم، وظاهره نفي أن يكون لهذه الحقيقة وجودٌ في الخارج، ونفيُ ذلك كفرٌ صريح كما لا يخفى. واعترف جمع عظيم مِن قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيَّات بوجودهم ويسمُّونهم بالأرواح السفليَّة، والمشهور أنَّهم زعموا أنَّها جواهرُ قائمةٌ بأنفسها ليست أجساماً ولا جسمانيَّة، وهي أنواع مختلفة بالماهية، كاختلاف ماهيات الأعراض، فبعضها خيِّرة وبعضها شريرة، ولا يَعرِف عدد أنواعها وأصنافها إلا الله عزَّ وجلَّ، ولا يبعد على هذا أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقَّة عظيمة يَعجِزُ عنها البشر، بل لا يبعد أيضاً على ما قيل أن يكون لكلِّ نوع منها تعلُّق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم، ومن الناس مَن زعم أنَّ الأرواح البشريَّة والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها ازدادت قوَّة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانيَّة، فإذا اتفق حدوث بَدَن آخرَ مشابهٍ لِمَا كان لتلك النفس المفارقة مِن البدن، تعلَّقت تلك النفس به تعلُّقاً ما، وتصير كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن،

فإن اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيِّرة سُمِّي ذلك المُعين مَلَكاً وتلك الإعانة إلهاماً، وإنِ اتفقت في النفوس الشريرة سُمِّي ذلك المُعين شيطاناً وتلك الإعانة وسوسة. والكُلُّ مخالف لأقوال السلف وظاهرِ الآيات والأحاديث، وجمهورُ أرباب الملل معترفون بوجودهم كالمسلمين وإن اختلفوا في حقيقتهم، وتمام الكلام في هذا المقام يُطلَب من «آكام المرجان»، وفي «التفسير الكبير»[1] طَرَف ممَّا يتعلَّق بذلك فارجع إليه إن أردته.

واختلف في عدد المستمعين، فقيل: سبعة، فعن زِرّ: ثلاثة من أهل حرَّان، وأربعة من أهل نَصِيبين. قرية باليمن غير القرية التي بالعراق. وعن عكرمة أنَّهم كانوا اثني عشر ألفاً مِن جزيرة الموصل. وأين سبعة أو تسعة من اثني عشر ألفاً؟! ولعلَّ النَّفَرَ عِليَةُ القوم. وفي «الكشاف»[2]: كانوا مِن الشَّيْصَبَان، وهم أكثر الجِنّ عدداً، وعامَّة جنود إبليس منهم.

والآية ظاهرة في أنَّه ﷺ عَلِمَ استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة، وقد وقع في الأحاديث أنَّه عليه الصلاة والسلام رآهم، وجُمع ذلك بتعدُّد القصَّة، قال في «آكام المرجان» ما محصله: في الصحيحين[3] في حديث ابن عباس: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجِنّ ولا رآهم، وإنَّما انطلق بطائفة من الصحابة لسوق عُكَاظ، وقد حيل بين الجِنّ والسماء بالشُّهب، فقالوا: ما ذاك إلا لشيء حدث، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربها، فمرَّ من ذهب لتهامة منهم به عليه الصلاة والسلام وهو يصلِّي الفجر بأصحابه بنخلة، فلما استمعوا له، قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين السماء، ورجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا.. إلخ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿قُلْ أُوحِىَ﴾ إلخ. ثم قال: ونفيُ ابنِ عباس إنَّما هو في هذه القصَّة، واستماعُهم تلاوته ﷺ في الفجر في هذه القصَّة لا مطلقاً، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلخ فإنَّها تدلُّ على أنَّه عليه الصلاة والسلام كلَّمهم ودعاهم وجعلهم رسلاً لمَن عَدَاهم، كما قاله البيهقيُّ.

(١) ٣٠/ ١٤٨ وما بعدها.
(٢) ٤/ ١٦٧.
(٣) صحيح البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩)، وسلف ٢٦/ ٣٠.

وروى أبو داود عن علقمة عن ابنِ مسعود عن النبيِّ ﷺ قال: «أتاني داعي الجِنّ، فذهبتُ معه وقرأتُ عليهم القرآن»، قال: وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.. إلخ[1]. وقد دلَّت الأحاديث على أنَّ وفادة الجِنّ كانت ستَّ مرَّات. وقال ابنُ تيمية: إنَّ ابن عباس عَلِمَ ما دلَّ عليه القرآن ولم يَعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة من إتيان الجِنّ له ﷺ ومكالمتهم إيّاه عليه الصلاة والسلام، وقصَّة الجِنّ كانت قبل الهجرة بثلاث سنين. وقال الواقديُّ: كانت سنة إحدى عشرة من النبوَّة. وابن عباس نَاهزَ الحُلُم في حجَّة الوداع، فقد علمتَ أنَّ قصَّة الجِنّ وقعت ستَّ مرات.

وفي «شرح البيهقي» من طرق شتّى عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى العشاء ثم انصرف، فأخذ بيدي حتى أتينا مكان كذا، فأجلسني وخطَّ عليَّ خطًّا، ثم قال: «لا تبرحنَّ خطَّك» فبينما أنا جالس إذ أتاني رجال منهم كأنَّهم الزُّطُّ[2]، فذكر حديثاً طويلاً وأنَّه ﷺ ما جاءه إلى السَّحَر، قال: وجعلتُ أسمع الأصوات، ثم جاء عليه الصلاة والسلام، فقلت: أين كنتَ يا رسولَ الله؟ فقال: «أرسلتُ إلى الجِنّ». فقلت: ما هذه الأصوات التي سمعتُ؟ قال: «هي أصواتهم حين ودَّعوني وسلَّموا عليَّ»[3]، وقد يجمع الاختلاف في القلَّة والكثرة؛ بأنَّ ذلك لتعدُّد القصَّة أيضاً، والله تعالى أعلم.

واختلف فيما استمعوه، فقال عكرمة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وقيل: سورة «الرحمن».

﴿فَقَالُوٓا۟﴾ أي: لقومهم عند رجوعهم إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا﴾ أي: كتاباً مقروءاً، على ما فسَّره به بعض الأجلَّة، وفسّر بذلك للإشارة إلى أنَّ ما ذكروه في

---

(١) سنن أبي داود (٨٥) مختصراً، وهو بتمامه لكن عند أبي داود الطيالسي (٢٨١)، وسلف ٢٦/ ٣١.

(٢) الزُّطّ: جيل من الهند، معرَّب: جَتّ، والقياس فتح معربه. القاموس (الزط).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الطحاوي كما في نصب الراية ١/ ١٤٣، وأخرجه بنحوه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٩٦)، وهو عند الترمذي (٢٨٦١) في حديث طويل، لكن مقتصراً على طرفه الأول، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ. تنظر روايات الخبر في نصب الراية والكلام منقول من حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٤-٢٥٥.

وصفه ممَّا يأتي وصفٌ له كلِّه دون المقروء منه فقط، والمراد أنَّه مِن الكتب السماويَّة، والتنوين للتفخيم، أي: قرآناً جليلَ الشأن.

﴿عَجَبًا ۝١﴾ بديعاً مبايناً لكلام الناس في حُسْن النظم ودقَّة المعنى، وهو مصدر وصف به للمبالغة.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحقِّ والصواب، وقيل: إلى التوحيد والإيمان. وقرأ عيسى: «الرُّشُد» بضمتين، وعنه أيضاً فتحهما[1].

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بذلك القرآن مِن غير ريث.

﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ حسبما نطق به ما فيه مِن دلائل التوحيد، أو حسبما نطق به الدلائل العقليَّة على التوحيد. ولم تعطف هذه الجملة بالفاء، قال الخفاجيُّ: لأنَّ نفيهم للإشراك إمَّا لِمَا قام عندهم من الدليل العقليِّ، فحينئذٍ لا يترتَّب على الإيمان بالقرآن، وإمَّا لِمَا سمعوه من القرآن فحينئذٍ يكفي في ترتُّبها عليه عطفُ الأوَّل بالفاء، خصوصاً والباء في «به» تحتمل السببيَّة فيعمُّ الإيمانُ به الإيمانَ بما فيه، فإنَّك إذا قلت: ضربته فتأدَّب وانقاد لي، فُهم ترتُّب الانقياد على الضَّرْب، ولو قلت: فانقادَ، لم يترتَّب على الأوَّل، بل على ما قبله. وقيل: عطفت بالواو لتفويض الترتُّب إلى ذهن السامع. وقد يقال: إنَّ مجموع «فآمنا به ولن نشرك» مسبّب عن مجموع: «إنا سمعنا» إلخ، فكونه قرآناً معجزاً يوجب الإيمانَ به، وكونه يهدي إلى الرشد يوجب قَلْع الشرك من أصله[2]. والأوَّل أولى، وجوّز أن يكون ضمير «به» لله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ قوله سبحانه: «بربنا» يفسِّره، فلا تغفل.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلفوا قراءةً في «أنَّ» هذه وما بعدها إلى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ [الآية: ١٤] وتلك اثنتا عشرة: فقرأها ابنُ عامر وحمزة والكسائيُّ وخَلَف وحفص بفتح الهمزة[3] فيهنَّ ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة: ما هنا، و«أنه كان

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٤٧.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٥.

(٣) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩١.

يقول»، و«أنه كان رجال»، وقرأ الباقون بكسرها في الجميع، واتَّفقوا على الفتح في «أنَّه استمعَ»، و«أنَّ المساجدَ» لأنَّ ذلك لا يصحُّ أن يكون مِن قول الجِنِّ، بل هو ممَّا أُوحيَ، بخلاف الباقي فإنَّه يصحُّ أن يكون مِن قولهم وممَّا أُوحي[١]، واختلفوا في «أنه لمَّا قام» فقرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها[٢]، كذا فصَّله بعضُ الأجلَّة، وهو المعوَّل عليه.

ووجه الكسر في «إنَّ» هذه وما بعدها إلى: «وإنَّا منَّا المسلمون» ظاهرٌ كالكسر في «إنَّا سمعنا قرآناً» لظهور عطف الجمل على المحكي بعد القول ووضوح اندراجها تحته، وأمَّا وجه الفتح ففيه خفاءٌ، ولذا اختُلف فيه، فقال الفرَّاء والزجَّاج والزَمَخْشَريُّ: هو العطف على محلِّ الجارِّ والمجرور في «آمنَّا به» كأنَّه قيل: صدَّقناه وصدَّقنا أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا وأنَّه كان يقول سفيهنا، وكذلك البواقي[٣]، ويكفي في إظهار المحلِّ إظهارُه مع المرادف، وليس من العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجارِّ ـ الممنوع عند البصريين ـ في شيء، وإن قيل به هنا بناءً على مذهب الكوفيين المجوِّزين له، ولو قيل: إنَّه بتقدير الجارِّ لاطِّراد حذفه قبل «أنَّ» و«أنْ» لكان سديداً، كما في «الكشف».

وضعَّف مكِّيّ العطفَ على ما في حيِّز «آمنا» فقال: فيه بُعْدٌ في المعنى؛ لأنَّهم لم يخبروا أنَّهم آمنوا بأنَّهم لمَّا سمعوا الهدى آمنوا به، ولا أنَّهم آمنوا بأنه كان رجالٌ، إنَّما حكى اللهُ تعالى عنهم أنَّهم قالوا ذلك مخبرين عن أنفسِهم لأصحابهم[٤].

وأجيب عن الذاهبين إليه بأنَّ الإيمان والتصديق يَحسُن في بعض تلك المعطوفات بلا شبهة، فيمضي في البواقي ويُحمَل على المعنى، على حدِّ قوله:

وزَجَّجْنَ الحواجبَ والعيونا[٥]

---

(١) النشر ٢/ ٣٩١.

(٢) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢، وحاشية الشهاب ٨/ ٢٥٥ والكلام منه.

(٣) الكشاف ٤/ ١٦٦ والكلام منه، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٩١، وللزجاج ٥/ ٢٣٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧٦٣.

(٥) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٦، والبيت سلف ٧/ ٧١.

فيُخرَّج على ما خرِّج عليه أمثاله، فيؤوَّل: صدَّقنا، بما يشمل الجميع، أو يقدَّر مع كلٍّ ما يناسبه.

وقال أبو حاتم: هو العطف على نائب فاعل: «أوحي» أعني «أنَّه استمع»، كما في «أنَّ المساجد» على أنَّ الموحى عينُ عبارة الجِنِّ بطريق الحكاية، كأنَّه قيل: قل أوحي إليَّ كيتَ وكيتَ وهذه العبارات. وتُعقِّب بأنَّ حكاية عباراتهم تقتضي أن تكون «أنَّ» في كلامهم مفتوحةَ الهمزة، ولا يظهر ذلك إلا أن يكون في كلامهم ما يقتضي الفتح كـ: اسمعوا، أو: اعلموا، أو: نخبركم، لكنَّه أسقط وقتَ الحكاية، ولا يظهر لإسقاطه وجه، وعلى تقدير الظهور فالفتح ليس لأجل العطف، فإنَّ النائبَ عن الفاعل عليه مجموعُ كلِّ جملة على إرادة اللفظ دون المنسبك مِن «أنَّ» وما بعدها، وإلَّا لما صحَّ أن يقال: الموحى كيت وكيت وهذه العبارات، فإنْ كانت «إنَّ» في كلامهم مكسورةَ الهمزة وصحَّت دعوى أنَّ الحكاية اقتضت فتحَها مع صحَّة إرادة هذه العبارات معه، فذاك، وإلا فالأمر كما ترى، فافهم وتأمَّل.

والجَدُّ: العظمة والجلال، يقال: جَدَّ في عيني، أي: عَظُمَ وَجَلَّ، أي: وصدَّقنا أنَّ الشأنَ ارتفع عظمةُ وجلال ربِّنا، أي: عظمت عظمته عزَّ وجلَّ، وفيه من المبالغة ما لا يَخفى. وقال أبو عبيدة والأخفش: المُلك والسلطان. وقيل: الغنى، وهو مرويٌّ عن أنس والحسن في الآية، والأوَّل مرويٌّ عن الجمهور.

والجَدُّ على جميع هذه الأوجه مستعارٌ من الجَدِّ الذي هو البَخْتُ، وقوله عز وجل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ عليها تفسيرٌ للجملة وبيانٌ لحكمها، ولذا لم يعطف عليها، فالمراد وصفه عزَّ وجلَّ بالتعالي عن الصاحبة والولد؛ لعظمته أو لسلطانه أو لغناه سبحانه وتعالى، وكأنَّهم سمعوا مِن القرآن ما نبَّههم على خطأ ما اعتقده كَفَرةُ الجِنِّ من تشبيهه سبحانه بخَلْقه في اتِّخاذ الصاحبة والولد، فاستعظموه ونزَّهوه تعالى عنه.

وقرأ حميد بن قيس: «جُدُّ» بضمِّ الجيم، قال في «البحر»: ومعناه: العظيم،

حكاه سيبويه، وإضافته إلى «ربِّنا» من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: تعالى ربُّنا العظيم[١].

وقرأ عكرمة: «جَدٌّ» منوَّناً مرفوعاً، «ربُّنا» بالرفع[٢]، وخُرِّج على أنَّ الجدَّ بمعنى العظيم أيضاً، و«ربُّنا» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو ربُّنا، أو بدل مِن «جدّ».

وقرأ أيضاً «جَدًّا» منوَّناً منصوباً على أنَّه تمييزٌ محوَّل عن الفاعل[٣].

وقرأ هو أيضاً وقتادة: «جِدّاً» بكسر الجيم والتنوين والنصب، «ربُّنا» بالرفع[٤]، قال ابنُ عطية[٥]: نصب «جدّاً» على الحال، والمعنى: تعالى ربُّنا حقيقةً ومتمكِّناً. وقال غيره: هو صفةٌ لمصدر محذوف، أي: تعالياً جدًّا.

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «جَدَى ربِّنا»[٦] أي: جَدواهُ ونفعه سبحانه، وكأنَّ المراد بذلك الغنى، فلا تغفل.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ هو إبليس عند الجمهور، وقيل: مَرَدةُ الجِنِّ، والإضافة للجنس، والمراد: سفهاؤنا.

﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ أي: قولاً ذا شطط، أي: بُعْد عن القصد ومجاوزة الحدِّ، أو هو في نفسه شطط؛ لفَرْط بُعده عن الحقِّ، وهو نسبة الصاحبة والولد إليه عزَّ وجلَّ، وتعلُّقُ الإيمان والتصديق بهذا القول ـ بناء على ما يقتضيه العطف على ما في حيِّز «فآمنا» ـ ليس باعتبار نفسه، فإنَّهم كانوا عالمين بقول سفيههم مِن قبل، بل باعتبار كونه شططاً، كأنَّه قيل: وصدَّقنا أنَّ ما كان يقول سفيهُنا في حقِّه سبحانه كان شططاً.

---

(١) البحر ٨/ ٣٤٧.
(٢) المحتسب ٢/ ٣٣٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٧.
(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٧.
(٤) الكشاف ٤/ ١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٨
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.
(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٨.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم، أي: كنَّا نظنُّ أن لن يَكذبَ على الله تعالى أحدٌ فينسبَ إليه سبحانه الصاحبة والولد، ولذلك اعتقدنا صحَّة قول السفيه، ولعلَّ الإيمان متعلِّق بما يُشعر به كلامهم هذا وينساق إليه من خطئهم في ظنِّهم، كأنَّه قيل: وصدَّقنا بخطئنا في ظنِّنا الذي لأجله اعتقدنا ما اعتقدنا.

و«كذباً» مصدر مؤكِّد لـ «تقول»؛ لأنَّه نوع من القول كما في: قعدت القرفصاء، أو: وصف لمصدر محذوف، أي: قولاً كذباً، أي: مكذوباً فيه؛ لأنَّه لا يتصوَّر صدور الكذب منه، وإن اشتهر توصيفه به كالقائل، وجوّز أن يكون من الوصف بالمصدر مبالغة، وهي راجعة للنفي دون المنفيِّ.

وقرأ الحسن والجحدري وعبد الرحمن بن أبي بكرة ويعقوب وابن مقسم: «تَقَوَّلَ»[1] مضارع «تَقَوَّلَ»، وأصله: تَتَقَوَّلَ، بتاءين، فحذفت إحداهما، فـ «كذباً» مصدرٌ مؤكِّد، لأنَّ الكذب هو التقوُّل.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ كان الرجل مِن العرب إذا أمسى في وادٍ قَفْر وخاف على نفسه، نادى بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي أعوذ بكَ مِن السفهاء الذين في طاعتك. يريد الجنَّ وكبيرهم، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سِدْنا الجنَّ والإنسَ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الرجال العائذون الجنَّ ﴿رَهَقًا ۝٦﴾ أي: تكبُّراً وعُتُوّاً، فالضمير المرفوع لرجال الإنس، إذ هم المحدَّث عنهم، والمنصوب لرجال الجنِّ، وهو قول مجاهد والنخعيِّ وعبيد بنِ عمير وجماعة. إلا أنَّ من فسَّر الرَّهَقَ بالإثم، وأنشد الطبريُّ لذلك قولَ الأعشى:

لا شيءَ ينفعني مِن دونِ رؤيتها ... لا يشتفي وامقٌ ما لم يُصِبْ رَهَقاً[2]

فإنَّه أرادَ: ما لم يَغْشَ محرَّماً، فالمعنى هنا: فزادت الإنسُ الجنَّ مأثماً؛ لأنَّهم عظَّموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى، أو: فزاد الجنُّ العائذينَ غيّاً، بأن

(١) النشر ٢/ ٣٩٢ عن يعقوب، والقراءات الشاذة ص١٦٢، والبحر ٨/ ٣٤٨ والكلام منه.
(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٦، والبيت في ديوان الأعشى ص٤١٥، والوامق: المحبّ.

أضلُّوهم حتى استعاذوا بهم، فالضميران على عكس ما تقدَّم، وهو قول قتادة وأبي العالية والربيع وابنِ زيد. والفاء على الأوَّل للتعقيب، وعلى هذا؛ قيل: للترتيب الإخباري، وذهب الفرَّاء إلى أنَّ ما بعد الفاء قد يتقدَّم؛ إذا دلَّ عليه الدليل، كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤] وجمهور النحاة على خلافه[١]. وقيل: في الكلام حذف، أي: فاتَّبعوهم فزادوهم.

والآية ظاهرة في أنَّ لفظ الرجال يُطلَق على ذكور الجِنِّ كما يطلق على ذكور الإنس. وقيل: لا يطلق على ذكور الجِنِّ، و«مِن الجن» في الآية متعلِّق بـ «يعوذون»، ومعناها: أنَّه كان رجال من الإنس يعوذون من شَرِّ الجِنِّ برجال من الإنس، وكان الرجل يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بنِ بدر مِن جِنِّ هذا الوادي. وهو قولٌ غريبٌ مخالفٌ لِمَا عليه الجمهورُ المؤيَّدِ بالآثار، ولعلَّ تعلُّق الإيمان بهذا باعتبار ما يُشعر به مِن كون ذلك ضلالاً موجباً لزيادة الرهق.

وقد جاء في بعض الأخبار ما يقال بدل هذه الاستعاذة، ففي حديث طويل أخرجه أبو نصر السجزيُّ في «الإبانة» من طريق مجاهد عن ابنِ عباس - وقال: غريبٌ جدّاً - أنَّه ﷺ قال: «إذا أصاب أحداً منكم وحشةٌ، أو نزل بأرض مجنَّة، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامَّات التي لا يجاوزها بَرٌّ ولا فاجِر مِن شرِّ ما يَلِجُ في الأرض وما يَخرجُ منها، وما ينزل مِن السماء وما يَعرُج فيها، ومن فِتَن النهار، ومن طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير»[٢].

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: الإنس ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيُّها الجِنُّ، على أنَّه كلام بعضهم لبعض ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ أي: من الرسل على أحد من العباد. وقيل: أن لن يبعثَ سبحانه أحداً بعد الموت. وأيّاً ما كان فالمراد: وقد أخطؤوا وأخطأتم، ولعلَّه متعلّق الإيمان. وقيل: المعنى: أنَّ الجِنَّ ظنُّوا كما ظننتم أيُّها الكفرة أن لن.. إلخ، فتكون هذه الآية من جملة الكلام الموحى به، معطوفة على قوله تعالى: «أنَّه استمع»، وعلى قراءة الكسر تكون استئنافاً من كلامه تعالى، وكذا

(١) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٦.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٧١-٢٧٢.

ما قبلها على ما قيل. وفي «الكشاف»[1]: قيل: الآيتان ـ يعني هذه وقوله تعالى: «وأنَّه كان رجال» إلخ ـ من جملة الموحى. وتَعقَّب ذلك في «الكشف» بأنَّ فيه ضعفاً؛ لأنَّ قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ إلخ من كلام الجِنِّ، أو ممَّا صدَّقوه، على القراءتين؛ لا[2] مِن الموحى إليه فتخلَّل ما تخلَّل، وليس اعتراضاً غير جائز إلا أن يؤوَّل بأنَّه يجري مجراه؛ لكونه يؤكِّد ما حدَّث عنهم في تماديهم في الكفر أوَّلاً، ولا يخفى ما فيه من التكلُّف. انتهى.

وأبو السعود[3] اختار في جميع الجمل المصدَّرة بـ «أنَّا» العطفَ على «أنَّه استمع» على نحو ما سمعتَ عن أبي حاتم، وقد سمعتَ ما فيه آنفاً.

و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، اسمها ضميرُ الشأن، والجملة بعدها خبر، وجملة «أن لن يبعث» إلخ، قيل: سادَّة مسدَّ مفعوليَ «ظنُّوا»، وجوّز أن تكون سادَّة مسدَّ مفعولَي «ظننتم»، ويكون السادُّ مسدَّ مفعولَي الأوَّل محذوفاً كما هو المختار في أمثال ذلك، ورجّح الأوَّل في الآية بأنَّ «ظنُّوا» هو المقصود فيها، فجعل المعمول المذكور له أحسن، وأمَّا «كما ظننتم» فمذكور بالتَّبع، ومنه يُعلَم أنَّ كون المختار إعمال الثاني في باب التنازع ليس على إطلاقه.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: طلبنا بلوغَها لاستماع كلام أهلها، أو: طلبنا خبرها.

واللمس قيل: مستعار من المَسِّ للطلب كالجَسِّ، يقول: لَمَسَهُ والتمسَهُ وتلمَّسه، كطلبه واطَّلبه وتطلَّبه، والظاهر أنَّ الاستعارة هنا لغويَّة؛ لأنَّه مجاز مرسل لاستعماله في لازم معناه، و«السماء»[4] على ظاهرها.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا﴾ أي: صادفناها وأصبناها، فـ «وجد» متعدٍّ لواحد، وقوله تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ في موضع الحال بتقدير «قد» أو بدونه، وإن كانت «وجد» من أفعال

---

(١) ٤/ ١٦٧.
(٢) في (م): لأن، والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب ٨/ ٢٥٧.
(٣) في تفسيره ٩/ ٤٤.
(٤) في (م): والسماع.

القلوب، فهذه الجملة في موضع المفعول الثاني. وقرأ الأعرج: «مُلِيَتْ» بالياء دون همز[(١)].

﴿حَرَسًا﴾ أي: حرَّاساً، اسم جمع كخَدَم، كما ذهب إليه جمع؛ لأنَّه على وزنٍ يغلبُ في المفردات كبَصَر وقَمَر، ولذا نسب إليه، فقيل: حَرَسِيّ. وذهب بعضٌ إلى أنَّه جمعٌ، والصحيح الأوَّل؛ ولذا وُصفَ بالمفرد فقيل: ﴿شَدِيدًا﴾ أي: قويّاً، ونحوُه قوله:

بَنَيْتُه بِعُصْبَة مِن ماليا
أخشى رُجيلاً ورُكَيْباً عاديا[(٢)]

ولو روعي معناه جُمع، بأن يقال: شِدَاداً، إلا أن يُنظَر لظاهر وزن فَعِيْل، فإنَّه يستوي فيه الواحد والجمع.

والمراد بالحَرَس: الملائكة عليهم السلام الذين يمنعونهم عن قُرْب السماء.

﴿وَشُهُبًا ⑧﴾ جمع: شهاب، وقد مرَّ الكلام فيه. وجوَّز بعضهم أن يكون المراد بالحَرَس الشهبَ، والعطفُ مِثْلُه في قوله:

وهندٌ أتى مِن دونها النَّأْيُ والبُعْدُ[(٣)]

وهو خلافُ الظاهر.

ودخول «أنَّا لمسنا» إلخ في حيِّز الإيمان ـ وكذا أكثر الجمل الآتية ـ في غاية الخفاء، والظاهر تقدير نحو: نخبركم، فيما لا يظهر دخوله في ذلك، أو تأويل «آمنَّا» من أوَّل الأمر بما ينسحب على الجميع.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٤٩ وهي قراءة أبي جعفر كما في النشر ١/ ٣٩٦.

(٢) الرجز لأُحيحة بن الجلاح، وهو في المنصف لابن جني ٢/ ١٠١، وشرح شواهد الإيضاح لابن بري ص٥٦٣، وشرح الشافية للأستراباذي ٢/ ٢٠٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/ ٧٧، وخزانة الأدب ٣/ ٣٥٩.

(٣) عجز بيت للحطيئة وهو في شرح ديوانه ص١٤٠، وصدره:
ألا حبَّذا هند وأرض بها هند

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ قبل هذا ﴿مِنْهَا﴾ أي: من السماء ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: مقاعد كائنة للسمع خالية عن الحَرَس والشُّهُب، أو: صالحة للترصُّد والاستماع، و«للسمع» متعلِّق بـ «نقعد» أي: لأجل السمع، أو بمضمرٍ هو صفةٌ لـ «مقاعد». وكيفيَّةُ قعودهم على ما قيل: ركوبُ بعضِهم فوق بعض، وروي في ذلك خبر مرفوع[1]، وقيل: لا مانع من أن يكون بعروج مَن شاء منهم بنفسه إلى حيث يسمع منه الكلام.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾ قال في «شرح التسهيل»: «الآن» معناه هنا: القُرب مجازاً، فيصحُّ مع الماضي والمستقبل[2]. وفي «البحر»[3]: إنَّه ظرف زمان للحال، و«يستمع» مستقبل، فاتُّسع في الظرف واستعمل للاستقبال كما قال:

سأسعى الآن إذ بلغت أناها[4]

فالمعنى: فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ أي: يجد شهاباً راصداً له ولأجله يصدُّه عن الاستماع بالرَّجْم، فـ «رصدًا» صفة «شهاباً»، فإن كان مفرداً فالأمر ظاهر، وإن كان اسمَ جمع للراصد كحرس، فوَصْفُ المفرد به لأنَّ الشهاب لشدَّة مَنْعِه وإحراقه جُعل كأنَّه شهب، ونظير ذلك وصف المِعَى ـ وهو واحد الأمعاء ـ بجياع في قول القتامي:

كأنَّ قيود رجلي حين ضَمَّتْ حَوالب غُرَّزاً ومعًى جياعاً[5]

---

(١) أخرج البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن نبيَّ الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، . . . فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان بكفِّه فحرفها، وبدَّد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة. . .» الحديث.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٧.

(٣) ٨/ ٣٤٩.

(٤) عجز بيت لعنترة، وهو في ديوانه ص٧٧، وصدره:

فإني لست خاذلكم ولكن

وأناها: منتهاها.

(٥) سلف ١٦/ ٤٠٠.

وجوِّز كونُه مفعولاً به، أي: لأجل الرصد، وقيل: يجوز أن يكون اسمَ جمع صفة لما قبله، بتقدير: ذوي شهاب، فكأنَّه قيل: يجد له ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة عليهم السلام الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، وفيه بُعْدٌ.

وفي الآية ردٌّ على من زعم أنَّ الرجم حدث بعد مبعثِ رسولِ الله ﷺ وهو إحدى آياته عليه الصلاة والسلام حيث قيل فيها: «ملئت» وهو ـ كما قال الجاحظ[1] ـ ظاهرٌ في أنَّ الحادث هو الملْءُ والكثرة. وكذا قوله سبحانه: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ﴾ على ما في «الكشاف»[2]، فكأنَّه قيل: كنَّا نجد فيها بعضَ المقاعد خاليةً من الحرس والشهب، والآن مُلِئَت المقاعد كلُّها، فمن يستمع.. إلخ، ويدلُّ على وجود الشهب قَبْلُ ذِكْرُها في شعر الجاهلية، قال بشر بنُ أبي خازم:

والعَيْرُ يُرهِقها الغبارُ وجَحْشُها ... يَنقضُّ خَلْفهما انقضاضَ الكوكبِ[3]

وقال أوس بن حجر:

وانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبعه ... نَقْعٌ يثور تَخاله طُنُباً[4]

وقال عوف بن الخَرِع[5] يصف فرساً:

يردُّ علينا العَيْرَ من دون إلفِهِ ... أو الثورَ كالدُّرِّيِّ يَتْبعه الدَّمُ[6]

فإنَّ هؤلاء الشعراء كلّهم كما قال التبريزيُّ: جاهليون ليس فيهم مخضرم[7].

---

(١) ونقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٤٩، وكلام الجاحظ في الحيوان ٦/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) ٤/ ١٦٨.

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ص٨١، والكشاف ٤/ ١٦٨، وفيهما: الخَبَار، بدل: الغبار. والخَبَار: أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم. شبَّه الجحش بالكوكب المنقضّ في سرعته وبياضه.

(٤) سلف ١٣/ ٤٢٦.

(٥) جاء في هامش الأصل: بالخاء معجمة، وراء يروى مفتوحة ومكسورة. انتهى منه.

(٦) الحيوان للجاحظ ٦/ ٢٧٥، والمعاني الكبير للدينوري ٢/ ٧٣٩، وورد في الحيوان: أنفه، بدل: إلفه.

(٧) البحر المحيط ٨/ ٣٤٩.

وما رواه الزهريُّ، عن عليِّ بنِ الحسين رضي الله عنهما، عن ابنِ عباس: بينما رسولُ الله ﷺ جالس في نَفَرٍ من الأنصار إذ رمي بنجم، فاستنار فقال: «ما كنتم تقولون في مثلِ هذا في الجاهلية». قالوا: كنَّا نقول: يموت عظيم، أو: يولد عظيم[1]. وروي عن معمر: قلت للزهريِّ: أكان يُرمَى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيتَ قولَه تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾؟ فقال: غُلِّظت، وشُدِّد أمرُها حين بُعثَ النبيُّ ﷺ[2]. وكأنَّه أخذ ذلك من الآية أيضاً.

وقال بعضهم: إنَّ الرميَ لم يكن أوَّلاً، ثم حدث للمنع عن بعض السماوات، ثم كَثُرَ ومنع به الشياطين عن جميعها يوم تنبّأ النبيُّ عليه الصلاة والسلام.

وجوّز أن تكون الشهب مِن قَبْلُ لحوادث كونيَّة لا لمنع الشياطين أصلاً، والحادث بعد البعثة رميُ الشياطين بها على معنى أنَّهم إذا عَرجوا للاستماع رُمُوا بها، فلا يلزم أيضاً أن يكون كلّ ما يحدث من الشهب اليوم للرمي، بل يجوز أن يكون لأمور أُخَرَ بأسباب يعلمها الله تعالى، ويجاب بهذا عن حدوث الشهب في شهر رمضان مع ما جاء من أنَّه تُصفَّد مردةُ الشياطين فيه[3]، ولمن يقول: إنَّ الشهب لا تكون إلا للرمي، جواب آخر مذكور في موضعه.

وذِكْرُ وجدانهم المقاعد مملوءةً من الحراس ومنعِ الاستراقِ بالكليَّة، قيل: بيانٌ لِمَا حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسولِ الله ﷺ واستمعوا قراءَته عليه الصلاة والسلام، وقولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسة السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ أي: خيراً، كالتَّتمَّة لذلك، فالحامل في الحقيقة تغيُّر الحال عمَّا كانوا أَلِفوه، والاستشعارُ أنَّه لأمرٍ خطير، والتشوُّقُ إلى الإحاطة به خبراً.

ولا يخفى ما في قولهم: «أشرٌّ أُريدَ» إلخ من الأدب حيث لم يُصرِّحوا بنسبة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٩)، والترمذي (٣٢٢٤)، وأحمد (١٨٨٢).

(٢) أورده البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) أخرج البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

الشَّرِّ إلى الله عزَّ وجلَّ كما صرَّحوا به في الخير، وإن كان فاعل الكُلِّ هو الله تعالى، ولقد جمعوا بين الأدب وحُسْن الاعتقاد.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أي: الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم، المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرةُ السليمة، لا إلى الشَّرِّ والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة.

﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قوم دون ذلك المذكور، ويطَّرد حذف الموصوف إذا كان بعضَ اسم مجرور بـ «من» مقدَّم عليه، والصفة ظرف ـ كما هنا ـ أو جملة، كما في قوله: منَّا أقام ومنَّا ظعن. وأرادوا بهؤلاء القوم: المقتصدين في صلاح الحال على الوجه السابق، لا في الإيمان والتقوى كما قيل، فإنَّ هذا بيانٌ لحالِهم قبل استماع القرآن كما يُعرِب عنه قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ وأمَّا حالهم بعد استماعه فستُحكى بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ إلخ [الآيتان: ١٣-١٤]. وجوَّز بعضهم كون «دون» بمعنى «غير»، فيكون «دون ذلك» شاملاً للشرير المحض. وأيّاً ما كان فجملة «كنَّا» إلخ تفسيرٌ للقسمة المتقدِّمة، لكن قيل: الأنسب عليه كون «دون» بمعنى «غير».

والكلام على حذف مضاف، أي: كنَّا ذوي طرائق، أي: مذاهب، أو: مثل طرائق في اختلاف الأحوال، أو: كانت طرائقنا طرائقَ قدداً، وكون هذا مِن تلقِّي الركبان لا يُلتفت إليه، وعدم اعتبار التشبيه البليغ ليستغنى عن تقدير مثل، قيل: لأنَّ المحلَّ ليس محلَّ المبالغة. وجوَّز الزمخشريُّ[1] كون «طرائق» منصوباً على الظرفيَّة بتقدير «في»، أي: كنَّا في طرائق، وتعقِّب بأنَّ الطريق اسمٌ خاصٌّ لموضع يُستَطرق فيه، فلا يقال للبيت أو المسجد: طريق، على الإطلاق، وإنَّما يقال: جعلت المسجد طريقاً، فلا ينتصب مثله على الظرفيَّة إلا في الضرورة، وقد نصَّ سيبويه على أنَّ قولَه:

... كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

---

(١) الكشاف ٤/١٦٩.

شاذٌّ[١]، فلا يُخرَّج القرآنُ الكريم على ذلك. وقال بعض النحاة: هو ظرف عامٌّ؛ لأنَّ كلَّ موضع يُستَطرَق: طريقٌ.

والقِدَد: المتفرِّقة المختلفةُ، قال الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي بطاعتِه ... في فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدَدُ[٢]

جمع: قِدَّة، مِن قَدَّ إذا قطع، كأنَّ كلَّ طريق لامتيازها مقطوعةٌ مِن غيرها.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: علمنا الآن ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: أنَّ الشأنَ لن نُعجِز الله تعالى كائنين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أينما كنَّا مِن أقطارها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ أي: هاربين منها إلى السماء، فالأرض محمولة على الجملة، ولمَّا كان «ولن» إلخ في مقابلة ما قَبلُ، لزم أن يكون الهربُ إلى السماء، وفيه تَرَقٍّ ومبالغة، كأنَّه قيل: لن نُعجِزَه سبحانه في الأرض ولا في السماء.

وجوِّز أن لا ينظر إلى عموم ولا خصوص كما في: أرسلها العراك، ويجعل الفوت على قسمين أخذاً من لفظ الهرب، والمعنى: لن نُعجِزه سبحانه في الأرض إن أراد بنا أمراً، ولن نُعجِزه عزَّ وجلَّ هرباً إن طلبنا، وحاصله: إن طلبنا لم نَفُتْه، وإن هربنا لم نخلص منه سبحانه، وفائدة ذِكْر الأرض تصوير أنَّها مع هذه البسطة والعراضة ليس فيها مَنْجًى منه تعالى ولا مهرب؛ لشدَّة قدرته سبحانه، وزيادةِ تمكُّنه جلَّ وعلا، ونحوه قول القائل:

وإنَّكَ كالليل الذي هو مُدرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عنكَ واسِعُ[٣]

وقيل: فائدة ذِكْر الأرض تصوير تمكُّنهم عليها، وغاية بعدها عن مِحلِّ استوائه سبحانه وتعالى. وليس بذاك.

---

(١) الكتاب ١/ ٣٥-٣٦، وتمام البيت:

لَدْنٌ بهزِّ الكفِّ يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريقَ الثعلب

وسلف ٩/ ٥١.

(٢) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٣.

(٣) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٨١.

وكون «في الأرض» و«هرباً» حالين كما أشرنا إليه هو الذي عليه الجمهور، وجوّز في «هرباً» كونه تمييزاً محوّلاً عن الفاعل، أي: لن يُعجزه سبحانه هَرَبُنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: القرآن الذي هو الهدى بعينه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ مِن غير تَلَعْثم وتردُّد ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ وبما أنزله عزَّ وجلَّ ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ جواب الشرط، ومِثْلُه من المنفي بـ «لا» يصحُّ فيه دخول الفاء وتَركُها، كما صرَّح به في «شرح التسهيل» إلا أنَّ الأحسن تَرْكُها، ولذا قدّر هاهنا مبتدأ لتكون الجملة اسميَّة، ولزومُ اقترانها بالفاء إذا وقعت جواباً، إلا فيما شذَّ من نحو:

مَن يفعلِ الحسناتِ اللهُ يَشكرُها[(١)]

معلوم. وبعضهم أوجب التقدير؛ لزعمه عدم صحَّة دخول الفاء في ذلك، أي: فهو لا يخاف ﴿بَخْسًا﴾ أي: نقصاً في الجزاء، وقال الراغب: البَخْس: نَقْصُ الشيءِ على سبيل الظلم[(٢)]. ﴿وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ أي: غشيان ذلَّة مِن قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧] وأصله: مُطلَق الغشيان، وقال الراغب: رَهِقَه الأمرُ، أي: غَشِيَه بقَهْر[(٣)]. وفي «الأساس»: رهقه: دنا منه، وصبيٌّ مُراهق: مُدانٍ للحُلُم[(٤)]. وفي «النهاية»: يقال: رجل فيه رَهَق: إذا كان يَخِفُّ إلى الشَّرِّ ويغشاه[(٥)].

وحاصل المعنى: فلا يخاف أن يبخسَ حقّه ولا أن ترهقه ذلّة، فالمصدر ـ أعني «بخساً» ـ مقدَّر باعتبار المفعول، وليس المعنى على أنَّ غيرَ المؤمن يُبْخَسُ حقّه، بل النظر إلى تأكيد ما ثبت له من الجزاء وتوفيره كملاً، وأما غيره فلا نصيبَ له فضلاً عن الكمال، وفيه أنَّ ما يُجزَى به غير المؤمن مبخوسٌ في نفسه، وبالنسبة إلى هذا الحقِّ فيه كلُّ البخس وإن لم يكن هناك بخس حقٍّ. كذا في «الكشف».

---

(١) وتمامه: والشَّرُّ بالشَّرِّ عند الله مِثْلان. وسلف ٦/ ١٥٢.
(٢) المفردات (بخس).
(٣) المفردات (رهق).
(٤) أساس البلاغة (رهق).
(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (رهق).

أو: فلا يخاف بخساً ولا رهقاً؛ لأنَّه لم يبخس أحداً حقًّا ولا رهقه ظلماً، فلا يخاف جزاءهما، وليس من إضمار مضاف ـ أعني الجزاء ـ بل ذلك بيان لحاصل المعنى وأنَّ ما ذكر في نفسه مخوف، فإنَّه يصحُّ أن يقال: خفتُ الذنب، و: خفتُ جزاءَه؛ لأنَّ ما يتولَّد منه المحذورُ محذورٌ، وفيه دلالة على أنَّ المؤمن لاجتنابه البخس والرهق لا يخافهما، فإنَّ عدمَ الخوف من المحذور، إنَّما يكون لانتفاء المحذور، وجاز أن يُحمَل على الإضمار، وأصل الكلام: فمن لا يبخسُ أحداً ولا يرهق ظلمه، فلا يخاف جزاءهما، فوضع ما في النظم الجليل موضعه؛ تنبيهاً بالسبب على المسبّب. والأوَّل كما قيل أظهر وأقرب مأخذاً.

وأخرج ابنُ المنذر وابنُ أبي حاتم عن ابنِ عباس أنَّه قال في الآية: لا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادةً في سيئاته[1]. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال: «فلا يخاف بخساً»: ظلماً، بأن يُظلَمَ من حسناته فينتقصَ منها شيء، «ولا رهقاً»: ولا أن يُحمَل عليه ذنبُ غيره. وأخرج نحوه عن الحسن. ولعلَّ المعنى الأوَّل أنسبُ بالترغيب بالإيمان وبلفظ الرهق أيضاً، نظراً إلى ما سمعت مِن قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧].

وقرأ ابنُ وثاب والأعمش: «فلا يَخَفْ» بالجزم[2] على أن «لا» ناهية لا نافية؛ لأنَّ الجوابَ المقترن بالفاء لا يصحُّ جزمه. وقيل: الفاء زائدة، و«لا» للنفي، وليس بشيء، وأيًّا ما كان فالقراءة الأولى أدلُّ على تحقُّق أنَّ المؤمن ناجٍ لا محالةَ، وأنَّه هو المختصُّ بذلك دون غيره، وذلك لتقدير «هو» عليها، وبناء الفعل عليه نحو: هو عرف، ويجتمع فيه التقوِّي والاختصاص إذا اقتضاهما المقام.

وقرأ ابن وثاب: «بَخَساً» بفتح الخاء المعجمة[3].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن طريق الحقِّ الذي هو الإيمان والطاعة، يقال: قَسَطَ الرجلُ: إذا جار، وأنشدوا:

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٧٤، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٢.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٠.

قـومٌ هـمُ قـتـلـوا ابـنَ هـنـدٍ عَـنْـوةً عَـمْـراً وهـم قَسَطُوا على النعمانِ[(١)]

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ﴾ الإشارة إلى مَن أسلم، والجمع باعتبار المعنى ﴿تَحَرَّوْا﴾ توخَّوا وقصدوا ﴿رَشَدًا ۝١٤﴾ عظيماً بلَّغهم إلى الدار للثواب، وقرأ الأعرج: «رُشْداً» بضمِّ الراء وسكون الشين[(٢)].

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن سَنَن الإسلام ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ تُوقَد بهم كما تُوقَد بكفرة الإنس، واستُظْهِر أنَّ «فمن أسلم» إلخ مِن كلام الجِنِّ. وقال ابنُ عطيَّة: الوجه أن يكون مخاطبةً من الله تعالى لنبيِّه ﷺ، ويؤيِّده ما بعد مِن الآيات[(٣)]. وفي «الكشاف»: زعم مَن لا يرى للجِنِّ ثواباً أنَّ الله تعالى أَوعدَ قاسطيهم وما وعد مسلميهم، وكفى به وعداً أنْ قال سبحانه: (فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) فذكر سببَ الثواب، والله عزَّ وجلَّ أعدل مِن أن يعاقب القاسطَ ولا يثيبَ الراشد[(٤)]. وهو ظاهر في أنَّه مِن كلامه عزَّ وجلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ إلخ معطوف قطعاً على قوله سبحانه: «أنَّه استمعَ» ولا يضرُّ تقدُّم المعطوف على غيره على القول به؛ لظهور الحال وعدم الالتباس، و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. وقرأ الأعمش وابن وثاب بضمِّ واو «لو»[(٥)].

والمعنى: وأوحيَ إليَّ أنَّ الشأن لو استقام الإنس والجِنُّ أو كلاهما ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ التي هي ملَّة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦﴾ أي: كثيراً، وقرأ عاصم في رواية الأعمش بكسر الدال[(٦)]، والمراد: لوسَّعنا عليهم الرزقَ، وتخصيص الماء

---

(١) البيت للفرزدق، وهو في الشعر والشعراء ١/ ٢٣٥، والأغاني ١١/ ٥٤، والخزانة ٦/ ٩.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.
(٤) الكشاف ٤/ ١٦٩.
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحتسب ٢/ ٣٣٣.
(٦) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢، وورد في مطبوعهما: الأعشى، بدل: الأعمش.

الغَدَق بالذِّكْر؛ لأنَّه أصلُ المعاش، وكثرته أصل السعة، فقد قيل: المالُ حيث الماء، ولعزَّة وجوده بين العرب.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم كيف يشكرونه، أي: لنعاملهم معاملةَ المختبر، وقيل: لو استقام الجِنُّ على الطريقة المثلى، أي: لو ثبت أبوهم الجانُّ على ما كان عليه مِن عبادة الله تعالى وطاعته سبحانه ولم يتكبَّر عن السجود لآدمَ ولم يَكفُر وتَبِعَه ولدُه على الإسلام، لأنعمنا عليهم ووسَّعنا رزقهم لنختبرهم، ويجوز على هذا رجوع الضمير إلى «القاسطين» وهو المرويُّ عن ابنِ عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير، واعتبار المثلى، قيل: لأنَّ التعريف للعهد، والمعهود طريقة الجِنِّ المفضلة على غيرها، وقيل: لأنَّ جعلها طريقةً وما عداها ليس بطريقة يُفهَم منه كونها مفضَّلة.

وقيل: المعنى أنَّه لو استقام الجِنُّ على طريقتهم ـ وهي الكفر ـ ولم يُسلِموا باستماع القرآن لوسَّعنا عليهم الرزق استدراجاً لنوقعهم في الفتنة ونعذِّبهم في كفران النعمة. وروي نحو هذا عن الضَّحَّاك والربيع بنِ أنس وزيد بنِ أسلم وأبي مجلز، بَيْدَ أنَّهم أعادوا الضمير على مَن أسلم، وقالوا: أي: لو كفر مَن أسلم من الناس لأسقيناهم.. إلخ، وهو مخالف للظاهر؛ لاستعمال الاستقامة على الطريقة في الاستقامةِ على الكفر وكون النعمة المذكورة استدراجاً مِن غير قرينة عليه مع أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟﴾ [الأعراف:٩٦] إلخ يؤيِّد الأوَّل. وزعم الطيبي أنَّ التذييل بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ إلخ ينصر ما قيل، قال: لأنَّه توكيد لمضمون السابق مِن الوعيد، أي: لنستدرجهم فيتَّبعوا الشهواتِ التي هي موجبة للبَطَر والإعراض عن ذِكْر الله تعالى، وفيه نظر.

والذِّكْر مصدر مضاف لمفعوله تُجُوِّز به عن العبادة، أو هو بمعنى التذكير مضاف لفاعله، ويفسَّر بالموعظة. وقال بعضهم: المراد بالذِّكْر الوحي، أي: ومَن يُعرِض عن عبادة ربِّه تعالى، أو: عن موعظته سبحانه، أو: عن وحيه عزَّ وجلَّ.

﴿يَسْلُكْهُ﴾ مضمَّن معنى: ندخله، ولذا تعدَّى إلى المفعول الثاني، أعني: قوله تعالى: ﴿عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾ بنفسه دون «في»، أو هو من باب الحذف

والإيصال. والصَّعَد مصدر وصف به مبالغة أو تأويلاً، أي: ندخله عذاباً يَعلو المعذَّب ويغلبه، وفسِّر بشَاقٍّ، يقال: فلان في صَعَد مِن أمره، أي: في مشقَّة، ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تَصعَّدني شيءٌ كما تَصعَّدني خطبةُ النكاح. أي: ما يشقُّ عليَّ[١]، وكأنَّه إنَّما قال ذلك؛ لأنَّه كان مِن عادتهم أن يذكروا جميعَ ما كان في الخاطب من الأوصاف الموروثة والمكتسبة، فكان يشقُّ عليه ارتجالاً، أو كان يشقُّ أن يقول الصدقَ في وجه الخاطب وعشيرتِه، وقيل: إنَّما شَقَّ مِن الوجوه ونَظَرِ بعضهم إلى بعض.

وقال أبو سعيد الخدري وابن عباس: صَعَد: جبلٌ في النار. قال الخدريُّ: كلَّما وضعوا أيديهم عليه ذابت. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يُكلَّف صعودها، فإذا انتهى إلى أعلاها حُدرَ[٢] إلى جهنم. فعلى هذا قال أبو حيَّان: يجوز أن يكون بدلاً مِن عذاب، على حذف مضاف، أي: عذاب صعد، ويجوز أن يكون مفعولَ «نسلكه»، و«عذاباً» مفعول من أجله[٣].

وقرأ الكوفيون: «يسلكه» بالياء وباقي السبعة بالنون[٤]، وابن جندب بالنون مِن أَسْلَكَ[٥]، وبعض التابعين بالياء كذلك[٦]، وهما لغتان: سَلَكَ وأَسْلَكَ، قال الشاعر يصف جيشاً مهزومين:

حتى إذا أَسلَكُوهم في قُتَائِدةٍ[٧] شَلًّا كما تَطْرُدُ الجمَّالةُ الشُّرُدا[٨]

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢، وورد فيه هكذا: ما يتصعد بي شيء كما يتصعد في خطبة النكاح.
(٢) في(م): جدر.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢.
(٤) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢.
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣.
(٦) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢ وما بعده منه أيضاً.
(٧) جاء في هامش الأصل و(م): قتائدة: ثنيَّة معروفة. انتهى منه.
(٨) البيت في ديوان الهذليين ٢/ ٤٢، وأدب الكاتب ص٤٣٤، وخزانة الأدب ٣/ ١٧٠، ١٧٤ (دار صادر) منسوب لعبد مناف بن ربع الهذلي. والشَّل: الطرد. والشُّرُد: الإبل التي تفرُّ من الشيء إذا رأته.

وقرأ قوم: «صُعُداً» بضمَّتين[1]، وابن عباس والحسن: بضمِّ الصاد وفتح العين[2]. قال الحسن: معناه: لا راحةَ فيه.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ عطف على «أنَّه استمع» فهو من جملة الموحى، والظاهر أنَّ المراد بالمساجد المواضعُ المعدَّة للصلاة والعبادة، أي: وأوحيَ إليَّ أنَّ المساجد مختصَّة بالله تعالى شأنه ﴿فَلَا تَدْعُوا۟﴾ أي: فلا تعبدوا فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ غيره سبحانه. وقال الحسن: المراد كلُّ موضع سُجِدَ فيه مِن الأرض، سواء أُعدَّ لذلك أم لا، إذ الأرض كلُّها مسجدٌ لهذه الأمَّة. وكأنَّه أخذ ذلك ممَّا في الحديث الصحيح: «جُعلت ليَ الأرض مسجداً وطهوراً»[3]، واشتهر أنَّ هذا من خصائص نبيِّنا ﷺ، أي: شريعته، فيكون له ولأمته عليه الصلاة والسلام، وكان مِن قَبْلُ إنَّما تباح لهم الصلاة في البِيَع والكنائس. واستُشكل بأنَّ عيسى عليه السلام كان يُكثِر السياحةَ، وغيره من الأنبياء عليهم السلام يسافرون، فإذا لم تَجز لهم الصلاةُ في غيرِ ما ذُكر، لزم تَرْكُ الصلاة في كثير مِن الأوقات، وهو بعيدٌ لا سيما في الخَضِر عليه السلام، ولذا قيل: المخصوص كونها مسجداً وطهوراً، أي: المجموع، ويكفي في اختصاصه اختصاص التيمُّم. وأُجيب بأنَّ المرادَ الاختصاصُ بالنسبة إلى الأمم السالفة دون أنبيائها عليهم السلام، والخَضِر إن كان حيًّا اليوم فهو من هذه الأمَّة سواء كان نبيًّا أم لا؛ لخبر: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتِّباعي»[4]، وحكمه قَبْلَه نَبِيًّا ظاهر، والأمر فيه غير نبيٍّ سهل.

وقيل: المراد بها المسجد الحرام، أي: الكعبة نفسُها، أو الحرم كلُّه على ما قيل، والجمع لأنَّ كلَّ ناحية منه مسجدٌ له قِبْلة مخصوصة، أو لأنَّه لمَّا كان قِبْلَةَ المساجد ـ فإنَّ كلَّ قِبلة متوجِّهة نحوه ـ جُعل كأنَّه جميعُ المساجد مجازاً.

وقيل: المراد هو وبيتُ المقدس، فقد أخرج ابنُ أبي حاتم عن ابنِ عباس: لم

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢.
(٢) جاء في هامش الأصل: أي: طرداً. انتهى منه. والقراءة في البحر المحيط ٨/ ٣٥٢.
(٣) سلف ٢/ ٤٠٣.
(٤) سلف ٢/ ١٤٢.

يكن يوم نزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ إلخ في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس[١]. وأَمْرُ الجمع عليه أظهرُ منه على الأوَّل، إلا أنَّه كالأوَّل خلافُ الظاهر، وما ذكر لا يتمُّ دليلاً له.

وقال ابن عطاء وابن جبير والزجَّاج والفرَّاء[٢]: المراد بها الأعضاء السبعة التي يُسجَد عليها، واحدها: مَسْجَد ـ بفتح الجيم ـ وهي القدمان والرُّكبتان والكفَّان والوجه، أي: الجبهة والأنف، وروي أنَّ المعتصم سأل أبا جعفر محمد بنَ عليّ بنِ موسى الكاظم رضي الله عنه عن ذلك، فأجاب بما ذكر[٣].

وقيل: السجدات، على أنَّ المسجَد ـ بفتح الجيم ـ مصدر ميميٌّ.

ونقل عن الخليل بنِ أحمد أنَّ قولَه تعالى: «وأنَّ المساجدَ» بتقدير لام التعليل، وهو متعلِّق بما بَعْدُ، و«المساجد» بمعناها المعروف، أي: لأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً، ولمَّا لم تكن الفاء في جواب شرط محقَّق كانت في الحقيقة زائدة، فلا يمتنع تقديمُ معمولِ ما بعدها عليها، نعم قال غير واحد: جِيءَ بها لتضمُّن الكلام معنى الشرط، والمعنى: إنَّ الله تعالى يُحبُّ أن يُوحَّد ولا يُشركَ به أحدٌ، فإن لم توحِّدوه في سائر المواضع، فلا تدعوا معه أحداً في المساجد؛ لأنَّ المساجد له سبحانه مختصَّة به عزَّ وجلَّ، فالإشراك فيها أقبحُ وأقبح، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ [قريش: ١-٣] على وجهٍ، ولا يُعدُّ ذلك من الشرط المحقَّق، ويندفع بما ذكر لزوم جعل الفاء لغواً؛ لأنَّها للسببيَّة، ومعناها مستفاد من اللام المقدَّرة، وقيل في دفعه أيضاً: إنها تأكيدٌ للَّام أو زائدة جِيءَ بها للإشعار بمعناها، وأنَّها مقدَّرة.

والخطاب في «تدعوا» قيل: للجِنِّ، وأُيِّد بما روي عن ابنِ جبير قال: إنَّ الجنَّ قالوا: يا رسول الله، كيف نشهدُ الصلاةَ معك على نَأْينا عنك؟ فنزلت الآية ليخاطبهم، على معنى: إنَّ عبادتكم حيث كانت مقبولةٌ إذا لم تُشركوا فيها.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٧٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٦، وللفراء ٣/ ١٩٤.

(٣) مجمع البيان ٢٩/ ٨٥.

وقيل: هو خطاب عامٌّ، وعن قتادة: كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله عزَّ وجلَّ، فأُمرنا أن نُخلِص لله تعالى الدعوةَ إذا دخلنا المساجد. يعني بهذه الآية. وعن ابنِ جريج بدل: فأُمرنا.. إلخ: فأمرهم أن يُوحِّدوه. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يتعلَّق بذلك أيضاً.

وقرأ - كما في «البحر»(١) - ابنُ هرمز وطلحة: «وإِنَّ المساجدَ» بكسر همزة «إنَّ»، وحمل ذلك على الاستئناف.

﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بفتح الهمزة عند الجمهور على أنَّه عطف على «أنَّه استمع» كالذي قبله، فهو من كلامه تعالى، أي: وأوحيَ إليَّ أنَّ الشان ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أي: النبيُّ ﷺ، وقوله تعالى: ﴿يَدْعُوهُ﴾ حال من «عبد»، أي: لما قام عابداً له عزَّ وجلَّ، وذلك قيامه عليه الصلاة والسلام لصلاة الفجر بنخلة كما مرَّ.

﴿كَادُوا۟﴾ أي: الجِنُّ، كما قال ابن عباس والضَّحَّاك ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ متراكمين مِن ازدحامهم عليه تعجُّباً ممَّا شاهدوا مِن عبادته وسمعوا مِن قراءته، واقتداءِ أصحابه به، قياماً وركوعاً وسجوداً؛ لأنَّهم رَأَوا ما لم يَرَوا مِثْلَه، وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره، وهذا كالظاهر في أنَّهم كانوا كثيرين لا تسعةً ونحوها.

وإيراده عليه الصلاة والسلام بلفظ العبد دون لفظ النبيِّ أو الرسول أو الضمير؛ إمَّا لأنَّه مقول على لسانه ﷺ، لأنَّه أُمِرَ أن يقولَ: أُوحي كذا، فجيء به على ما يقتضيه مقامُ العبودية والتواضع، أو لأنَّه تعالى عدل عن ذلك تنبيهاً على أنَّ العبادة مِن العبد لا تستبعد، ونقل عليه الصلاة والسلام كلامَه سبحانه كما هو رفعاً لنفسه عن البَيْن، فلا وجود للأثر بعد العين، وحيث كان هذا العدول منه جلَّ وعلا إمَّا لكذا أو لكذا، لا أنَّه تصرُّف مِن رسول الله ﷺ، لم يمتنع كما قال بعض الأجلَّة الجمع بين الحُسْنَيين.

وقال الحسن وقتادة: ضمير «كادوا» لكفَّار قريش والعرب، فيراد بالقيام القيام بالرسالة، وبالتلبُّد التلبُّد للعداوة، والمعنى: وأنَّه لما قام عبدُ الله بالرسالة يَدعو الله

---

(١) ٨/ ٣٥٢، وينظر إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٢٢٢.

تعالى وحدَه ويَذَرُ ما كانوا يدعون مِن دونه كادوا لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمونَ عليه متراكمين. وجوّز أن يكون الضمير على هذا للجِنِّ والإنس، وعن قتادة أيضاً ما يقتضيه، قال: تلبَّدت الإنس والجِنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله تعالى إلا أن ينصرَه ويُظهِره على مَن نَاوَأَه.

وفي «البحر»[1] أَبْعَدَ مَن قال: عبد الله هنا نوحٌ عليه السلام، كاد قومُه يقتلونه حتى استنقذَه اللهُ تعالى منهم. قاله الحسن، وأبعدُ منه قولُ مَن قال: إنَّه عبد الله بنُ سلام. اهـ.

ولعمري إنَّه لا ينبغي القول بذلك، ولا أظنُّ له صحَّة بوجهٍ من الوجوه. وقرأ نافع وأبو بكر ـ كما قدَّمنا ـ وابنُ هرمز وطلحة كما في «البحر»: «وإنَّه» بكسر الهمزة[2]، وحُملَ على أنَّ الجملة استئنافية مِن كلامه عزَّ وجلَّ، وجوّز أن تكون من كلام الجِنِّ معطوفة على جملة: «إنَّا سمعنا» حكوا فيها لقومهم لمَّا رجعوا إليهم ما رَأَوا مِن صلاته ﷺ وازدحامِ أصحابه عليه في ائْتِمامهم به، وحكي ذلك عن ابنِ جبير، وجوّز نحو هذا على قراءة الفتح بناءً على ما سمعتَ عن أبي حاتم، أو بتقدير: ونخبركم بأنَّه، أو نحوه.

هذا وفي «الكشف»: الوجه على تقدير أن يكون «وأنَّ المساجدَ» من جملة الموحى، أن يكون «فلا تدعوا» خطاباً للجِنِّ محكيًّا، إن جعل قوله تعالى: «وإنَّه لما قام» على قراءة الكسر من مقول الجِنِّ؛ لئلا ينفكَّ النظم لو جُعل ابتداءَ قصَّةٍ ووحياً آخَر منقطعاً عن حكاية الجِنِّ، وكذلك لو جعل ضمير «كادوا» للجِنِّ على قراءة الفتح أيضاً، والأصل: أنَّ المساجدَ لله فلا تدعوا أيُّها الجِنُّ مع الله أحداً، فقيل: قل يا محمد لمشركي مكَّة: أُوحيَ إليَّ كذا. وإذا كان كذلك فيجيءُ في ضمن الحكاية إثبات هذا الحكم بالنسبة إلى المخاطبين أيضاً لاتِّحاد العلَّة، وأما لو جعل خطاباً عامًّا فالوجه أن يكون ضمير «كادوا» راجعاً إلى المشركين أو إلى الجِنِّ والإنس، وأن يكون على قراءة الكسر جملةً استئنافيَّة ابتداءَ قصَّةٍ منه جلَّ شأنه في

---

(١) ٨/ ٣٥٣.

(٢) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢، والكلام منه.

الإخبار عن حالِ رسول الله ﷺ، وهو تمهيد لما يأتي مِن بَعْدُ وتوكيدٌ لما ذكر مِن قبل، فكأنَّه قيل: قل لمشركي مكَّة ما كان من حديث الجِنِّ وإيمانِ بعضهم وكفرِ آخرين منهم؛ ليكون حكايةُ ذلك لطفاً لهم في الانتهاء عمَّا كانوا فيه، وحثًّا على الإيمان، ثم قيل: وأنَّه لما قام عبدُ الله يَدعوه ويوحِّده كاد الفريقان من كفرة الجِنِّ والإنس يكونون عليه لِبَداً دلالة على عدم ارتداعهم مع هذه الدلائل الباهرة والآيات النيِّرة، وما أحسن التقابل بين قوله تعالى: «وأنَّ المساجدَ» وبين هذا القول، كأنَّهم نُهُوا كلُّهم عن الإشراك ودُعُوا إلى التوحيد، فقابلوا ذلك بعداوة مَن يوحِّد الله سبحانه ويَدعوه، ولم يَرضَوا بالإباء وحده. وهذا من خواصِّ الكتاب الكريم وبديعِ أسلوبه إذا أخَذَ في قصَّة غبَّ قصَّة جعلهما متناصفتين فيما سِيق له الكلام، وزاد عليه التآخي بينهما في تناسب خاتمة الأولى وفاتحةِ الثانية، ولعلَّ هذا الوجه مِن الوجاهة بمكان.

وأمَّا لو فسِّر بما حكي عن الخليل: ولأنَّ المساجدَ لله فلا تدعوا.. إلخ، فالوجه أن يكون استطراداً ذكر عقيب وعيد المُعرِض، والحمل على هذا على الأعضاء السبعة أظهرُ؛ لأنَّ فيه تذكيراً لكونه تعالى المنعِم[1] بها عليهم، وتنبيهاً على أنَّ الحكمة في خَلْقها خدمةُ المعبود من حيث العدولُ عن لفظ الأعضاء وأسمائها الخاصَّة إلى «المساجد»، ودلالةً على أنَّ ذلك ينافي الإشراك، وحينئذٍ لا يبقى إشكال في ارتباط ما بعده بما قبله على القراءتين والأوجه، والله تعالى أعلم. اهـ. فتأمَّل.

واللِّبَد بكسر اللام وفتح الباء ـ كما قرأ الجمهور ـ جمع: لِبْدَة ـ بالكسر ـ نحو كِسْرة وكِسَر: وهي الجماعات شُبِّهت بالشيء المتلبِّد بعضه فوق بعض، ويقال للجراد، ومنه ـ كما قال الجبائيُّ ـ قولُ عبد مناف بنِ رِبْع الهُذَليِّ:

صافوا بستَّةِ أبياتٍ وأربعةٍ حتَّى كأنَّ عليهم جابياً لبداً[2]

(١) تحرفت في (م) إلى: المنع.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والبيت في ديوان الهذليين ٢/ ٤٠ بلفظ: صابوا، بدل: صافوا، ومعنى صابوا: وقعوا. والجابي: الجراد. اللِّبَد: المتراكب بعضه على بعض.

وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر ـ بخلاف عنه ـ: «لُبَداً» بضمِّ اللام[1]، جمع لُبْدة، كزُبْرَة وزُبَر. وعن ابن محيصن أيضاً تسكين الباء وضمُّ اللام[2].

وقرأ الحسن والجحدريُّ وأبو حيوة وجماعة عن أبي عمرو: بضمَّتين[3]، جمع لَبْد كرَهْن ورُهُن، أو جمع لَبُود كصَبُور وصُبُر.

وقرأ الحسن والجحدري أيضاً بخلاف عنهما: «لُبَّداً» بضمِّ اللام وتشديد الباء[4]، جمع: لابِد، وأبو رجاء: بكسرها وشدِّ الباء المفتوحة[5].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ﴾ أعبد ﴿رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ﴾ في العبادة ﴿أَحَدًا ۝٢٠﴾ فليس ذلك ببِدْعٍ ولا مُستنكَر يوجب التعجُّب أو الإطباق على عداوتي.

وقرأ الأكثرون: «قال»[6] على أنَّه حكاية منه تعالى لقوله ﷺ للمتراكمين عليه، أو حكاية من الجِنِّ له عند رجوعهم إلى قومهم، فلا تغفل.

وقراءة الأَمْرِ ـ وهي قراءة عاصم وحمزة وأبي عمرو بخلاف عنه[7] ـ أظهرُ وأوفق لقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾ أي: ولا نفعاً، تعبيراً باسم السبب عن المسبَّب، والمعنى: لا أستطيع أن أضرَّكم ولا أنفعكم، إنَّما الضارُّ والنافع هو الله عزَّ وجلَّ. أو: لا أَملكُ لكم غيًّا ولا رَشَداً، على أنَّ الضَّرَّ مرادٌ به الغَيُّ تعبير باسم المسبَّب[8] عن السبب، ويدلُّ عليه قراءةُ أُبَيٍّ:

---

(١) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢ عن هشام، والكلام من البحر ٨/ ٣٥٣.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣.
(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والكلام منه، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٣ عن مجاهد.
(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحتسب ٢/ ٣٣٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، والدر المصون ١٠/ ٤٩٩ وقال: وهي غريبة جدًّا.
(٦) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢ عن أبي عمرو وابن عامر ونافع وابن كثير والكسائي وخلف ويعقوب.
(٧) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢ عن أبي جعفر وعاصم وحمزة، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣ والكلام منه.
(٨) في (م): السبب.

«غيًّا» بدل «ضرًّا»[1]، والمعنى: لا أستطيع أن أقسركم على الغيِّ والرّشد، إنَّما القادرُ على ذلك هو الله سبحانه وتعالى. وجوّز أن يكون في الآية الاحتباك، والأصل: لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعاً ولا غيًّا ولا رَشَداً، فتُرِك مِن كلا المتقابلين ما ذُكِرَ في الآخر.

وقرأ الأعرج: «رُشُداً» بضمَّتين[2].

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني سبحانه بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: معدلاً ومنحرفاً. وقال الكلبيُّ: مدخلاً في الأرض. وقال السُّدِّيُّ: حِرْزاً. وأصله المدخلُ مِن اللَّحد، والمراد ملجأ يركنُ إليه، وأنشدوا:

يا لهف نفسي ونفسي غيرُ مجديةٍ عنِّي وما مِن قضاء الله مُلْتَحدُ[3]

وجوَّز فيه الراغب[4] كونه اسمَ مكان وكونه مصدراً.

وهذا على ما قيل: بيانٌ لعَجْزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون نفسه بعد بيانِ عَجْزه ﷺ عن شؤون غيره.

وقيل: في الكلام حذف، وهو: قالوا: اترُك ما تَدعو إليه ونحن نُجيرُك. فقيل له: قل: «إنِّي لن يجيرني» إلخ. وقيل: هو جواب لقول وَرْدان سيِّد الجِنِّ وقد ازدحموا عليه: أنا أَزْجُلهم[5] عنك. فقال: «إنِّي لن يجيرني» إلخ، ذكره الماورديُّ، والقولان ليسا بشيء.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٥٣.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والبيت في النكت والعيون ٦/ ١٢١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥، وفتح القدير ٥/ ٣١٠، دون نسبة، ونسبه في الدر المنثور ٤/ ٢١٨ لخصيب الضمري، وورد في المصادر كلها عدا «البحر»: ولهفا، بدل: ونفسي.
(٤) المفردات (لحد).
(٥) في الأصل و(م): أرحلهم. وكذا وردت في مطبوع البحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والنقل منه، والمثبت من النكت والعيون للماوردي ٦/ ١٢١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥: ومعنى أزجلهم: أدفعهم. القاموس (زجل).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء من مفعول «لا أملك» كما يشير إليه كلام قتادة، وما بينهما اعتراض مؤكِّد لنفي الاستطاعة، فلا اعتراضَ بكثرة الفصل المبعِدة لذلك، فإنْ كان المعنى: لا أملك أن أضرَّكم ولا أنفعكم، كان استثناء متَّصلاً، كأنَّه قيل: لا أملك شيئاً إلا بلاغاً، وإن كان المعنى: لا أملك أن أقسركم على الغيِّ والرشد، كان منقطعاً، أو من باب:

لا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم[1]

كما في «الكشف»، وظاهرُ كلام بعض الأجلَّة أنَّه إمَّا استثناء متصل من «رشداً» فإنَّ الإبلاغ إرشاد ونفع، والاستثناء من المعطوف دون المعطوف عليه جائز، وإمَّا استثناء منقطع من «ملتحداً»، قال الرازيُّ: لأنَّ البلاغ من الله تعالى لا يكون داخلاً تحت قوله سبحانه: (مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا) لأنَّه لا يكون مِن دون الله سبحانه، بل منه جلَّ وعلا وبإعانته وتوفيقه[2].

وفي «البحر»: قال الحسن: هو استثناء منقطع، أي: لن يجيرني أحدٌ، لكن إنْ بَلَّغتُ رحمني[3] بذلك، والإجارة مستعارة للبلاغ إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته سبحانه، وقيل: هو على هذا المعنى استثناء متصل، والمعنى: لن أجد شيئاً أميل إليه وأعتصم به إلَّا أن أبلِّغ وأطيعَ فيجيرَني، فيجوز نصبه على الاستثناء مِن «ملتحداً» أو على البدل وهو الوجه؛ لأنَّ قبله نفياً، وعلى البدل خرَّجه الزجَّاج[4]. انتهى. والأظهر ما تقدَّم.

وقيل: إنَّ «إلَّا» مركَّبة مِن «إنْ» الشرطيَّة و«لا» النافية، والمعنى: إن لا أُبَلِّغْ بلاغاً، وما قبله دليل الجواب، فهو كقولك: إلَّا قياماً فقعوداً. وظاهره: أنَّ المصدر سدَّ مسدَّ الشرط كمعمول «كان»، ولهم في حذف جملة الشرط مع بقاء الأداة كلام، والظاهر أنَّ اطِّراد حذفه مشروطٌ ببقاء «لا»، كما في قوله:

---

(١) صدر بيت للنابغة، وسلف ٥/ ٤٠٧.
(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ١٦٥.
(٣) في (م): رحمتي.
(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٥٤، وكلام الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

فطلِّقها فلستَ لها بكُفءٍ ... وإلَّا يَعْلُ مَفرِقَكَ الحسامُ[١]

ما لم يسدَّ مسدَّه شيء مِن معمول أو مفسِّر كـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة:٦] و: الناس مجْزيُّون بأعمالهم إنْ خيراً فخير. وهذا الوجه خلاف المتبادر كما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿وَرِسَالَٰتِهِۦ﴾ عطف على «بلاغاً»، و«من الله» متعلِّق بمحذوف وقع صفة له، أي: بلاغاً كائناً مِن الله، وليس بصلة له؛ لأنَّه يستعمل بـ «عن» كما في قوله ﷺ: «بلِّغوا عنِّي ولو آية»[٢] والمعنى على ما علمتَ أوَّلاً في الاستثناء: لا أملكُ لكم إلَّا تبليغاً كائناً منه تعالى ورسالاته التي أرسلني عزَّ وجلَّ بها.

وفي «الكشف»: في الكلام إضمار، أي: بلاغ رسالاته، وأصل الكلام: إلَّا بلاغ رسالات الله، فعدلَ إلى المنزَّل ليدلَّ على التبليغين مبالغة، وأنَّ كلًّا من المعنيين، أعني: كونه مِن الله تعالى وكونه بلاغ رسالاته، يقتضي التشمُّر لذلك. انتهى.

وفي عبارة «الكشَّاف»[٣] رمزٌ مّا إليه، لكن قيل عليه: لا ينبغي تقدير المضاف فيه، أعني: بلاغ، فإنَّه يكون العطف حينئذٍ من عطف الشيء على نفسه، إلا أن يوجَّه بأنَّ البلاغ مِن الله تعالى فيما أخذه عنه سبحانه بغير واسطة، والبلاغ للرسالات فيما هو بها، وهو بعيد غايةَ البعد، فافهم.

واستظهر أبو حيَّان عطفَه على الاسم الجليل، فقال: الظاهر عطف «رسالاته» على «الله»، أي: إلَّا أنْ أُبلِّغ عن الله وعن رسالاته[٤]. وظاهره جعل «من» بمعنى «عن» وقد تقدَّم منه أنَّها لابتداء الغاية. وقرئ: «قال لا أملك» أي: قال عبدُ الله للمشركين أو للجِنِّ[٥]. وجوّز أن يكون مِن حكاية الجِنِّ لقومهم.

---

(١) سلف ١٤/ ١٥٨.

(٢) أخرجه أحمد (٦٤٨٦)، والبخاري (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) ٤/ ١٧١-١٧٢.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٥٤.

(٥) الكشاف ٤/ ١٧١.

هذا ووَجْهُ ارتباط الآية بما قبلها قيل بناءً على أنَّ التلبُّد للعداوة: إنَّهم لما تلبَّدوا عليه ﷺ متظاهرين للعداوة، قيل له عليه الصلاة والسلام: «قل إنِّي لا أملكُ لكم ضرًّا ولا رشداً» أي: ما أردتُ إلَّا نفعكم وقابلتموني بالإساءة، وليس في استطاعتي النفع الذي أردتُ ولا الضَّرُّ الذي أكافئكم به، إنَّما ذانِ إلى الله تعالى، وفيه تهديد عظيم وتوكيل إلى الله جلَّ وعلا، وأنَّه سبحانه هو الذي يجزيه بحُسن صنيعه وسوءِ صنيعهم، ثم فيه مبالغة من حيث إنَّه لا يَدَعُ التبليغَ لتظاهرهم هذا، فإنَّ الذي يستطيعه عليه الصلاة والسلام هو التبليغ ولا يَدَعُ المستطاع، ولهذا قال: «إلا بلاغاً» وجعله بدلاً من «ملتحداً» شديد الطباق على هذا، والشرط قريب منه، وأمَّا إن كان الخطاب للجِنِّ والتلبُّد للتعجُّب، فالوجه أنهم لما تلبَّدوا لذلك قيل له عليه الصلاة والسلام: قل لهم: ما لكم ازدحمتم عليَّ متعجِّبين منِّي ومِن تطامن أصحابي على العبادة، إنِّي ليس إليَّ النفع والضَّرُّ، إنَّما أنا مبلِّغ عن الضارِّ النافع، فأقبلوا أنتم مثلنا على العبادة، ولا تُقبلوا على التعجُّب، فإنَّ العَجَب ممَّن يُعرِض عن المنعم المنتقم الضارِّ النافع، ولعلَّ اعتبار قوَّة الارتباط يقتضي أولويَّة كون التلبُّد كان للعداوة ومعصية الرسول عليه الصلاة والسلام.

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: في الأمر بالتوحيد، إذ الكلام فيه، فلا يصحُّ استدلال المعتزلة ونحوهم بالآية على تخليد العصاة في النار.

وجوّز أن يراد بالرسول رسولُ الملائكة عليهم السلام دون رسولِ البشر، فالمراد بعصيانه أن لا يبلِّغ المرسَل إليه ما وصل إليه كما وصل، وهو خلاف الظاهر.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي: في النار، أو: في جهنَّم، وجمع «خالدين» باعتبار معنى «مَن» كما أنَّ الإفراد قَبْلُ باعتبار لفظها، ولو روعي هنا أيضاً لقيل: خالداً. ﴿أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ بلا نهاية.

وقرأ طلحة: «فأنَّ» بفتح الهمزة[1]، على أنَّ التقدير، كما قال ابنُ الأنباري وغيره: فجزاؤه أنَّ له.. إلخ، وقد نصَّ النحاة على أنَّ «أنَّ» بعد فاء الشرط يجوز

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٤.

فيها الفتح والكسر، فقول ابنِ مجاهد: ما قرأ به أحد، وهو لحن؛ لأنَّه بعد فاء الشرط[1] = ناشئٌ مِن قلَّة تتبُّعه وضعفِه في النحو.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ جملة شرطيَّة مقرونة بـ «حتى» الابتدائية، وهي ـ وإن لم تكن جارَّة ـ فيها معنى الغاية، فمدخولها غايةٌ لمحذوف دلَّت عليه الحال مِن استضعاف الكفَّار لأنصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالِهم لعدده، كأنَّه قيل: لا يزالون يَستضعِفون ويَستهزِؤون حتى إذا رأوا ما يُوعَدون من فنون العذاب في الآخرة تبيَّن لهم أنَّ المستضعَفَ مَن هو، ويدلُّ على ذلك أيضاً جواب الشرط، وكذا ما قيل على ما قيل؛ لأنَّ قوله سبحانه: «قل إنَّما أدعو ربِّي» تعريضٌ بالمشركين كيفما قدِّر، بل السورةُ الكريمة من مفتتحها مسوقةٌ للتعريض بحال مشركي مكَّة، وتسلية لرسولِ الله ﷺ، وتسرية عنه عليه الصلاة والسلام، وتعيير لهم بقصُور نظرهم عن الجِنِّ مع ادِّعائهم الفطانة، وقلَّة إنصافهم ومبادهتهم بالتكذيب والاستهزاء، بدل مبادهة الجِنِّ بالتصديق والاستهداء.

ويجوز جعل ذلك غايةً لقوله تعالى: «يكونون عليه لِبَداً» إن فسِّر بالتلبُّد على العداوة، ولا مانعَ من تخلُّل أمور غيرِ أجنبيَّة بين الغاية والمغيَّا، فقول أبي حيان: إنَّه بعيد جدًّا؛ لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة[2]، ليس بشيء، كجَعْلِه إيَّاه غايةً لِمَا تضمَّنته الجملة قَبْلُ ـ يعني فإنَّ له نارَ جهنَّم ـ من الحُكْم بكينونة النار له، ومثل ذلك ما قيل مِن أنَّه غاية لمحذوف، والتقدير: دعهم حتى إذا رَأَوا.. إلخ.

والظاهر أنَّ «مَن» استفهاميَّة كما أشرنا إليه، وهي مبتدأ، و«أضعف» خبر، والجملة في موضع نصب بما قبلها، وقد علِّق عن العمل؛ لمكان الاستفهام. وجوِّز كونها موصولة في موضع نصب بـ «يعلمون»، و«أضعف» خبر مبتدأ محذوف، والجملة صلة لـ «من»، والتقدير: فسيعرفون الذي هو أضعف. وحَسَّنَ حَذْفَ صدرِ الصلة طولُها بالتمييز.

---

(١) نقله عن ابن مجاهد تلميذه ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٥٥.

وجوّز تفسير «ما يوعدون» بيوم بدر، ورجّح الأوَّل بأنَّ الظاهر أنَّ قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ أي: مـــا أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾ ردٌّ لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك، ومقتضى حالهم أنَّهم قالوا إنكاراً واستهزاء: متى يكون ذلك الموعود؟ بل روي عن مقاتل أنَّ النضر بن الحارث قال ذلك، فقيل: قل: إنَّه كائنٌ لا محالةَ، وأمَّا وقته فما أدري متى يكون. والأحرى بسؤالهم وهذا الجوابِ إرادةُ ما في يوم القيامة، المنكرين له أشدَّ الإنكار، والخفيِّ وقتُه عن الخلائق غايةَ الخفاء، والمراد بالأمد الزمان البعيد؛ بقرينة المقابلة بالقريب، وإلَّا فهو وضعاً شاملٌ لهما، ولذا وصف ببعيداً في قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقيل: إنَّ معنى القرب يُنبئُ عن مشارفة النهاية، فكأنَّه قيل: لا أدري أهو حال متوقَّع في كلِّ ساعة أم هو مؤجَّل ضُرب له غاية، والأوَّل أَولى وأقرب.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ بالرفع، على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو سبحانه عالم الغيب، وجوَّز أبو حيَّان[1] كونَه بدلاً من «ربِّي»، وغيرُه أيضاً كونَه بياناً له، ويأبى الوجهين الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ إذ يكون النظم حينئذٍ: أم يجعل له عالم الغيب أمداً، فلا يظهر على غيبه أحداً، وفيه من الإخلال ما لا يَخفى.

وإضافة «عالم» إلى «الغيب» محضة؛ لقصد الثبات فيه، فيفيد تعريفُ الطرفين التخصيصَ، وتعريفُ «الغيب» للاستغراق، وفي الرضي: إنَّ اسم الجنس، أعني: الذي يقع على القليل والكثير بلفظ الواحد، إذا استعمل ولم تقم قرينة تخصِّصه ببعض ما يَصدُق عليه، فهو في الظاهر لاستغراقِ الجنس أخذاً من استقراء كلامهم، فمعنى: التراب يابس والماء بارد، أن كلّ ما فيه هاتان الماهيتان حاله كذا، فلو قلت في قولهم: النومُ ينقض الطهارةَ: النوم مع الجلوس لا ينقضها، لكان مناقضاً لذلك اللفظ. انتهى. وهو يؤيِّد إرادة ذلك هنا؛ لأنَّ الغيب كالماء يقع على القليل والكثير بلفظ واحد، ولا يضرُّ في ذلك جمعه على غيوب كما لا يضرُّ فيه جمع

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٥.

الماء على مياه. وكذا المراد بـ «غيبه» جميعُ غيبه، وقد نصَّ عليه عزمي زاده معلِّلاً له بكون اسم الجنس المضاف بمنزلة المعرَّف باللام سيَّما إذا كان في الأصل مصدراً، وعزي إلى «شرح المقاصد» ما يقتضيه.

وربَّما يقال: يفهم ذلك أيضاً من اعتبار كون الإضافة للعهد وأنَّ المعهود هو الغيبُ المستغرق، أو مِن اعتبارها للاختصاص وأنَّ الغيب المختصّ به تعالى بمعنى المختصّ علمه سبحانه به هو كلُّ غيب، واعتناءً بشأن الاختصاص جيء بالمظهَر موضع المضمَر.

والجملة استئناف لدفع توهُّم نقصٍ مِن نَفْي الدرايةِ، والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرُّده تعالى بعلم الغيب، والمراد بالإظهار المنفيِّ الاطِّلاعُ الكامل الذي تنكشف به جليَّة الحال على أتمِّ وجه، كما يرشد إليه حرف الاستعلاء، فكأنَّه قيل: ما عليَّ إذا قلت: ما أدري قُرْبَ ذلك الموعد ـ الغيب ـ ولا بُعْدَه، فالله سبحانه وتعالى عالم كلِّ غيب وحده، فلا يُطلِعُ على ذلك المختصِّ عِلْمُه به تعالى إطْلاعاً كاملاً أحداً مِن خلقه ليكون أليقَ بالتفرُّد وأبعدَ عن توهُّم مساواة عِلْم خِلْقه لعلمه سبحانه، وإنَّما يُطلِع جلَّ وعلا ـ إذا أطلع ـ مَن شاء على بعضه ممَّا تقتضيه الحكمة التي هي مدار سائر أفعاله عزَّ وجلَّ، وما نفيت عنِّي العلم به ممَّا لم يطلعني اللهُ تعالى عليه؛ لِمَا أنَّ الاطِّلاع عليه ممَّا لا تقتضيه الحكمة التشريعيَّة التي يدور عليها فَلَك الرسالة، بل هو مخلٌّ بها. وإن شئتَ فاعتبر الجملة واقعة موقعَ التعليل لنفي الدراية السابقة.

ولمَّا كان مساقُ الكلام ممَّا قد يتوهَّمون منه أنَّه عليه الصلاة والسلام لم يَطَّلع على شيء من الغيب عقَّب عزَّ وجلَّ الكلام بالاستثناء المنقطع ـ كما روي في «البحر»[1] عن ابنِ عباس ـ الذي هو بمعنى الاستدراك؛ لدَفْع ذلك على أبلغ وجه، حيث عمَّم الأمر في الرسل المرتَضَيْنَ، وأقام كيفيَّة الإظهار مقامَ الإظهار مع الإشارة إلى البعض الذي اطَّلَعوا عليه المناسب لمقام الدعوة، فقال عزَّ مِن قائل:

---

(١) ٨/ ٣٥٥.

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: لكن الرسول المرتَضى يُظهِره جلَّ وعلا على بعضِ الغيوب المتعلِّقة برسالته ـ كما يُعرِب عنه بيان «من ارتضى» بالرسول ـ تعلُّقاً ما؛ إمَّا لكونه من مباديها بأن يكون معجزةً، وإمَّا لكونه مِن أركانها وأحكامها كعامَّة التكاليف الشرعيَّة، وكيفيات الأعمال وأجزيتها، ونحو ذلك من الأمور الغيبيَّة التي بيانها مِن وظائف الرسالة، بأن يَسلُكَ مِن جميع جوانبه عند إطْلاعه على ذلك حرساً من الملائكة عليهم السلام يَحرُسونه مِن تعرُّض الشياطين لِمَا أُريد إطْلاعه عليه اختطافاً أو تخليطاً.

﴿لِيَعْلَمَ﴾ متعلِّق بـ «يسلك» وعلَّة له، والضمير لـ «مَن» أي: لأجل أن يَعلم ذلك المرتَضى الرسولَ ويُصدِّقَ تصديقاً جازماً ثابتاً مطابقاً للواقع ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الشأن قد أَبْلَغَ إليه الرَّصَدُ، وهو من قبيل: بنو تميم قتلوا زيداً، فإن المبلِّغ في الحقيقة واحد معهم وهو جبريل عليه السلام كما هو المشهور مِن أنَّه المبلِّغ مِن بين الملائكة عليهم السلام إلى الانبياء ﴿رِسَالَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي الغيوب المظهَر عليها كما هي مِن غير اختطاف ولا تخليط، وعلى هذا فليكن «مَن» مبتدأ، وجملة «إنَّه يسلك» خبره، وجيءَ بالفاء لكونه اسمَ موصول.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما عند الرصد ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: ممَّا كان وممَّا سيكون ﴿عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: فرداً فرداً = حالٌ مِن فاعل: «يسلك» بتقدير «قد» أو بدونه، جيء به لمزيد الاعتناء بأمْرِ عِلْمه تعالى بجميع الأشياء وتفرُّده سبحانه بذلك على أتمِّ وجه بحيث لا يشاركه سبحانه في ذلك الملائكة الذين هم وسائطُ العلم، فكأنَّه قيل: لكن المرتضى الرسول يُعلِّمه اللهُ تعالى بواسطة الملائكة بعضَ الغيوب ممَّا له تعلُّقٌ مّا برسالته، والحالُ أنَّه تعالى قد أحاط علماً بجميع أحوال أولئك الوسائط، وعلم جلَّ وعلا جميعَ الأشياء بوجه جزئي تفصيلي، فأين الوسائط منه تعالى؟!

أو حال مِن فاعل «أبلغوا» جيءَ به للإشارة إلى أنَّ الرصدَ أنفسهم لم يزيدوا ولم يَنقصوا فيما بلَّغوا، كأنَّه قيل: ليَعلم الرسولُ أن قد أبلغ الرصدُ إليه رسالاتِ ربِّه في حال أنَّ الله تعالى قد علم جميعَ أحوالهم وعَلِمَ كلَّ شيء، فلو أنَّهم زادوا أو نَقصوا عند الإبلاغ لعَلِمَه سبحانه، فما كان يختارهم للرصديَّة والحفظ.

هذا ما سنح لذهني القاصر في تفسير هذه الآيات الكريمة ولستُ على يقين مِن أمره، بيدَ أنَّ الاستدلالَ بقوله سبحانه: (فَلَا يُظْهِرُ) إلخ على نفي كرامة الأولياء بالاطِّلاع على بعضِ الغيوب لا يتمُّ عليه؛ لأنَّ قوله تعالى: (فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا) في قوَّة قضيةٍ سالبةٍ جزئيَّة؛ لدخول ما يفيد العمومَ في حيِّز السَّلْب، وأكثر استعمالاته لسَلْب العموم - وصرَّح به فيما هنا في «شرح المقاصد»[1] - لا لعموم السلب، وهو سلب جزئيٌّ فلا ينافي الإيجابَ الجزئيَّ، كأن يُظهِر بعضَ الغيب على وليٍّ على نحو ما قال بعضُ أهل السنة في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

ولا يَردُ أنَّ الاستثناء يقتضي أن يكون المرتضَى الرسولُ مُظهَراً على جميع غيبه تعالى بناءً على أنَّ الاستثناء مِن النفي يقتضي إيجابَ نقيضه للمستثنى ونقيضُ السالبة الجزئيَّة الموجبةُ الكليَّة مع أنَّه سبحانه لا يُظهِر أحداً كائناً مَن كان على جميع ما يَعلمُه عزَّ وجلَّ مِن الغيب؛ وذلك لانقطاع الاستثناء المصرَّح به ابن عباس.

وكذا لا يَردُ أنَّ الله تعالى نفى إظهارَ شيء مِن غيبه على أحد إلا على الرسول فيلزم أن لا يُظهِر سبحانه أحداً من الملائكة على شيء منه؛ لأنَّ الرسول هنا ظاهر في الرسول البَشَري، لقوله تعالى: (فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ) إلخ، وذلك ليس إلا فيه، كما لا يخفى على مَن علم حكمةَ ذلك. ويلزم أن لا يُظهِر أيضاً أحداً من الأنبياء الذين ليسوا برسل بناءً على إرادة المعنى الخاصِّ مِن الرسول هنا؛ وذلك لِمَا ذكرنا أوَّلاً.

وكذا لا يَردُ أنَّه يلزم أنْ لا يُظهِر المرتضى الرسولَ على شيء مِن الغيوب التي لا تتعلَّق برسالته ولا يُخِلُّ الإظهارُ عليها بالحكمة التشريعيَّة؛ إذ لا حَصْر للبعض المظهَر فيما يتعلَّق بالرسالة، وإنَّما أُشير إلى المتعلِّق بها لاقتضاء المقام لذلك، وكونُ كلِّ غيب يظهر عليه الرسول لا يكون إلا متعلِّقاً برسالته محلُّ توقُّف.

وللمفسِّرين هاهنا كلام لا بأس بذِكْره بما له وما عليه حسَب الإمكان، ثم الأمر بعد ذلك إليك، فنقول: لمَّا كان مذهبُ أكثر أهل السنة القولَ بكرامة الولي

---

(١) ٥/ ٧٦-٧٧.

بالاطِّلاع على الغيب، وكان ظاهرُ قوله تعالى: (عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ) إلخ دالًا على نفيها ـ ولذا قال الزمخشريُّ: إنَّ في هذا إبطال الكرامات، أي: في الجملة، وهي ما كان من الإظهار على الغيب؛ لأنَّ الذين تُضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خصَّ اللهُ تعالى الرسلَ من بين المرتضين بالاطِّلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم؛ لأنَّ أصحابَهما أبعد شيء مِن الارتضاء وأدخله في السخط[1]. انتهى ـ أنجدوا وأتهموا وأيمنوا وأشأموا في تفسير الآية على وجهٍ لا ينافي مذهبهم ولا يتمُّ عليه استدلال المعتزلي على مذهبه، فقال الإمام: ليس في قوله تعالى: «على غيبه» صيغة عموم، فيكفي في العمل بمقتضاه أنْ لا يُظْهِرَ تعالى خَلْقَه على غيبٍ واحدٍ مِن غيوبه، فنحمله على وقتِ وقوعِ القيامة، فيكون المراد مِن الآية أنَّه تعالى لا يُظهِر هذا الغيب لأحد، فلا يبقى في الآية دلالة على أنَّه سبحانه لا يُظهِر شيئاً مِن الغيوب لأحد، ويؤكِّد ذلك وقوع الآية بعد قوله تعالى: (قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ)، والمراد به وقوع يوم القيامة.

ثم قال: فإن قيل: إذا حَملتم ذلك على القيامة فكيف قال سبحانه: (إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ) مع أنَّه لا يُظهِر هذا الغيب لأحد مِن رسله، قلنا: بل يُظهِره عند القُرب من إقامة القيامة، وكيف لا وقد قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ولا شكَّ أنَّ الملائكة يعلمون في ذلك الوقت، وأيضاً يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعاً، كأنَّه قيل: عالمُ الغيب فلا يُظهِر على غيبِه المخصوص ـ وهو قيامُ القيامة ـ أحداً، ثم قيل: إلَّا مَن ارتضى مِن رسول فإنَّه يسلك مِن بين يديه ومِن خلفه حفظةً يحفظونه من شرِّ مَرَدةِ الإنس والجنِّ[2]. انتهى.

وتُعقِّب بأنَّ في «غيبه» ما يدلُّ على العموم كما سمعتَ أوَّلاً، والسياق لا يأباه، اللَّهمَّ إلا أن يطعن في ذلك، وأيضاً ظاهر جوابه الأوَّل عن القيل كونُ المراد بالرسول في الآية الرسولَ المَلَكي، ويَأباه ما بَعْدُ مِن قوله تعالى: (فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ) إلخ،

(١) الكشاف ٤/ ١٧٢-١٧٣.
(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ١٦٨.

على أنَّ عِلْم الملائكة بوقت الساعة يوم تشقَّق السماء ليس من الإظهار على الغيب، بل هو من إظهار الغيب وإبرازه للشهادة، كإظهار المطر عند نزوله، وما في الأرحام عند وضعه، إلى غير ذلك. وأيضاً الانقطاع على الوجه الذي ذكره بعيدٌ جدًّا إذ فيه قَطْع المناسبة بين السابق واللاحق بالكليَّة، اللَّهمَّ إلا أن يقال: مثله لا يضرُّ في المنقطع.

وقيل: إنَّ الإظهار على الغيب بمعنى الإطْلاع عليه على أتمِّ وجه بحيث يحصل به أعلى مراتب العلم، والمراد عموم السلب، ولا يضرُّ في ذلك دخول ما يفيد العموم في حيِّز النفي؛ لأنَّ القاعدة أكثريَّة لا مطَّردة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦] وقد نصَّ على ذلك العلامة التفتازانيُّ[١]، فيكون المعنى: فلا يُظهِر على شيء مِن غيبه أحداً، إلا مَن ارتضى مِن رسول فإنَّه سبحانه يُظهرِه على شيء مِن غيبه بأن يَسلك.. إلخ. ولا يرد كرامة الولي، إذ ليست مِن الإظهار المذكور، إذ لا يحصل له أعلى مراتب العلم بالغيب الذي يُخبر به، وإنَّما يحصل له ظنون صادقة أو نحوها، وكذا شأن غيره مِن أرباب الرياضات مِن الكفرة وغيرهم.

وتُعقِّب بأنَّ من الصوفيَّة مَن قال كالشيخ محيي الدين - قدِّس سرُّه[٢] - بنزول المَلَك على الوليِّ، وإخباره إيَّاه ببعض المغيَّبات أحياناً، ويرشد إلى نزوله عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الآية [٣٠ من سورة فصلت] وكون ما يحصل له إذ ذاك ظنٌّ أو نحوه لا عِلْمٌ كالعلم الحاصل للرسول بواسطة المَلَك = لا يخلو عن بحث، بل قد يحصل له بواسطة الإلهام والنَّفث في الرُّوع نحو ما يحصل للرسول. وأيضاً يلزم أنْ لا يُظهَر المَلَكُ على الغيب، إذ الرسول المستثنى رسولُ البشر على ما هو الظاهر، والتزام أنَّه لا يُظهَر بالمعنى السابق ويُظهر بواسطته، ممَّا لا وجهَ له أصلاً. وأيضاً يلزم أنَّ ما يحصل للنبيِّ غير الرسول بالمعنى الأخصِّ المتبادر هنا ليس بعِلْمٍ بالمعنى المذكور، وهو كما ترى.

---

(١) شرح المقاصد ٥/ ٧٦-٧٧.

(٢) الفتوحات المكية ٣/ ٣١٦، الباب الرابع والستون وثلاث مئة.

وقيل: المراد بالغيب في الموضعين الجنس، والإظهارُ عليه على ما سمعت، وكذا عدم ورودِ الكرامة، والبحث فيه كالبحث في سابقه وزيادة.

وقال صاحب «الكشف» في الردِّ على الزمخشريِّ: الغيب إن كان مفسَّراً بما فسَّره في قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣] فالآية حجَّة عليه؛ لأنَّه جوَّز هنالك أن يَعلم بإعلامه تعالى أو بنصبه الدليل، وهذا الثاني ـ أعني القسم العقليَّ ـ تنفيه الآية وتُرشِد إلى أنَّ تهذيبَ طرق الأدلَّة أيضاً بواسطة الأنبياء عليهم السلام، والعقل غيرُ مستقلٍّ، وأهل السنة عن آخِرهم على أنَّ الغيب بذلك المعنى لا يطَّلع عليه إلا رسول أو آخِذٌ منهم، وليس فيه نفي الكرامة أصلاً وإن أراد الغائب عن الحسِّ في الحال مطلقاً، فلا بُدَّ من التخصيص بالاتفاق، فليس فيه ما ينفيها أيضاً، وإن فسّر بالمعدوم كما ذكره في قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] فلا بُدَّ أيضاً من التخصيص، وكذلك لو فسّر بما غاب عن العباد أو بالسِّرِّ، على أنَّ ظاهر الآية أنَّه تعالى عالمُ كلِّ غيب وحده لا يُظهِر على غيبه المختصِّ به ـ وهو ما يتعلَّق بذاته تعالى وصفاته عزَّ وجلَّ بدلالة الإضافة ـ إلا رسولاً، وهو كذلك فإنَّ غيبَه تعالى لا يُطَّلع عليه إلا بالإعلام من رسول مَلَكيٍّ أو بشريٍّ ولا كلُّ غيبه تعالى الخاصِّ مُطَّلَع عليه بل بعضه وأقلُّ القليل منه، فدلَّ المفهوم على أنَّ غيرَ هذا النوع الخاصِّ مِن الغيب لا منع من إطْلاع الله تعالى غيرَ الرسول عليه، فهذا ظاهر الآية دون تعسُّف. ثم لو سُلِّم فالثاني إمَّا مستغرق، وإذا قال سبحانه: لا يُطلِع على جميعه أحداً إلا مَن ارتضى مِن رسول، لم يدلَّ على أنَّه لا يجوز إطْلاع غيرِ الرسول على البعض، وإمَّا مُطلَق ينزل على الكامل منه، فيرجع إلى ما اخترناه وتتعاضد[1] دلالتا تشريف الإضافة والإطلاق، فلا وجه لتعليقه بهذه الآية، ومنه يظهر أنَّ الاستدلال من الآية على إبطال الكهانة والتنجيم غيرُ ناهض، وإن كان إبطالهما حقًّا لا ننكره، فضلاً عن تكفير مَن قال بدلالته على حياة أو موت؛ لأنَّه كفر بهذه الآية، كما نقله شيخنا الطيبي عن الواحديِّ[2]، والزجَّاج[3]، وصاحب «المطلع». انتهى.

---

(١) في (م): وتعاضد.
(٢) الوسيط ٤/ ٣٦٩.
(٣) معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

ويُحث فيه بأنَّ حمل «غيبه» على الغيب الخاصِّ بمعنى ما يتعلَّق بذاته تعالى وصفاته عزَّ وجلَّ ممَّا لا يناسبُ السياق، وبأنَّ ظاهر ما قرَّره على احتمال الاستغراق يقتضي على تقدير اتصال الاستثناء وإيجاب ضدِّ ما نفي للمستثنى أن يُظهِر الرسولَ على جميع غيبه تعالى إلى ما يظهر بالتأمُّل.

وذكر العلَّامة البيضاوي[1] أوَّلاً ما يفهم منه ـ على ما قيل ـ حَمْل «غيبِه» على العموم مع الاختصاص، أي: عموم الغيب المخصوص به علمه تعالى، وحَمْل: «فلا يظهر»، على سَلْب العموم، وحَمْل الرسول، على الرسول البشري، واعتبار الاستثناء منقطعاً على أنَّ المعنى: فلا يُظهِر على جميع غيبِه المختصِّ به عِلْمُه تعالى أحداً إلا مَن ارتضى مِن رسول فيظهره على بعضِ غيبه حتى يكون إخباره به معجزةً، فلا يتمُّ الاستدلال بالآية على نفي الكرامة، وفسّر الاختصاص بأنَّه لا يعلمه بالذات والكُنْه علماً حقيقيًّا يقينيًّا بغير سبب ـ كإطْلاع الغير ـ إلا هو سبحانه، وأمَّا عِلْم غيره سبحانه لبعضه فليس علماً للغيب إلا بحسب الظاهر وبالنسبة لبعض البشر، وقيل: أراد بالغيب المخصوص به تعالى ما لم يُنصَب عليه دليل، ولا يَقدَح في الاختصاص عِلْمُ الغير به بإعلامه تعالى، إذ هو إضافيٌّ بالنسبة إلى مَن لم يعلم.

وقال ثانياً في الجواب عن الاستدلال ـ ولعلَّه أراد الجوابَ عند القوم ـ ما نصُّه: وجوابُه تخصيصُ الرسول بالمَلَك، والإظهار بما يكون بغير توسُّط، وكرامات الأولياء على المغيَّبات إنَّما تكون تلقِّياً مِن الملائكة[2]، أي: بالنفث في الرُّوع ونحوه. وحاصله أنَّ الاستدلالَ إنَّما يتمُّ أنْ لو تحقَّق كونُ المراد بالرسول رسول البشر والمَلَك جميعاً، أو رسول البشر فقط، وبالإظهار الإظهار بواسطةٍ أوْ لا، والكُلُّ ممنوع؛ إذ يجوز أن يخصَّ الرسول برسول المَلَك، وأن يُراد بالإظهار الإظهار بلا واسطة، ويكون المعنى: فلا يُظهِر بلا واسطة على غيبه إلَّا رسل الملائكة، ولا ينافي ذلك إظهار الأولياء على غيبه؛ لأنَّه لا يكون إلا بالواسطة،

---

(١) تفسير البيضاوي ٨/ ٢٦١ مع حاشية الشهاب.
(٢) تفسير البيضاوي ٨/ ٢٦١ مع حاشية الشهاب.

وهو جواب بمنع المقدِّمتين، وإن كان يكفي فيه منع إحداهما كما فعل الإمام والتفتازانيُّ في «شرح المقاصد»[١].

وتعقّب بأنَّ رسلَ البشر قد يطَّلعون بغير واسطة أيضاً، وفي قصَّة المعراج وتكليم موسى عليه السلام ما يكفي في ذلك، على أنَّه قد قيل عليه بَعْدُ ما قيل.

وأَغربُ ما قيل في هذا المقام كون «إلا» في قوله تعالى: «إلا مَن ارتضى» للعطف، والمعنى: فلا يُظهِر على غيبه أحداً ولا مَن ارتضى مِن رسول. وحاله لا يخفى.

ثم إنَّ تفسير قوله تعالى: (فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ) إلخ بما سمعت، هو الذي عليه جمهور المفسِّرين، وكانت الحفَظَةُ الذين ينزلون مع جبريل عليه السلام على نبيِّنا ﷺ - على ما أخرج ابنُ المنذر وجماعة عن ابن جبير - أربعةً[٢]، وأخرج ابنُ مردويه عن ابنِ عباس قال: ما أنزل الله تعالى على نبيِّه ﷺ آيةً مِن القرآن إلَّا ومعها أربعة مِن الملائكة يحفظونها حتى يؤدُّونها إلى النبيِّ ﷺ، ثم قرأ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ الآية[٣].

وقد يكون مع الوحي أكثر مِن ذلك، ففي بعض الأخبار أنَّه نزل مع سورة الأنعام سبعون ألفَ مَلَك[٤]، وجاء في شأن آية الكرسيِّ ما جاء[٥].

وقال ابن كمال: لاحت دقيقة بخاطري الفاتِر، قلَّما يوجد مثلها في بطون الدفاتر، وهي أنَّ المراد مِن «بين يديه» في الآية القِوَى الظاهرة، و«من خلفه» القوى الباطنة، ولذلك قال سبحانه: «يسلك» إلخ، أي: يدخل حفظةً مِن الملائكة يحفظون قِواه الظاهرة والباطنة مِن الشياطين ويعصمونه مِن وساوسهم من تَيْنك الجهتين، ولو كان المراد حفظةً مِن الجوانب كي لا يَقْربه الشياطين عند إنزال الوحي فتُلقي غيرَ الوحي، أو تسمعه فتلقيه إلى الكَهَنة فتخبر به قبل إخبار الرسول - كما ذهب إليه

(١) التفسير الكبير للرازي ٣٠/ ١٦٨، وشرح المقاصد للتفتازاني ٥/ ٧٦-٧٧.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٧٥، وتفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦، والعظمة (٣٥٩).
(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٧٥.
(٤) تنظر هذه الأخبار في بداية تفسير سورة الأنعام.
(٥) تنظر في سورة البقرة، الآية (٢٥٥).

صاحب «التيسير» وغيره ـ لَمَا كان نظم الكلام على الوجه المذكور، فإنَّ عبارة «يسلك» وتخصيص الجهتين المذكورتين إنَّما يناسب ما ذكرناه لا ما ذكروه. انتهى.

ولا يخفى أنَّه نحوٌ من الإشارة، ولعلَّ التعبير بـ «يسلك» على تفسير الجمهور لتصوير الجهات التي تأتي منها الشياطين بالثغور الضيِّقة والمسالك الدقيقة، وفي ذلك مِن الحُسن ما فيه.

وذهب كثير إلى أنَّ ضمير «ليعلم» لله تعالى، وضمير «أبلغوا» إمَّا للرصد، أو «لمن ارتضى»، والجمع باعتبار معنى «مَن»، كما أنَّ الإفراد في الضميرين قَبْلُ باعتبار لفظها، والمعنى: أنَّه تعالى يسلكهم ليعلمَ أنَّ الشأنَ قد أَبلغوا رسالاتِ ربِّهم عِلْماً مستتبعاً للجزاء، وهو أن يعلمه تعالى موجوداً حاصلاً بالفعل كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١] فالغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد، وإيراد علمه تعالى لإبرازِ اعتنائه تعالى بأمرِهما، والإشعارِ بترتُّب الجزاء عليهما، والمبالغةِ في الحثِّ عليهما، والتحذيرِ عن التفريط فيهما.

وقوله تعالى: «وأحاط» إلخ، إمَّا عطف على «لا يظهر»، أو حال مِن فاعل «يسلك» جِيْءَ به لدفع التوهُّم وتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عمَّا ذكر مِن سلك الرصد على الوجه المذكور، أو عطف ـ كما زعم بعضٌ ـ على مُضمَر؛ لأنَّ «ليعلم» متضمِّن معنى علم، فصار المعنى: قد علم ذلك وأحاط. . إلخ.

وجوِّز أن يكون ضمير «يعلم» للرسول الموحى إليه، وضمير «أبلغوا» للرصد النازلين إليه بالوحي، وروي عن ابن جبير ما يؤيِّده، أو للرسل سواه، «وأحاط» إلخ عطف على «أبلغوا»، أو على «لا يظهر».

وعن مجاهد: ليعلم مَن كذَّبَ وأَشْركَ أنَّ الرسل قد أَبلغوا. وفيه من البُعْد ما فيه، وعليه لا يقع هذا العلم ـ على ما في «البحر»[1] ـ إلا في الآخرة.

وقيل: ليعلم إبليس أنَّ الرسل قد أَبلغوا. وقيل: ليعلم الجِنُّ أنَّ الرسلَ قد أَبلغوا ما أنزل إليهم ولم يكونوا هم المتلقِّين باستراق السمع. وكلا القولين كما ترى.

---

(١) ٨/ ٣٥٧.

ونصب «عدداً» عند جمع على أنَّه تمييز محوَّلٌ عن المفعول به، والأصل: أحصى عددَ كلِّ شيءٍ، إلا أنَّه قال أبو حيان: في كونه ثابتاً مِن لسان العرب خلافٌ[1]. وأنتَ تعلم أنَّ التحويل في مثله تقديري.

وجوَّز أن يكون حالاً، أي: معدوداً محصوراً، ولا يضرُّ تنكيرُ صاحبها؛ للعموم. وأن يكون نصباً على المصدر، بمعنى إحصاء.

فتأمَّل جميعَ ذلك، والله تعالى الموفِّق لسلوك أحسنِ المسالك.

وقرئ: «عالمَ» بالنصب[2] على المدح. و: «عَلِمَ» فعلاً ماضياً «الغيبَ» بالنصب[3].

وقرأ ابنُ عباس وزيد بنُ عليٍّ: «ليُعْلَم» بالبناء للمفعول[4]، والزهري وابن أبي عبلة: «ليُعْلِم» بضمِّ الياء وكسر اللام[5]، من الإعلام، أي: ليُعْلِم اللهُ تعالى مَن شاء أن يُعلمه أنْ قد أبلغوا.. إلخ.

وقرأ أبو حيوة: «رسالة» بالإفراد[6].

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «وأُحِيطَ» و«أُحصِيَ» كلٌّ بالبناء للمفعول في الفعلين، ورفع «كلّ» على النيابة[7]، والفاعل هو اللهُ عزَّ وجلَّ، فهو سبحانه المحيط بالأحوال عِلْماً والمحصي لكلِّ شيء عدداً.

انتهى بعون الله تعالى الجزء السابع والعشرون من روح المعاني
ويليه إن شاء الله الجزء الثامن والعشرون ويبدأ
بسورة المزمل

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٧.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٥٥.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٥.
(٤) النشر ٢/ ٣٩٣ عن رويس، والبحر ٨/ ٣٥٧ والكلام منه.
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر ٨/ ٣٥٧.
(٦) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر ٨/ ٣٥٧.
(٧) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر ٨/ ٣٥٧.

(سورة الجنّ)

(مكيّة، وهي ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأمتك ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ﴾ أن الأمر والشأن. أجمعوا على فتح ﴿أَنَّهُ﴾ لأنه فاعل ﴿أُوحِىَ﴾ و﴿أن لو استقاموا﴾ و﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ للعطف على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ فـ ﴿أَن﴾ مخفّفة من الثقيلة و﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ لتعدّي «يعلم» إليها، وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لأنه مبتدأ محكي بعد القول، (**واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من** ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ **إلى** ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ **ففتحها شامي**) وكوفي (**غير أبي بكر**) عطفًا على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ أو على محل الجار والمجرور في «آمنا به» تقديره: صدقناه وصدقنا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الجنّ**) وتُسمى سورة قل أوحي إلي (**مكيّة، وهي ثمان وعشرون آية**) لا خلاف في كونها مكيّة ولا في عدد آياتها ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفًا. **قوله:** (**واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من** ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ **إلى** ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾) وجملته اثنا عشر (**ففتحها شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ وكوفيَ (**غير أبي بكر**) أي حفص وحمزة والكسائي وخلف بن هشام

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إلى آخرها، (**وكسرها غيرهم عطفًا على** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾) وهم يقفون على آخر الآيات ﴿ٱسْتَمَعَ (نَفَرٌ﴾ **جماعة من الثلاثة إلى العشرة**) ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (**جن نصيبين**) ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبيّ ﷺ في صلاة الفجر ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ عجيبًا بديعًا مباينًا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه. والعجب ما يكون خارجًا عن العادة، وهو مصدر وضع موضع العجيب.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يدعوا إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن. ولما كان الإيمان به إيمانًا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ من خلقه، وجاز أن يكون الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ لله تعالى لأن قوله: ﴿بِرَبِّنَآ﴾ يفسره. ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته. يقال: جد فلان في عيني أي عظم، ومنه قول عمر أو أنس: كان الرجل إذ قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم في عيوننا ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ كما يقول كفار الجن والإنس ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا أو إبليس إذ ليس فوقه سفيه ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ كفرًا لبعده عن الصواب من شطت الدار أي بعدت، أو قولًا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه، والشطط مجاوز الحد في الظلم وغيره.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ قولًا كذبًا، أو مكذوبًا فيه، أو نصب على المدر إذ الكذب نوع من القول أي كان في ظننا أن أحدًا لن

البزاز وليس من السبعة وله اختيار. قوله: (**وكسرها غيرهم عطفًا على** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾) فيكون الكل مقولًا للقول. قوله: (﴿نَفَرٌ﴾ جماعة من الثلاثة إلى العشرة) فإطلاقه على ما فوق العشرة يكون مجازًا كإطلاق جمع القلّة على ما فوق العشرة فإنه مجاز. اهـ قنوي. قوله: (جن نصيبين) هي قرية من اليمن وجنها أشرف الجن وساداتهم.

يكذب على الله بنسبة الصاحبة الولد إليه فكنّا نصدقهم فيما أضافوا إليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم؛ كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوف من الأرض قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ﴾ أي زاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ طغيانًا وسفهًا وكبرًا أن قالوا: سدنا الجن والإنس أو فزاد الجن الإنس رهقًا إثمًا لاستعاذتهم بهم، وأصل الرهق غشيان المحظور ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأن الجن ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت أي أن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم، ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقرّوا بالبعث فهلا أقررتم كما أقرّوا.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ **(طلبنا بلوغ السماء)** واستماع أهلها، واللمس. المسّ فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ جمعًا أقوياء من الملائكة يحرسون: جمع حارس، ونصب على التمييز. **(وقيل: الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام)** ولذا **(وصف بشديد ولو نظر إلى معناه لقيل: شدادًا)** ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب أي كواكب مضيئة.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء قبل هذا ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ لاستماع أخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث ﴿فَمَن

قوله: (طلبنا بلوغ السماء) أي السماء الدنيا. **قوله: (وقيل: الحَرَس)** بفتحتين **(اسم مفرد في معنى الحراس)** أي في معنى الجمع وهو الحراس فإنه جمع حارس وهو الحافظ **(كالخدم في معنى الخدام)** أي كما أن الخدم اسم مفرد بمعنى الخدام جمع خادم (ولذا) أي ولكونه مفرد اللفظ (وصف بشديد ولو **نظر إلى معناه** لقيل: شدادًا) ويخدشه أن اسم الجمع كالجمع يطلق على الثلاثة وما فوقها فشديد لكونه فعيلًا يستوي فيه المفرد والجمع والتذكير والتأنيث فوصفه به لا يدلّ على كونه اسم جمع مع أن النزاع المذكور لا طائل تحته وإنما يتعيّن كونه اسم جمع لو لم يوجد هذا الوزن من أبنية الجمع، وليس كذلك كخدم جمع خادم. اهـ قنوي.

﴿يَسْتَمِعِ﴾ يرد الاستماع ﴿ٱلْـَٔانَ﴾ بعد المبعث ﴿يَجِدْ لَهُۥ﴾ لنفسه ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ **(صفة لـ ﴿شِهَابًا﴾ بمعنىٰ الراصد)** أي يجد شهابًا راصدًا له ولأجله، **(أو هو اسم جمع للراصد)** على معنىٰ ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ. وقيل: كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلًا بعد مبعث النبيّ ﷺ.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ﴾ عذاب ﴿أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعدم استراق السمع ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا ورحمة ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ الأبرار المتّقون ﴿وَمِنَّا﴾ قوم ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فحذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا غير الصالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة. والقدد **(جمع قدّة)** وهي القطعة **(من قددت السير)** أي قطعته ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أيقنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ لن نفوته ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حال أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ مصدر في موضع الحال أي ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء، وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم.

قوله: (صفة لـ ﴿شِهَابًا﴾ بمعنى الراصد) على أن يكون الشهاب بمعنى المضيء المتولّد من نار الكوكب ويكون رصدًا مصدرًا بمعنى فاعل ومنصوبًا على أنه صفة ﴿شِهَابًا﴾ أي راصدًا له ولأجله فإن الشهاب لما كان معدًّا له صار كأنه راصد له مراقب إياه ليهلكه. **قوله: (أو هو اسم جمع للراصد)** كالحرس ويكون شهابًا بمعنى ملائكة ذوي شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدًا صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوي شهاب راصدين إياه ليرجموه بما معهم من الشهب.

قوله: (جمع قدّة) بالكسر. **قوله: (من قددت السير)** في المصباح السير الذي يقدّ من الجلد جمعه سيور مثل فلس وفلوس.اهـ.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف مبتدأ وخبر ﴿بَخْسًا﴾ نقصًا من ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي ولا ترهقه ذلّة من قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٧] وقوله: (﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾)[يونس: الآية ٢٦]. وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ المؤمنون ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق، (**قسط: جار وأقسط عدل**)﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ طلبوا هدى والتحرّي طلب الأحرى أي الأولى ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟﴾ في علم الله ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقودًا، وفيه دليل على أن الجني الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة يعني وأنه وهي من جملة الموحى أي أوحى إلى أن الشأن ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي القاسطون ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ كثيرًا، والمعنى لوسعنا عليهم الرزق، وذكر الماء الغدق لأنه سبب سعة الرزق ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما (**خوّلوا**) منه ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن أو التوحيد أو العبادة (﴿يَسْلُكْهُ﴾ **بالياء: عراقي غير أبي عمرو**)

قوله: (﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾)يغشى (﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾)سواد (﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾)كآبة. **قوله:** (**قسط: جار وأقسط عدل**)فقسط الثلاثي بمعنى جار وأقسط الرباعي بمعنى عدل. رُوِيَ أن الحجّاج قال لسعيد بن جبير: ما تقول في قال إنك قاسط عادل، فقال الحاضرون: ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل. فقال الحجاج: يا جهلة جعلني جائرًا كافرًا وتلا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾، ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١].

قوله: (خُوّلوا)أي أعطوا. **قوله:** (﴿يَسْلُكْهُ﴾ **بالياء: عراقي غير أبي عمرو**)إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي. **وعبارة تفسير النيسابوري**

يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقًا مصدر صعد يقال: صعد صعدًا وصعودًا، فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه، ومنه قول عمر ﷺ: **(ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح)**. أي ما شقّ عليّ.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ من جملة الموحى أي أوحي إلى أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله. وقيل: معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بـ «لا تدعوا» أي ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في المساجد لأنها خالصة لله ولعبادته. وقيل: المساجد أعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ محمد عليه السلام إلى الصلاة وتقديره وأوحي إلى أنه لما قام عبد الله ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبيّ الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبيّ ﷺ، ولأنه لما كان واقعًا في كلامه ﷺ عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع، أو لأن عبادة عبد الله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه

﴿يَسْلُكْهُ﴾ على الغيبة عاصم وحمزة وعليّ وخلف وسهل ويعقوب الباقون بالنون. انتهت بحروفها.

قوله: (ما تَصَعَّدَني شيء ما تصَعَّدتني خطبة النكاح) أي ما صَعُب عليّ من الصعود وهي العقبة كقولهم: تكأده من الكؤود ما الأولى للنفي والثانية مصدريّة أي مثل تصعد الخطبة إياي. قال الجاحظ: سُئِلَ ابن المقفّع عن قول عمر رضي الله تعالى عنه فقال: ما أعرفه إلّا أن يكون لقرب الوجوه من الوجوه ونظر الحِداق[1] في أجواف الحداق ولأنه إذا كان جالسًا معهم كانوا نظراء وأكفاء وإذا علا المنبر كانوا سُوْقة رعيّة. كذا في الفائق في غريب الحديث للعلّامة محمود بن عمر الزمخشري.

---

(١) أي نظر بعضهم إلى بعض.

(﴿لِبَدًا﴾) ﴿كَادُوا﴾ كاد الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ **(جماعات جمع لبدة)** تعجبًا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به وإعجابًا بما تلاه من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ وحده (﴿قَالَ﴾) غير **(عاصم)** وحمزة ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون علي؟

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ مضرّة ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ نفعًا، أو أراد بالضرّ الغيّ بدليل قراءة أبي «غيا ولا رشدا» يعني لا أستطيع أن أضرّكم وأن أنفعكم لأن الضارّ والنافع هو الله. ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ لن يدفع عنى عذابه إن عصيته كقول صالح عليه السلام: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ [هود: الآية ٦٣] ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء من ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ أي لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا إلا بلاغًا من الله و﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى﴾ اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان

قوله: (﴿لِبَدًا﴾) بكسر اللام وفتح الباء المخفّفة **(جماعات جمع لبدة)** بكسر اللام وسكون الموحّدة كقربة وقرب واللبدة الشيء المتلبّد أي المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض، والمعنى ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ﴾ جماعة متراكبة مزدحمة.

قوله: (﴿قَالَ﴾) بلفظ الماضي على الخبر عن عبد الله وهو محمد ﷺ غير (عاصم) وحمزة وقرأ عاصم وحمزة ﴿قُلْ﴾ بضم القاف وسكون اللام بلفظ الأمر التفاتًا إلى قل يا محمد.

عجزه. وقيل: ﴿بَلَٰغًا﴾ بدل من ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي لن أجد من دونه منجي إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به يعني لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به فإن ذلك ينجيني.

وقال (الفراء): هذا شرط وجزاء وليس باستثناء و«إن» منفصلة من «لا» وتقديره: أن لا أبلغ بلاغًا أي إن لم أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرًا لي كقولك إن لا قيامًا فقعودًا، والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على ﴿بَلَٰغًا﴾ كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات أي إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبًا لقوله إليه، وأن أبلغ رسالته التي أرسلني بها بلا زيادة ونقصان. و«من» ليست بصلة للتبليغ لأنه يقال: بلّغ عنه، إنما هي بمنزلة «من» في ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ١] أي بلاغًا كائنًا من الله. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ترك القبول، لما أنزل على الرسول لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وحد في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ وجمع في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ للفظ من ومعناه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ يتعلّق بمحذوف دلّت عليه الحال كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلول العذاب بهم ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أهم أم المؤمنون؟ أي الكافر لا ناصر له يومئذٍ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه.

قوله: (الفرّاء) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب.

تُوفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله.

والفرّاء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام. ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ﴾ ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ﴾ (وبفتح الياء: حجازي وأبو عمرو) ﴿أَمَدًا﴾ غاية بعيدة عني أنكم تعذبون قطعًا ولكن لا أدري أهو حالٌ أم مؤجل.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو خبر مبتدأ أي هو عالم الغيب ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من خلقه.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ إلا رسولًا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون إخباره عن الغيب معجزة له فإنه يطلعُ على غيبه مَن شاء. و﴿مِن رَّسُولٍ﴾ بيان لـ ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ والولي إذا أخبر بشيء فظهر فهو غير جازم عليه، ولكن أخبر بناء على رؤيا أو بالفراسة على أن كل كرامة للولي فهي معجزة للرسول.

وذكر في التأويلات قال بعضهم في هذه الآية بدلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك (فإن فيهم مَن يصدق خبره، وكذلك المتطببة) يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقي علمه

قوله: (وبفتح الياء) أي ياء الإضافة من ﴿رَبِّيٓ﴾ حجازي إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: (حجازي) أي قراءة نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ (وأبو عمرو) بن العلاء البصري والباقون بسكونها.

قوله: (فإن فيهم مَن يصدق خبره) ويعرف المطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها يتولّد الخلق والتي يقع عندها التغيّر والتبدّل في ذلك لأنا لا نوقف على علمه بالتأمّل والتدبّر. اهـ تأويلات.

قوله: (وكذلك المتطببة) منهم من يعرف طبائع النبات أن هذا يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا فيقع به المصالح للخلق ومعلوم أن هذا من نوع ما لا يدرك بالتأمّل والنظر. اهـ تأويلات.

في الخلق. ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾ **(يدخل)** ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ يدي رسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحي.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الله ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم أي ليعلم الله ذلك موجودًا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد، وحد الضمير في ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ للفظ «من»، وجمع في ﴿أَبْلَغُوا۟﴾ لمعناه ﴿وَأَحَاطَ﴾ الله ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل من العلم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه؟ و﴿عَدَدًۢا﴾ حال أي وعلم كل شيء معدودًا محصورًا أو مصدر في معنى إحصاء والله أعلم.

قوله: (يدخل) من الإدخال.

تمت سورة الجن والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين